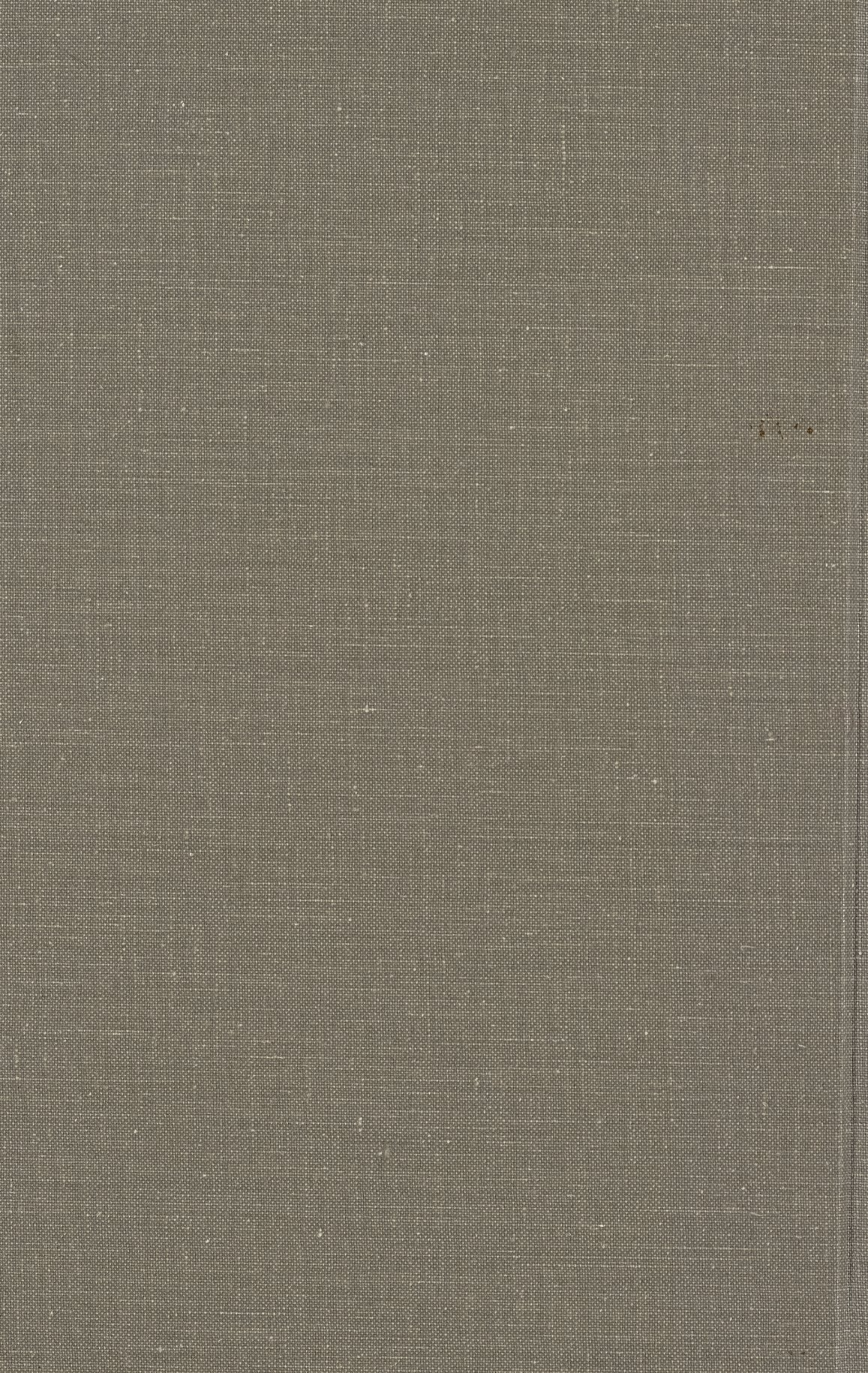
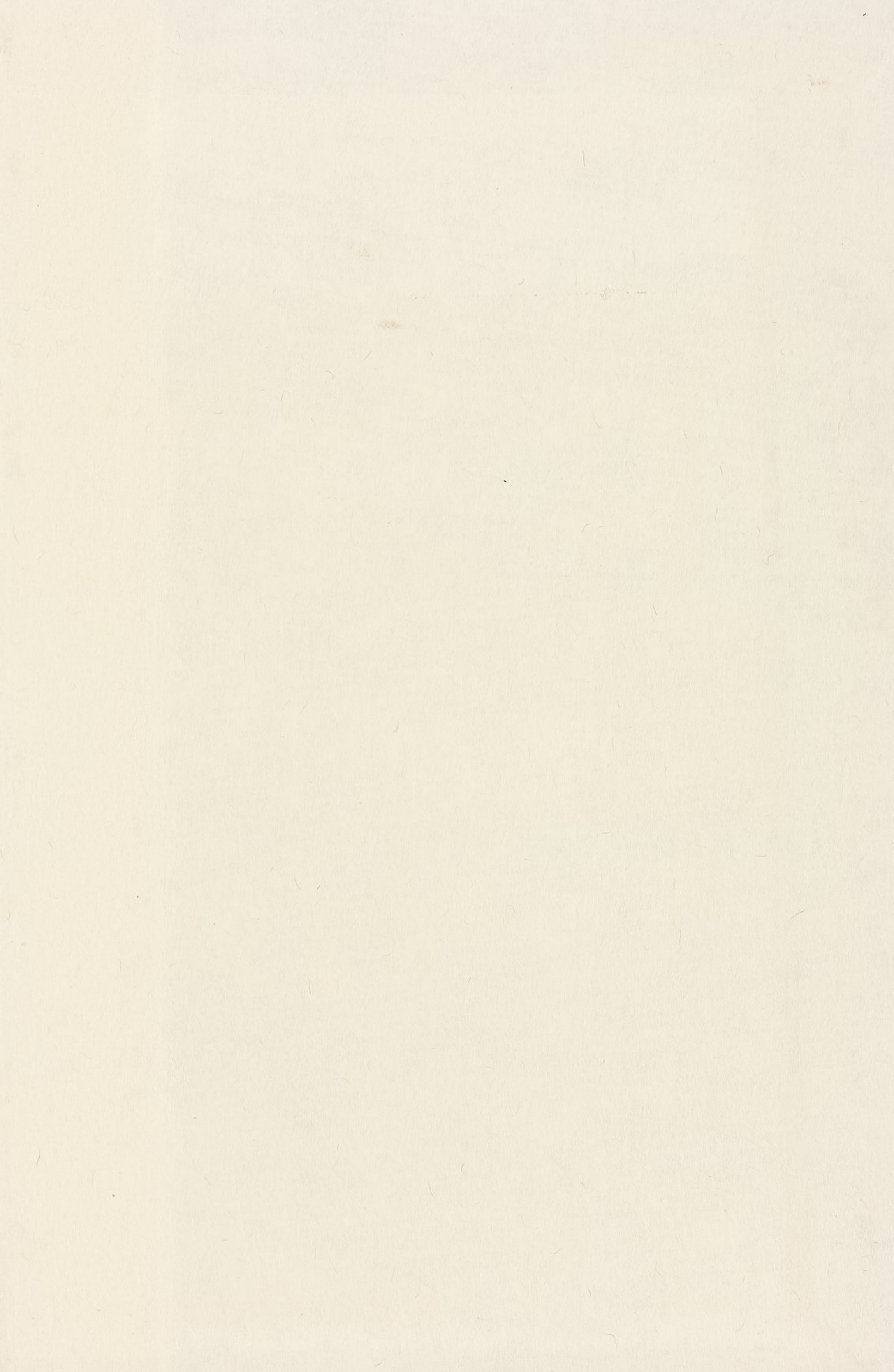







JUN 15 2014
DUE JUN 15 1991



فهرس كتاب الضياء الشارق

صحيفة

صفحة

صحيفة

صحيفة

Ibn. Sahman

كتاب

الضياء الشارق

في رد شبهات الماذق المارق

تأليف

العالم العامل ، والاستاذ الفاضل ، الشيخ سليمان بن سحمان

من علماء نجد الاعلام

أثابه الله تعالى ونفع به

آمين

طبع بأمر جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

أيده الله تعالى

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٤

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الثقة والعصمة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، إله الاولين والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين ، وامام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ،

﴿ أما بعد ﴾ فاني قد وقفت على رسالة مطبوعة[1] مؤلفها رجل من العراق يقال له جميل أفندي صدقي الزهاوي ، جمع فيها من الاكاذيب والترهات ، والاضاليل المنكرات مع ما اشتمل عليه كلامه من الفجور ، وقول الزور ، والتجانف للاثم والعدوان ، وصريح الافك والبهتان ، مايمج سماعه أولو العقول السليمة ، والألباب الزاكية المستقيمة ، وسلك فيها مسلك أهل الغي والضلال ، واعتمد فيما يحكيه على ماهو من أمحل المحال ، وأوخم الانتحال ، واتبع فيها اهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ، حيث لم يتمسكوا من الكتاب والسنة بأوضح برهان وأقوم دليل ، ولم يردوا من حوضها السلسبيل ، بل عدلوا إلى آسن قلوط أهل الفلسفة والتجهيل والتبديل ، وحادوا فيها عن منهج أهل الحق والصدق والعدل والانصاف ، وساروا على طريقة أهل الغي والكذب والانحراف ، وقد قال تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) فان الله تعالى قد بين الحق بيانا كافيا شافيا ، وأرسل رسوله محمداً الى الخلق بالحق مبشرا ونذيرا وداعيا ، ونصب الأدلة وأوضح المحجة ، فلم يبق للناس على الله بعد الرسل من حجة ،

---

(١) اسمها الفجر الصادق

فمن أجاب داعي الله فقد نجا ، ومن تولى عن الحق معرضا أفضى به عوجا ، فلما نكب هذا الرجل عن طريقة أهل الحق والتحقيق ، ولجأ فيما ينتحله ويحكيه إلى ركن غير وثيق ، استعنت الله على رد أباطيله ، وتهجين أضاليله وأساطيله ، على سبيل الاختصار والاقتصار ، وتركت من كلامه ما لاطائل في الجواب عنه ، والله المسئول المرجو الاجابة ، أن يمدنا بالاصابة ، وان يجزل لنا الأجر والإنابة ، وان يجعله لوجهه خالصا ، وان ينفع به من قرأه ونظر فيه ، وان يقمع به صاحب الباطل ومبتغيه

فصل

قال العراقي :

الوهابية ومنشؤها

الوهابية فرقة منسوبة إلى محمد بن عبد الوهاب ، وابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب كان سنة ١١٤٣ وانما اشتهر أمره بعد الخمسين ، فأظهر عقيدته الزائغة في نجد ، وساعده على إظهارها محمد بن مسعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب فجبر اهلها على متابعة ابن عبد الوهاب هذا فتابعوه ، وما زال ينخدع له في هذا الأمر حي بعد حي من أحياء العرب حتى عمت فتنته ، وكبرت شهرته ، واستفحل أمره فخافه البادية ، وكان يقول للناس : ما أدعوكم إلا إلى التوحيد ، وترك الشرك بالله تعالى في عبادته ، وكانوا يمشون خلفه حيثما مشى حتى اتسع له الملك

فالجواب ، ومن الله أستمد الصواب ، ان نقول :

أما منشأ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وظهورها في نجد ، فمن المعلوم عند الخاص والعام انه قد نشأ في أناس قد اندرست فيهم معالم الدين ، ووقع فيهم من الشرك والبدع ما عم وطم في كثير من البلاد ، إلا بقايا متمسكين بالدين يعلمهم الله تعالى ، وأما الأكثرون فعاد المعروف بينهم منكراً ، والمنكر معروفا ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة ، نشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ، ففتح الله بصيرة شيخ الاسلام بتوحيد الله الذي بعث الله به رسله وأنبيائه ،

فعرّف الناس ما في كتاب ربهم من أدلة توحيده الذي خلقهم له ، وما حرم الله عليهم من الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، فقال لهم كما قاله المرسلون لأممهم (أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره) فحجب كثيرا منهم عن قبول هذه الدعوة ما اعتادوه ، ونشأوا عليه من الشرك والبدع فنصبوا العداوة لمن دعاهم إلى توحيد ربهم وطاعته ، ولمن استجاب له وقبل دعوته ، وأصغى إلى حجج الله وبيناته ، كحال من خلا من اعداء الرسل كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)

فاذا تمهد هذا فلنذكر ههنا شيئا يسيرا من حال نشأة الشيخ محمد عبدالوهاب التميمي رحمه الله وظهوره ودعوته إلى الله ، ليعلم الطالب ، ويتحقق الراغب ، حقيقة ما دعا اليه هذا الامام ، وما كان عليه من الاعتقاد والفهم التام ، ويتبين للناظر فيها ما بهت به الأعداء من الاكاذيب والافتراء ، التي يرومون بها تنفير الناس عن المحجة والسبيل ، وكتمان البرهان والدليل ، وقد كثر أعداؤه ومنازعوه ، وفشا البهت منهم فيما قالوه ونقلوه ، فربما اشتبه على طالب الانصاف والتحقيق ، والتبس عليه واضح المنهج والطريق ، بما موّهوا به من تلك الأكاذيب الشنيعة ، والألقاب الداحضة الوضيعة ، وان من استصحب الاصول الشرعية وجرى على القوانين المرضية ، عرف أن لكل نعمة حاسدا ، ولكل حق جاحدا ، ولا يقبل في نقل الأقوال والأحكام ، إلا العدول الثقات الضابطون من الأنام ، ومن استصحب هذا استراح عن البحث فيما ينقل اليه ويسمع ، ولم يلتفت إلى أكثر ما يختلف ويصنع ، وكان من أمره على منهاج واضح ومشرع

فصل

كان مولده رحمه الله سنة ١١١٥ خمسة عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية في بلد العيينة من أرض نجد ونشأ بها وقرأ القرآن بها حتى حفظه وأتقنه قبل بلوغه العشر وكان حاد الفهم سريع الادراك والحفظ يتعجب أهله من فطنته وذكائه، وبعد حفظ القرآن اشتغل وجدّ في الطلب، وأدرك بعض الأرب، قبل رحلته لطلب العلم وكان سريع الكتابة ربما كتب الكراسة في مجلس. قال أخوه سليمان كان والده يتعجب من فهمه ويعترف بالاستفادة منه مع صغر سنه ووالده هو مفتي تلك البلاد وجده مفتي البلاد النجدية وآثاره وتصانيفه وفتاويه تدل على علمه وفقهه وكان جدّه اليه المرجع في الفقه والفتوى وكان معاصر الشيخ منصور البهوتي الحنبلي خادم المذهب اجتمع به بمكة وبعد بلوغ الشيخ سنّ الاحتلام قدّمه والده في الصلاة ورآه أهلا للأيتام ثم طلب الحج الى بيت الله الحرام؛ فأجابه والده الى ذلك المقصد والمراد، وبادر الى قضاء حجة الاسلام، وأداء المناسك على التمام، ثم قصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وأقام بها قريبا من شهرين، ثم رجع الى وطنه قرير العين، واشتغل بالقراءة في الفقه على مذهب الامام أحمد رحمه الله ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم وذاق حلاوة التحصيل والفهم وزاحم العلماء والكبار ورحل الى البصرة والحجاز مراراً واجتمع بمن فيها من العلماء والمشايخ الاخيار وأتى الى الاحساء وهي إذ ذاك آهلة بالمشايخ والعلماء. فسمع وناظر وبحث واستفاد وساعدته الأقدار الربانية بالتوفيق والامداد وروى عن جماعة منهم الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدي، ثم المدني وأجازه من طريقين وأول ما سمع منه الحديث المسلسل بالاولية وكتب السماع بالسند المتصل الى عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء» وسمع منه مسلسل الحنابلة بسنده الى أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«اذا أراد الله بعبد خيراً استعمله» قالوا كيف يستعمله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل موته» وهذا الحديث من ثلاثيات أحمد رحمه الله وطالت إقامة الشيخ ورحلته بالبصرة وقرأ بها كثيراً من الحديث والفقه والعربية وكتب من الفقه والحديث واللغة ماشاء الله في تلك الاوقات

وكان يدعو الى التوحيد ويظهره لكثير ممن يخالطه ويجالسه ويستدل عليه ويظهر ماعنده من العلم وما لديه وكان يقول ان الدعوة كلها لله لايجوز صرف شيء منها الى سواه وربما ذكروا بمجلسه اشارة الطواغيت أو شيئاً من كرامات الصالحين الذين كانوا يدعوهم ويستغيثون بهم ويلجئون اليهم في المهمات فكان ينهى عن ذلك ويزجر ويورد الأدلة من الكتاب والسنة ويحذر ويخبر ان محبة الاولياء والصالحين انما هي متابعتهم فيما كانوا عليه من الهدى والدين وتكثير أجورهم بمتابعتهم على ماجاء به سيد المرسلين وأما دعوى المحبة والمودة مع المخالفة في السنة والطريقة فهي مردودة غير مسلمة عند أهل النظر والحقيقة .

ولم يزل على ذلك رحمه الله ثم رجع الى وطنه فوجد والده قد انتقل الى بلدة حريملا فاستقر فيها يدعو الى السنة المحمدية ويبديها ويناصح من خرج عنها ويفشيها حتى رفع الله شأنه ورفع ذكره ووضع له القبول وشهد له بالفضل ذووه من المعقول والمنقول . وصنف كتابه المشهور في التوحيد وأعلن بالدعوة الى الله العزيز الحميد وقرئ عليه هذا الكتاب المفيد وسمعه كثير ممن لديه من طالب ومستفيد وشاعت نسخه في البلاد وطار ذكره في الغور والأنجاد وفاز بصحبته واستفاد من جرد القصد وسلم من الاسر والبغي والفساد وكثر بحمد الله محبوه وجنده وصار معه عصابة من فحول الرجال وأهل السمت الحسن والكمال يسلكون معه الطريق ويجاهدون كل فاسق وزنديق

فصل

كان أهل عصره ومصره في تلك الأزمان قد اشتدت غربة الاسلام بينهم، وعفت آثار الدين لديهم، وانهدمت قواعد الملة الحنيفية، وغلب على الاكثرين ماكان عليه أهل الجاهلية، وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان، وغلب الجهل والتقليد والاعراض عن السنة والقرآن، وشب الصغير وهو لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان، وهرم الكبير على ما تلقاه عن الإباء والاجداد، وأعلام الشريعة مطموسة، ونصوص التنزيل وأصول السنة فيما بينهم مدروسة، وطريقة الاباء والاسلاف مرفوعة الاعلام، وأحاديث الكهان والطواغيت مقبولة غير مردودة ولا مدفوعة، قد خلعوا ربقة التوحيد والدين، وجدوا واجتهدوا في الاستغاثة والتعلق على غير الله من الاولياء والصالحين، والأوثان والأصنام والشياطين، وعلماؤهم ورؤساؤهم على ذلك مقبلون، ومن البحر الأجاج شاربون، وبه راضون، واليه مدى الزمان داعون، قد أعشتهم العوائد والمألوفات، وحبستهم الشهوات والارادات عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المحكمات، والايات البينات، يحتجون بما رووه من الاثار الموضوعات، والحكايات المختلقة والمنامات، كما يفعله أهل الجاهلية وغبر الفترات. وكثير منهم يعتقد النفع في الأحجار والجمادات، ويتبركون بالاثار والقبور في جميع الاوقات (نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون * قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والأثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون)

فاما بلاد نجد، فقد بالغ الشيطان في كيدهم وجد، وكانوا ينتابون قبر زيد ابن الخطاب ويدعونه رغباً ورهباً بفصيح الخطاب، ويزعمون انه يقضي لهم الحوائج ويرونه من أكبر الوسائل والولائج، وكذلك عند قبر يزعمون انه قبر ضرار ابن

الأزور وذلك كذب ظاهر ، وبهتان مزور ، وكذلك عندهم نخل فحال ينتابه النساء والرجال ، ويفعلون عنده أقبح الفعال ، والمرأة اذا تأخر عنها الزواج ، ولم ترغب فيها الأزواج ، تذهب اليه وتضمه بيديها وتدعوه برجاء وابتهال وتقول : يافحل الفحول ، أريد زوجا قبل الحول . وشجرة عندهم تسمى الطريفية أغراهم الشيطان بها ، وأوحى اليهم التعلق عليها ، وأنها ترجى منها البركة ، ويعلقون عليها الخرق لعل الولد يسلم من السوء . وفي أسفل بلدة الدرعية مغارة في الجبل يزعمون انها انفلقت من الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير اراد بعض الناس أن يظلمها ويضير ، فانفلقت الغار ولم يكن له عليها اقتدار ، وكانوا يرسلون إلى هذا المكان من اللحم والخبز مايقتات به جند الشيطان . وفي بلدتهم رجل يدعي الولاية يسمى تاج يتبركون به ، ويرجون منه العون والافراج ، وكانوا يأتون اليه ويرغبون فيما عنده من المدد بزعمهم ولديه ، فتخافه الحكام والظلمة ، ويزعمون أن له تصرفا وفتكا لمن عصاه وملحمة مع أنهم يحكون عنه الحكايات الشنيعة التي تدل على انحلاله عن أحكام الملة والشريعة . وهكذا سائر بلاد نجد على ماوصفنا من الاعراض عن دين الله ، والجحد لأحكام الشريعة والرد . ومن العجب أن هذه الاعتقادات الباطلة ، والمذاهب الضالة ، والعوائد الجائرة ، والطرائق الخاسرة ، قد فشت وظهرت ، وعمت وطمت ، حتى بلاد الحرمين الشريفين . فمن ذلك مايفعل عند قبر محجوب وقبة ابي طالب ، فيأتون قبره بالسماعات والعلامات للاستغاثة عند نزول المصائب ، وحلول النواكب ، وكانوا له في غاية التعظيم ، ولا مما يجب عند البيت الكريم ، فلو دخل سارق ، أو غاصب ، أو ظالم قبر أحدهما لم يتعرض له أحد لما يرون له من وجوب التعظيم ، والاحترام والمكارم . ومن ذلك مايفعل عند قبر ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها في سرف وكذلك عند قبر خديجة رضي الله عنها ، يفعل عند قبرها مالا يسوغ السكوت عنه من مسلم يرجو الله والدار الآخرة فضلا عن كونه من المكاسب الدينية الفاخرة ، وفيه من اختلاط النساء بالرجال ، وفعل الفواحش والمنكرات ، وسوء الافعال ، مالا يقره أهل الايمان والكمال ، وكذلك سائر القبور المعظمة

المشرفة في بلد الله الحرام مكة المشرفة ، وفي الطائف قبر ابن عباس رضي الله عنه يفعل عنده من الامور الشركية التى تشمئز منها نفوس الموحدين ، وتنكرها قلوب عباد الله المخلصين ، وتردها الآيات القرآنية وما ثبت من النصوص عن سيد المرسلين ، منها وقوف السائل عند القبر متضرعا مستكيناً ، وابداء الفاقة إلى معبودهم مستعيناً ، وصرف خالص المحبة التي هي محبة العبودية ، والنذر والذبح لمن تحت ذاك المشهد والبنية ، وأكثر سوقهم وعامتهم يلهجون بالاسواق اليوم: على الله وعليك يا ابن عباس فيستمدون منه الرزق والغوث وكشف الضر والبأس .

وذكر محمد بن حسين النعيمي الزبيدي رحمه الله أن رجلا رأى ما يفعل في الطائف من الشعب الشركية والوظائف ، فقال أهل الطائف لا يعرفون الله انما يعرفون ابن عباس ، فقال له بعض من يترشح بالعلم معرفتهم لابن عباس كافية لأنه يعرف الله فانظر إلى هذا الشرك الوخيم ، والغلو الذميم ، المجانب للصراط المستقيم ، ووازن بينه وبين قوله (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) الآية . وقوله جل ذكره (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى باتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد يعبد الله فيها فكيف بمن عبد الصالحين ودعاهم مع الله. والنصوص في ذلك لاتخفى على أهل العلم ، وكذلك ما يفعل بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام هو من هذا القبيل بالبعد عن منهاج الشريعة والسبيل . وفي بندر جدة ماقد بلغ من الضلال حده وهو القبر الذي يزعمون أنه قبر حواء ، وصفه لهم بعض الشياطين ، وأكثروا في شأنه الإفك المبين ، وجعلوا له السدنة والخدم ، وبالغوا في مخالفة ماجاء به محمد عليه أفضل الصلاة والسلام من النهي عن تعظيم القبور والفتنة بمن فيها من الصالحين ، وكذلك مشهد العلوي بالغوا في تعظيمه ، وتوقيره ، وخوفه ، ورجائه . وقد جرى لبعض التجار انه انكسر بمال عظيم لأهل الهند وغيرهم وذلك في سنة عشر ومائتين وألف فهرب إلى مشهد العلوي مستجيراً ، ولائذاً به مستغيثاً ، فتركه أرباب الاموال ، و

يتجاسر أحد من الرؤساء والحكام على هتك ذلك المشهد والمقام ، واجتمع طائفة من المعروفين واتفقوا على تنجيمه في مدة سنين فنعوذ بالله من تلاعب الفجرة والشياطين .

وأما بلاد مصر وصعيدها وأعمالها قد جمعت من الامور الشركية ، والعبادات الوثنية ، والدعاوي الفرعونية مالا يتسع له كتاب ، ولا يدنو له خطاب لاسيما عند مشهد احمد البدوي وأمثالهم من المعتقدين في المعبودين ، فقد جاوزوا بهم ما ادعته الجاهلية لآلهتهم ، وجمهورهم يرى له من تدبير الربوبية والتصريف في الكون بالمشيئة والقدرة العامة مالم ينقل مثله عن أحد بعد الفراعنة والنماردة ، وبعضهم يقول : يتصرف في الكون سبعة ، وبعضهم يقول أربعة ، وبعضهم يقول : القطب يرجعون اليه . وكثير منهم يرى أن الامور شورى بين عدد ينتسبون اليه ، فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا) وقد استباحوا عند تلك المشاهد من المنكرات والفواحش والمفاسد مالا يمكن حصره ، ولا يستطاع وصفه ، واعتمدوا في ذلك من الحكايات والخرافات والجهالات مالا يصدر عن من له أدنى مسكة وحظ من المعقولات فضلا عن النصوص والشرعيات . وكذلك مايفعل في بلدان اليمن جار على تلك الطريق والسنن ، في صنعاء ، وبرع والمخا وغيرها من تلك البلاد مايتنزه العاقل عن ذكره ووصفه ، ولا يمكن الوقوف على غاياته كشفه ، وناهيك بقوم استخفهم الشيطان ، وعدلوا عن عبادة الرحمن إلى عبادة القبور والشياطين فسبحان من لايعجل بالعقوبة على الجرائم ، ولا يهمل الحقوق والمظالم ، وفي حضرموت ، والشحر ، وعدن ، ويافع ماتستك عن ذكره المسامع يقول قائلهم شيء لله عيدروس ، شيء لله يامحيي النفوس

وفي أرض نجران من تلاعب الشيطان ، وخلع ربقة الأيمان ، مالا يخفى على أهل العلم بهذا الشان ، من ذلك رئيسهم المسمى بالسيد لقد أتوا من طاعته وتعظيمه ، وتقديمه ، وتصديره ، والغلو فيه بما أفضى بهم إلى مفارقة الملة والاسلام والانحياز إلى عبادة الأوثان والأصنام (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من

دون الله ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون)
وكذلك حلب ، ودمشق ، وسائر بلاد الشام فيها من تلك المشاهد والنصب
والاعلام ، مالا يجامع عليه أهل الايمان والاسلام من اتباع سيد الانام ، وهي
تقارب ماذكرنا في الكفريات المصرية ، والتلطف بتلك الاحوال الوثنية الشركية
وكذلك الموصل وبلاد الاكراد ظهر فيها من اصناف الشرك والفجور والفساد
وفي العراق من ذلك بحره المحيط بسائر الخلجان ، وعندهم المشهد الحسيني
قد تخذه الرافضة وثناً ، بل ربما مدبراً ، وخالقاً ميسراً ، وأعادوا به المجوسية ،
وأحيوا به معاهد اللات والعزى ، وما كان عليه أهل الجاهلية ، وكذلك مشهد
العباس ، ومشهد علي ، ومشهد ابي حنيفة ، ومعروف الكرخي ، والشيخ عبد
القادر فانهم قد افتتنوا بهذه المشاهد رافضتهم ، وعدلوا عن أسنى المطالب
والمقاصد ، ولم يعرفوا ما وجب عليهم من الله الفرد الصمد الواحد

وبالجملة فهم شر تلك الأمصار، وأعظمهم نفوراً عن الحق واستكبار، والرافضة
يصلون لتلك المشاهد ، ويركعون ويسجدون لمن في تلك المعاهد . وقد صرفوا من
الأموال والنذور ، لسكان تلك الأجداث والقبور مالا يحصل عشر معشاره
للملك العلي الغفور . ويزعمون أن زيارتهم لعلي وأمثاله أفضل من سبعين حجة ،
تعالى الله وتقدس في مجده وجلاله ، ولآلهتهم من التعظيم والتوقير والخشية
والاحترام ما ليس معه من تعظيم الله وتوقيره وخشيته وخوفه شيء للاله الحق
والملك العلام ، ولم يبق مما عليه النصارى سوى دعوى الولد به . غير أن بعضهم
يرى الحلول لأشخاص بعض البرية ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون .
وكذلك جميع قرى الشط والجزيرة على غاية من الجهل والمعروف في القطيف والبحرين
من البدع الرافضية، والأحداث المجوسية ، والمقامات الوثنية ما يضاد ويصادم
أصول الملة الحنيفية . فمن اطلع على هذه الأفاعيل وهو عارف بالايمان والاسلام
وما فيهما من التفريع والتأصيل ، تيقن أن القوم قد ضلوا عن سواء السبيل ،
وخرجوا من مقتضى القرآن والدليل ، وتمسكوا بزخارف الشيطان ، وأحوال
الكهان ، وما شابه هذا القبيل ، وازداد بصيرة في دينه ، وقوي بمشاهدته إيمانه

ويقينه ، وجدّ في طاعة مولاه وشكره ، واجتهد في الانابة اليه وإدامة ذكره ، وبادر الى القيام بوظائف أمره ، وخاف أشد الخوف على إيمانه من طغيان الشيطان وكفره . فليس العجب ممن هلك كيف هلك ، إنما العجب ممن نجا كيف نجا .

فلما تفاقم هذا الخطب وعظم ، وتلاطم موج الكفر والشرك في هذه الامة وجسُمْ ، واندرست الرسالة المحمدية ، وانمحت منها المعالم في جميع البرية ، وطمست الآثار السلفية ، وأقيمت البدع الرفضية ، والامور الشركية .

تجرد الشيخ للدعوة الى الله ، ورد هذا الناس الى ما كان عليه سلفهم الصالح في باب العلم والايمان ، وباب العمل الصالح والاحسان ، وترك التعلق على غير الله من الأنبياء والصالحين وعبادتهم ، والاعتقاد في الأحجار والأشجار ، والعيون والمغار ، وتجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الأقوال والافعال وهجر ما أحدثه الخلوف والأغيار ، فجادل في الله وقرر حججه وبيناته ، وبذل نفسه لله ، وأنكر على أصناف بني آدم ، الخارجين عما جاءت به الرسل ، المعرضين عنه ، التاركين له . وصنف في الرد على من عاند وجادل ، وما حلّ حتى ظهر الاسلام في الأرض ، وانتشر في البلاد والعباد ، وعلت كلمة الله ، وظهر دينه ، وانقمع أهل الشرك والفساد ، واستبان لذوي الألباب والعلوم من دين الاسلام ما هو مقرر معلوم .

فهذه حقيقة حال الشيخ ونشأته ، وظهور دعوته . وهذه حال أهل الامصار في تلك الأوقات والأعصار ، كما تقدم بيانه لذوي العقول والأبصار . فمن شرح الله صدره للاسلام تبين له صحة مادعا اليه هذا الامام ، ومن عمي عن طريق رشده وهداه ، واتبع فيما ينتحله مايهواه ، وتمرد على الله واستكبر وعتا وتجبر . فانما الهداية بيد الله (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

وبما ذكرناه يعرف كيفية الجواب عما تقدم من فاتحة كتاب هذا العراقي الى مبدإ نشأة الشيخ وظهور دعوته ، وإنما تركنا الجواب لعدم المصلحة الراجحة في ذلك

فصل

قال الملحد فأظهر عقيدته الزائغة في نجد

(الجواب) أن يقال قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقروءة ، وما ثبت بخطه ، وعرف وإشتهر من أمره ودعوته ، وما عليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته أنه كان على ما كان عليه السلف الصالح ، وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ، ونعوت جلاله ، التي نطق بها الكتاب العزيز ، وصحت بها الأخبار النبوية ، وتلقتها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبول والتسليم يثبتونها ويؤمنون بها ، ويمرونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، وقد درج على هذا من بعدهم من التابعين ، وتابعيهم من أهل العلم والايمان ، وسلف الأمة وأئمتها . وكان رحمه الله يدعو الناس إلى الصلوات الخمس والمحافظة عليها حيث ينادي لها ، وهذا من سنن الهدى ومعالم الدين كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، ويأمر بالزكاة والصيام والحج ، ويأمر بالمعروف ويأتيه ويأمر الناس أن يأتوه ويأمروا به ، وينهى عن المنكر ويتركه ويأمر الناس بتركه والنهي عنه ، فمن زعم أن عقيدته وطريقته زائغة ، أو عن الحق رائغة ، فلعدم معرفته بالعقائد السلفية ، والآثار النبوية ، بل تنادي عقيدته البيضاء بعقيدة السلف ، ولا ينكر صحتها وأفضليتها من خلف منا ومن سلف ، بل قد تتبع العلماء مصنفاته رحمه الله من أهل زمانه وغيرهم فأعجزهم أن يجدوا فيها ما يعاب . وأقواله في أصول الدين مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة ولم يعب عليه إلا من خرج عن طريقة أهل السنة ، لأنهم بما كانوا عليه من الشرك والضلال من عبادة غير الله تعالى ، بالالتجاء الى الصالحين ودعائهم ، والاستغاثة بهم ، لأنهم لا يعرفون إلا ما نشأوا عليه من هذا الشرك العظيم ، والمرتع الوبي الوخيم الذي وجدوا عليه الآباء والجدود ، الراتعين في رياض المحرّمات والحدود . والأكثر منهم يتدين بالبدع والأهواء ، ويرفض ما درج

عليه السلف الصالح من الدين القديم الأولي ، وينتحل ما كان عليه الفلاسفة المتقدمون ، وورثتهم من المتكلمين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

وأما قوله: وساعده على إظهارها محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب

فأقول : نعم قد استجاب لهذه الدعوة المحمدية والملة الابراهيمية من أهل الاسلام عصابة حصل بهم من العز والمنعة ما هو عنوان التوفيق والاصابة ، فكانوا لطريقته المثلى متبعين ، وبأقواله وأفعاله مقتدين ، لا يزالون معه في إخلاص الدعوة مشمرين ، وفي إدحاض الباطل وأهله مجتهدين ، وبايضاح مناهج الشرك معلنين ، ولها منكرين ، وعنها محذرين ، وفيما يرضي الله مسرعين ، ولأهل الدين والحق مكرمين ، ولأهل الضلال موهنين ، وللضلال والفساق مهينين ، ولقبح عقائدهم مبينين ، قائمين في ذلك لرب العالمين ، ولوجه الكريم محتسبين ، وللنجاة مرتجين (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)

وقد قال الامام احمد بن محمد الحفظي اليمني في أرجوزة له ذكر فيها ظهور هذه الدعوة المحمدية ، والطريقة السلفية ، قال فيها

أحمده مهللا مسبحلا	محوقلا محيعلا محسبلا
مصليًا على الرسول الشارع	وآله وأصحبه والتابع
في البدء والختم (وأما بعد)	فهذه منظومة تعدّ
حرّكني لنظمها الخير الذي	قد جائنا في آخر العصر القذي
لما دعى الداعي من المشارق	بأمر رب العالمين الخالق
وبعث الله لنا مجددا	من أرض نجد عالما مجتهدا
شيخ الهدى محمد المحمدي	الحنبلي الأثري الأحمدي
فقام والشرك الصريح قد سرى	بين الورى وقد طغى واعتكرا
لا يعرفون الدين والتهليلا	وطرق الاسلام والسبيلا
إلا أساميها وباقي الرسم	والأرض لا تخلو من اهل العلم
وكل حزب فلهم وليجة	يدعونه في الضيق للتفريجة

وملة الإسلام والاحكام   في غربة وأهلها أيتـام

دعا إلى الله وبالتهليـلة   يصرخ بين أظهر القبيلة

مستضعفا وما له مناصر   ولا له معاون موازر

في ذلة وقلة وفي يده   مهفة تغنيـه عن مهنده

كأنها ريح الصبا في الرعب   والحق يعلو بجنود الرب

قد أذكرتني درّة لعمر   وضرب موسى بالعصا للحجر

ولم يزل يدعو الى دين النبي   ليس الى نفس دعا أو مذهب

يعلم الناس معاني أشهد   ان لا اله غير فرد يعبد

محمد نبيه وعبده   رسوله اليكمو وقصده

أن تعبدوه وحده لا تشركوا   شيئا به والابتداع فاتركوا

ومن دعا دون الاله أحداً   أشرك بالله ولو محمدا

ان قلتموا نعبدهم للقربة   أو للشفاعات فتلك الكذبة

وربنا يقول في كتابه   هذا هو الشرك بلا تشابه

هذي معاني دعوة الشيخ لمن   عاصره واستكبروا عن السنن

فانقسم الناس فمنهم شارد   مخاصم محارب معاند

ما بين خفاش وبين جعل   شاهت وجوه أهل هذا المثل

وبعد ما استجيب لله فمن   جادل في الله تردى وافتتن

ومن أجاب داعي الله ملك   ومن تولى معرضا فقد هلك

والسابقون الأوّلون السادة   آل سعود الكبار القادة

هم الغيوث والليوث والشنف   ونصرة الاسلام والشم الأنف

فأقبلوا والناس عنه أدبروا   وعرفوا من حقه ما أنكروا

حفّوا به كأسد العرائن   وكم وكم لله من ضنائن

وابن سعود كأبي أيوب   محمد الربئيل واليعسوب

قال اذهبوا فأنتموا سيوم   وجند ربي قبله حيزوم

وقام فاروق الزمان المؤتمن   عبد العزيز من ومن ومن

فسار في الناس كسيرة الاشج ودوخ البر وخاض للثبج
يسوس بالآثار والقرآن على طريق العدل والاحسان
يدعو الى الله بحزب غالب مجاهد بالاربع المراتب
ونفسه لله والنفيس والصدق للقلوب مغناطيس
وبعده قام الامام البارع بأمر رب العالمين الوازع
وهو الهزبر الضيغم العدل الولي سعود مخ الرأس قلب الهيكل
كم زع بالقرآن والسلطان من فارس والروم والزنجان
وفي العراقين له رعود ومصر من صولته مرعود
واليمن الميمون كالحجاز دوخها بالقهر والمغازي
والحرمين وهي المطهرة قد أصبحت بعدله معطره
بالرفق يدعوه وبالتعطف ومن أبي يطره بالمشرفي
ولم يكن في نزعه من ضعف وشاهد الواقع فيه يكفي
فلم أرى من عبقري يفري فريه من أمراء العصر
وهكذا من يبتذي بنفسه مجاهداً في يومه وأمسه
فانه يطاع لامحاله في خارج بيعاً بلا إقاله
ونغمات أمره مترجمه ليظهر الحق وتعلو الكلمه
وهو الغيور الشهم ليس يرضى ببيضة الاسلام أن ترضا
لا يطلب الدنيا ولا الفسادا في الارض والعلو والعنادا
أو مذهبا أو ذهباً يريد وإنما مطلوبه التوحيد

فصل

وأما تعييرهم أهل الاسلام بأن بلادهم بلاد مسيلمة الكذاب

فالجواب ان نقول سبحان الله ماعظم شأنه وأعز سلطانه فانه لايعير بهذا الكلام الا أشباه الانعام فان سكني الدار لاتؤثر فان الصحابة سكنوا مصر وبلاد الفرس وفضلهم لايزال في مزيد وإيمانهم قهر أهل الشرك والتنديد

وعادت تلك البقاع والاماكن من أفضل مساكن أهل التوحيد وقد روي الطبراني من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دخل ابليس العراق فقضي فيها حاجته ثم دخل الشام فطردوه ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عليها عبقريه» ولا يقول مسلم بذم علماء العراق لما ورد فيها وقال شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى وقد قال لي بعض الازهريين: مسيلمة الكذاب من خير نجدكم فقلت وفرعون اللعين رئيس مصركم فبهت، واين كفر فرعون من كفر مسيلمة لو كانوا يعلمون. وقال الشيخ ملا عمران ابن علي بن رضوان نزيل لنجة في رده على من عارض الشيخ محمد وعيره بان بلاده بلاد مسيلمة الكذاب قال بعد كلام سبق

قد عيروه بانه قد كان في ... وادي حنيفة دار من لم يسعد
قلنا لهم ماضر مصر بانها ... كانت لفرعون الشقي الأطرد
ان النماردة الفراعنة الاولى ... كانوا بأرض الله أهل تمرد
ذا قال انارب وذا متنبيء ... هم في بلاد الله أهل تردد
يمنا وشاما والعراق ومصرها ... من كل طاغ في البرية مفسد
فبموتهم طابت وطار غبارها ... وزهت بتوحيد الاله المفرد
ان المواطن لاتشرف ساكنا ... فيها ولا تهديه ان لم يهتد
من كان لله الكريم موحداً ... لو مات في جوف الكنيف المطرد
وبعكسه من كان يشرك فهو لم ... يفلح ولو قد مات وسط المسجد
خرج النبي المصطفى من مكة ... وبقى أبو جهل الذي لم يهتد
ان الاماكن لاتقدس أهلها ... ان لم يكونوا قائمين على الهدى

واما كونه أجبر أهلها يعني أهل الدرعية فمن الكذب والبهتان بل دخلوا في دين الله أفواجا واستجابوا لمن دعاهم الى الله وأدخلوا سائر أهل نجد ممن لم يقبل دين الله ورسوله في دين الله قهراً وقسراً وجاهدوهم حتى تبين لهم صحة هذا الدين وذاقوا حلاوته واطمأنوا به وجاهدوا مع الأمير محمد بن سعود من لم يدخل فيه حتى استوثقت له جزيرة العرب ودانت ثم ان الذين انكروا هذه الدعوة

من الدول الكبار والشيوخ وأتباعهم من أهل القرى والامصار أجلبوا على عداوة أهل الاسلام وهم إذ ذاك في عدد قليل وفي حال تخلف الاسباب عنهم وفقرهم فرموهم عن قوس العداوة فمن أهل نجد دهام بن دواس وابن زامل وآل بجاد أهل الخرج ومحمد بن راشد راعي الحوطة وتركي الهزاني وزيد ومن والاهم من الاعراب والبوادي كذلك العنقري في الوشم ومن تبعه وشيوخ قرى سدير والقصيم وبوادي نجد وابن حميد ملك الأحسا ومن تبعه من حاضر وبادي وكلهم تجمعوا لحرب المسلمين مراراً عديدة مع عريعر، وأولاده منها نزولهم على الدرعية وهي شعاب لا يمكن تحصنها بالابواب والبنا وقد أشار الى ذلك العلامة حسين بن غنام رحمه الله تعالى بقوله :

وجاؤا بأسباب من الكيد مزعج ... مدافعهم يزجي الوحوش رنينها

فنزلوا البلاد واجتمع من اجتمع من أهل نجد حتى قال من يدعي انه من العلماء وهو من أمثل علمائهم وعقلائهم لما سئل كيف أشكل عليكم أمر عريعر وفساده وظلمه وانتم تعينونه وتقاتلون معه فقال لو أن الذي جاء بكم ابليس كنا معه والمقصود أن الله تعالى ردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً وحمى الله تلك القرية فلم يشربوا من آبارها

وأما وزير العراق فمشى مراراً عديدة بما يقدر عليه من الجنود والكيد الشديد وأجرى الله تعالى عليهم من الذل ما لا يخطر ببال قبل أن يقع بهم ما وقع من ذلك أن ثويني في مرة من المرار مشى بجنوده الى الأحسا بعد ما دخل أهلها في الاسلام في حال حداثتهم بالشرك والضلال فلما قرب من تلك البلاد أتاه رجل مسكين لا يعرف من غير ممالات أحد من المسلمين فقتله فمات فنصر الله هذا الدين برجل لا يعرف وذلك مما به يعتبر فانقلبت تلك الجنود وتركوا ما معهم من المواشي والاموال خوفا من المسلمين ورعباً فغنمها بين من حضر وقد قال الشيخ حسين بن غنام في ذلك

تقاسمتم الاحساء قبل منالها ... فللروم شطر والبوادي لهم شطر

في أبيات كثيرة

ثم جددوا أسبابا لحرب المسلمين وساروا بدول عظيمة يتبع بعضها بعضاً

وكيد عظيم فنزلوا الاحساء وقائدهم علي كيخيا فتحصن من ثبت على دينه في الكوبت وثغر صاهود فنزل بهم وصار يضربهم بالمدافع والقنابر وحفر اللغوب، فاعجزه الله ومن معه ممن ارتدّ عن الاسلام فولىّ مدبراً بجنوده، فاجتمع بسعود ابن عبد العزيز في ثاج وغزوه الذين معه رحمه الله، والذين معه من المسلمين أقل من المنتفق أو آل ظفير الذين مع الكيخيا فالقى الله الرعب في قلوبهم على كثرتهم وقوتهم فصارت عبرة عظيمة فطلبوا الصلح على أن يدعهم سعود يرجعون إلى بلادهم فاعطاهم أمانا على الرجوع فذهبوا في ذل عظيم، فلما قدم كل منهم مكانه مات سليمان باشا وذلك من نصر الله لهذا الدين فاهلك الله من انشأ هذه الدول ثم قام علي كيخيا فصار هو الباشه فأخذ يجدد آلة الحرب، فجمع من الكيد والاسباب أعظم مما كان معه في تلك الكرة، فلما كملت أسبابه وجمع الجموع فلم يبق إلا خروجه لحرب المسلمين لينتقم من أهل هذا الدين سلط الله صبيين مملوكين عنده يبيتون معه فقتلوه آخر الليل، فخمدت تلك النيران، وتفرقت تلك الاعوان، فما قام لهم قائمة فيالها عبرة ما أظهرها لمن له أدنى بصيرة فاعتبروا ياأولي الابصار، أين ذهب عقل من أنكر هذا الدين، وجادل وكابر في دفع الأدله على التوحيد وماحل.

وكذلك ماجرى في حرب أشراف مكة لهذه الدعوة الاسلامية والطريقة المحمدية، وذلك أنهم من أول من بدأ المسلمين بالعداوة فحبسوا حاجهم فمات في الحبس منهم عدد كثير ومنعوا المسلمين من الحج أكثر من ستين سنة، وفي أثناء هذه المدة سار اليهم الشريف غالب بعسكر كثيف وكيد عنيف، وقدم أخاه عبد العزيز قبله في الخروج فنزل قصر بسام فأقام مدة يضرب بالمدافع والقنابر وجر عليه الزحافات فأبطل الله كيده على هذا القصر الضعيف بناؤه، القليل رجاله، فرحل منه ووافى غالباً ومعه أكثر الجنود، ومعه من الكيد مثل ماكان مع أخيه أو يزيد، فنزلوا جميعاً الشعرى فجد في حربهم بكل كيد فأعجزه الله تعالى عن ذلك البناء الضعيف الذي لم يتأهب أهله لحرب بالبنا والسلاح، فأبطل الله كيده ورده عنهم بعد الاياس، فسلط الله المسلمين على من كان معه من الاعراب

خصوصاً مطير فاوقع الله بهم في العـدوة ومعهم مُطلق الجربا فهزمهم الله تعالى وغنم المسلمون جميع ما كان معهم من الابل والخيل وسائر المواشي فصار ماذكرناه من نصر الله وتأييده لأهل هذا الدين عبرة عظيمة ، وفي جمـلة قتلاهم حصان ابليس . وبعد ماذكرناه جدَّ غالب في الحرب واجتهـد ، لكن صار حربه للأعراب ، ولم يتعد النير فيغزوعلى من استضعفه ويغير ، فأعطى الله اعراب المسلمين الظفر عليه في عدة وقعات من أعظمها وقعة الخرمة على يد ربيع وغزوه من أهل الوادي وبعض قحطان فهزمه الله تعالى واشتد القتل في عسكره فأخذوا جميع ما كان معه من المواشي وغيرها ، فصار بعد ذلك في ذل وهوان ففتح الله الطائف للمسلمين ، وصار أميره عثمان بن عبدالرحمن فاجتمع فيه دولة للمسلمين وساروا لحرب الشريف ومعهم عبـد الوهاب أبو نقطة أمير عسير ، وسالم ابن شكبان أمير أهل بيشة فنزلوا دون الحرم ، فخرج اليهم عسكر من مكة فقتلوه . فطلب الشريف المذكور منهم الأمان فلم يقبلوا منه إلا الدخول في الاسلام والبيعة للأمام سعود فاعطاهم البيعة على يد رجال بعثوهم اليه ، هذا بعد وقعات تركنا ذكرها كراهة الاطالة لأن القصد بهذا الوضع الاعتبار بما جرى لأهـل هـذه الدعوة من النصر والتأييد ، والظهور على قلة أسبابهم ، وكثرة عدوهم وقوته . وذلك من آيات الله وبيناته على أن ماقام به هـذا الشيخ في حال فساد الزمان الدين الذي بعث الله به المرسلين ، وتبين أن هذه الطائفة في هذه الازمنة هي الطائفة المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم « ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » وقد كانت هذه الطائفة قبل ظهور الشيخ فيما تقدم موجودة في الشام ، والعراق ومصر وغيرها بوجود أهل السنة وأهل الحديث في القرون المفضلة وبعدها ، فلما اشتدت غربة الاسلام ، وقلّ أهـل السنة ، واشتـد النكير عليهم ، وسـعى أهـل البـدع في ايصال المكر اليهم ، منَّ الله بهـذه الدعوة ، فقامت بهـا الحجة ، واستبانت المحجة

والمقصود أن كل من ذكرنا ممن عاداهم من أهل نجد والاحساء وغيرهم

من البوادي أهلكهم الله ولحقتهم العقوبة حتى في الذراري والأموال ، فصارت أموالهم فيئاً لأهل الاسلام ، وانتشر ملكهم ، وصار كل من بقي في أماكنهم سامعاً مطيعاً لامام المسلمين القائم بهذا الدين ، فانتشر ملك أهل الاسلام حتى وصل الى حدود الشام ، مع الحجاز ، وتهامة ، وعمان ، فصاروا بحمد الله في أمن وأمان ، يخافهم كل مبطل وشيطان ، ففي هذا معتبر لأهل الاعتبار ، مع ماوقع بمن حاربهم من الخراب والدمار ، واستيلاء المسلمين على ماكان لهم من العقار والديار ، فلا يرتاب في هذا الدين بعد هذا البيان إلا من عميت بصيرته ، وفسدت علانيته وسريرته ، انتهى من المقامات التي ألفها الشيخ الامام عبد الرحمن ابن حسن مفتي الديار النجدية رحمه الله تعالى.

وأما قوله : أما ولادته فقد كانت سنة ألف ومائة واحدى عشرة سنة فقد قدمنا أنه ولد رحمه الله سنة ١١١٥ خمس عشرة بعد المائة والالف من الهجرة النبوية هذا هو الصحيح

وأما قوله وكان في ابتداء أمره من طلبة العلم يتردد إلى مكة والمدينة لأخذه عن علمائها ، وممن أخذ عنه في المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي والشيخ محمد حياة السندي فأقول :

قد تقدم بيان رحلته وطلبه للعلم ، وعن من أخذ عنه من العلماء في المدينة المنورة ، ومكة المشرفة ، والبصرة ، والاحساء ، وعن علماء نجد بما أغنى عن اعادته

وأما قوله وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من المشايخ الذين أخذ عنهم يتفرسون فيه الغواية والالحاد ، ويقولون سيضل الله تعالى هذا ، ويضل به من أشقاه إلى آخر ماافترعه هذا العراقي الملحد وافتراه

فالجواب أن هذا النقل كذب وافتراء من غير شك ولا امتراء ، ثم لو فرضنا صحة هذا النقل لم يكن هذا القول عمن لاينطق عن الهوى ، بل لايعجز الخصم الذي لايخاف الله ولا يتقيه عن أكثر من هذا القول وأوخم والحش منه وأعظم ، وقد قدمنا من حال الشيخ ودعوته إلى الله وحسن سيرته مايعتبر به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

فيالك من آيات حق لو اقتدى بهن مريد الحق كن هواديا
ولكن على تلك القلوب غشاوة فليست وإن أصغت تجيب المناديا

وأما قوله: وكذلك كان ابوه عبد الوهاب وهو من العلماء الصالحين يتفرس فيه الالحاد، ويحذر الناس منه الخ

فالجواب أن نقول: وهذا أيضاً من الكذب والبهتان، والزور والعدوان، بل كان والده يعظمه ويعترف بالاستفادة منه، ولم ينقل عن والده هذا النقل من يعتد بنقله، وانما يرميه بمثل هذا البهت، وينسبه اليه من جعل زوره وقدحه في أهل العلم والايمان جسراً يتوصل منه، ويعبر إلى ما انطوى عليه، وزينه له الشيطان من عبادة الصالحين والتوسل بهم، وعدم الدخول تحت أمر أولي العلم وترك القبول منهم، والاستغناء بما نشأ عليه أهل الضلال واعتادوه من العقائد الضالة، والمذاهب الجائرة.

وأما نسبة ذلك إلى أخيه سليمان فلا مانع من ذلك لولا وجوب رد خبر هذا الفاسق وعدم قبوله إلا بعد التبين، ثم لو فرضت صحته فمن سليمان وما سليمان، وهذه دلائل السنة والقرآن تدفع في صدره، وتدرأ في نحره، وقد اشتهر ضلاله ومخالفته لأخيه مع جهله وعدم ادراكه لشيء من فنون العلم. قال شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله وقد رأيت له رسالة يعترض على الشيخ، وتأملتها فاذا هي رسالة جاهل بالعلم والصناعة، مزجى التحصيل والبضاعة، لا يدري ماطحاها، ولا يحسن الاستدلال بذلك على من فطرها وسواها، هذا وقد من الله وقت تسويد هذا بالوقوف على رسالة لسليمان فيها البشارة برجوعه عن مذهبه الأول، وأنه قد استبان له التوحيد والايمان، وندم على مافرط من الضلال والطغيان، وهذا نصها.

بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن عبد الوهاب الى الاخوان احمد بن محمد التويجري، واحمد ومحمد ابنا عثمان بن شبانه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فأحمد اليكم الله

الذي لا إله الا هو ، وأذكركم مامنّ الله به علينا وعليكم من معرفة دينه ، ومعرفة ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده ، وبصرنا به من العمى ، وانقذنا به من الضلالة ، وأذكركم بعد أن جئتونا في الدرعية من معرفتكم الحق على وجهه وابتهاجكم به ، وثنائكم على الله الذي انقذكم ، وهذا دأبكم في سائر مجالسكم عندنا ، وكل من جاءنا من حمد الله يثني عليكم والحمد لله على ذلك ، وكتبت لكم بعد ذلك كتابين غير هذا أذكركم وأعظكم ، ولكن ياإخواني معلومكم ماجرى منا من مخالفة الحق واتباعنا سبيل الشيطان ، ومجاهدتنا في الصدّ عن اتباع سبل الهدى . والآن معلومكم لم يبق من أعمارنا الا اليسير ، والأيام معدودة ، والأنفاس محسوبة ، والمأمول بنا أن نقوم لله ونفعل مع الهدي أكثر مما فعلنا مع الضلال ، وأن يكون ذلك لله وحده لاشريك له لا لما سواه ، لعل الله يمحو عنا سيئات مامضى ، وسيئات مابقى ، ومعلومكم عظم الجهاد في سبيل الله ، وما يكفر من الذنوب ، وأن الجهاد باليد ، واللسان ، والقلب ، والمال ، وتفهمون أجر من هدى الله به رجلا واحداً ، والمطلوب منكم أكثر مما تفعلون الآن : وأن تقوموا لله قيام صدق ، وأن تبينوا للناس الحق على وجهه ، وأن تصرحوا لهم تصريحاً بيناً بما أنتم عليه أولا من الغيّ والضلال ، فياإخواني الله الله فالأمر أعظم من ذلك ، فلو خرجنا نجأر إلى الله في الفلوات ، وعدّنا الناس من السفهاء والمجانين في ذلك ، لما كان ذلك بكثير منا وأنتم رؤساء الدين والدنيا في مكانكم أعز من الشيوخ والعوام كلهم تبع لكم فاحمدوا الله على ذلك ، ولا تعلثوا بشيء من الموانع ، وتفهمون أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابدّ أن يرى مايكره ولكن أرشدكم في ذلك إلى الصبر كما حكي عن العبد الصالح في وصيته لابنه فلا أحق من أن تحبوا لله ، وتبغضوا لله ، وتوالوا لله ، وتعادوا لله ، وترى يعرض في هذا أمور شيطانية ، وهي أن من الناس من ينتسب لهذا الدين ، وربما يلقي الشيطان لكم أن هذا ماهو بصادق وأن له ملحظ دنيوي ، وهذا أمر مايطلع عليه إلا الله ، فاذا أظهر أحد الخير فاقبلوا منه ووالوه ، فاذا ظهر من أحد شر وادبار عن الدين فعادوه وأكرهوه ولو أحب حبيب ، وجامع الأمر في هذا أن الله خلقنا

لعبادته وحده لاشريك له ، ومن رحمته بعث لنا رسولا يأمرنا بما خلقنا له ، ويبين لنا طريقه ، وأعظم مانهانا عنه الشرك بالله وعداوة أهله وبغضهم ، وتبيين الحق ، وتبيين الباطل ، فمن التزم ماجاء به الرسول فهو أخوك ولو ابغض بغيض ومن نكب عن الصراط المستقيم فهو عدوك ولو هو ولدك أو أخوك ، وهـذا شيء أذكركموه مع اني بحمد الله تعلمون ماذكرت لكم ، ومع هذا فلا عذر لكم عن التبيين الكامل الذي لم يبق معه لبس ، وأن تذاكروا دائماً في مجالسكم ماجرى منا ومنكم أولا ، وان تقوموا مع الحق أكثر من قيامكم مع الباطل فلا احق من ذلك ولا لكم عذر لأن اليوم الدين والدنيا ولله الحمد مجتمعة في ذلك فتذاكروا ماأنتم فيـه أولا من أمور الدنيا من الخوف والاذى ، واعتلاء الظلمة والفسقة عليكم ، ثم رفع الله ذلك كله بالدين وجعلكم السادة والقادة ، ثم أيضاً مامنّ الله به عليكم من الدين . انظروا مسألة واحدة فما نحن فيه من الجهالة كون البـدوي تجري عليه أحكام الاسلام مع معرفتنا أن الصحابة قاتلوا أهـل الردة وأكثرهم متكلمين بالاسلام ، ومنهم من اتى بأركانه ، ومع معرفتنا انه من كذب بحرف من القرآن كفر ولو كان عابداً ، وأن من استهزأ بالدين أو بشيء منه فهو كافر ، وأن من جحد حكماً مجمعاً عليه فهو كافر الى غير ذلك من الأحكام المكفرات ، وهذا كله مجتمع في البدوي وازيد ، ونجري عليه أحكام الاسلام اتباعاً لتقليد من قبلنا بلا برهان . فياخواني تأملوا وتذكروا في هذا الأصل يدلكم على ماهو أكبر من ذلك ، وانا اكثرت عليكم الكلام لوثوقي بكم انكم ماتشكون في شيء فيما تحاذرون ، ونصيحتي لكم ولنفسي والعمدة في هذا أن يصير دأبكم في الليل والنهار أن تجأروا إلى الله تعالى أن يعيذكم من شرور أنفسكم وسيئات أعمالكم وأن يهديكم إلى الصراط المستقيم الذي عليه رسله وأنبياؤه ، وعباده الصالحون وأن يعيذكم من مضلات الفتن ، والحق واضح وابلوج ، وماذا بعـد الحق إلا الضـلال ، فالله الله ترى الناس إليّ في جهاتكم تبع لكم في الخير والشر ، فان فعلتوا ماذكرت لكم ماقدر أحد من الناس يرميكم بشر ، وصرتو كالأعلام هداية للحيران ، فان الله سبحانه وتعالى هو المسؤول أن يهدينا واياكم سُبل السلام ،

والشيخ وعياله وعيالنا طيبين ولله الحمد ويسلمون عليكم ، وسلموا لنا على من يعز عليكم والسلام . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، اللهم اغفر لكاتبها ولوالديه ، ولذريته ، ولمن نظر فيه ، ودعا له بالمغفرة والمسلمين والمسلمات اجمعين اهـ

وأما تأليفه الرد على أخيه فنعم وذلك في حال ضلالته ونفوره عن دين الاسلام ، فلما هداه الله وتبين له صحة مادعا اليه الشيخ من توحيد الله وافراده بالعبادة ، وترك عبادة ماسواه تبين له سوء عمله وزيغه وضلاله ، فرجع عما كان يعتقده من الضلال والعمى إلى طريقة أهل الحق والهدى كما صرح به في رسالته المتقدم ذكرها والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فصل

وأما قوله وكان محمد هذا بادىء بدأته كما ذكره بعض المؤلفين مولعاً بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب وسجاح والاسود العنسي وطليحة الأسدي وأضرابهم ، فكان يضمر في نفسه دعوى النبوة إلا انه لم يتمكن من اظهارها

(فالجواب) أن نقول (مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون إلا كذبا) فان هذا معلوم كذبه بالاضطرار لايمتري فيه من له أدنى معرفة بمقادير الائمة الأخيار ومن طالع كتب الشيخ ومصنفاته ورسائله وتأمل حال نشأته ودعوته الى الله تبين له أن هذا من الكذب والافتراء وانه من وضع أعداء الله ورسوله الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ويسعون في الارض فسادا والله لايحب الفساد (يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون)
وهذا العراقى الملحد لما لم يكن له حيلة في دفع ما من الله به من ظهور الاسلام أخذ في رد ماجاء به من البينات والهدى بالكذب والافتراء وقبله اناس أتوا باعظم الاسباب ، وزجوا الخلافة في لجة الضلال والارتياب ، وضجوا على دعوة الحق بالتكذيب والاكذاب ، وعجوا مطبقين على الشيخ بأنه ساحر أو مفتر أو كذاب

وحكموا بكفره واستحلال دمه وماله وجميع من له من الاصحاب وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وصنفوا في رد هذا الدين مصنفات وافتروا من الأكاذيب على الشيخ واكثروا من الترهات ولم يكن لهم قصد ولا مرام إلا تنفير الخواص والعوام فأتوا بهذه المجونات والخرافات التي لاتروج إلا على من أعمى الله بصيرة قلبه من أهل تلك القلوب المقفلات (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وسيقف هو وإياهم بين يدي عدل لايظلم ولا يجور فيجازي كلا بعمله يوم النشور وحسبنا الله ونعم الوكيل

قال العراقي الملحد: وكان يسمي جماعته من اهل بلده الانصار ويسمي متابعيه من الخارج المهاجرين وكان يأمر من حج حجة الاسلام قبل اتباعه أن يحج ثانية قائلا أن حجتك الاولى غير مقبولة لانك حججتها وانت مشرك ويقول لمن أراد أن يدخل في دينه إشهد على نفسك أنك كنت كافرا واشهد على والديك انهما ماتا كافرين واشهد على فلان وفلان ويسمي له جماعة من أكابر العلماء الماضين انهم كانوا كفارا فان شهد بذلك قبله وإلا أمر بقتله وكان يصرح بتكفير الامه منذ ستمائة سنة ويكفر كل من لايتبعه وان كان من اتقى المسلمين ويسميهم مشركين ويستحل دماءهم واموالهم ويثبت الايمان لمن إتبعه وان كان من افسق الناس وكان عليه مايستحقه من الله يتنقص النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا بعبارات مختلفة منها قوله انه طارش وهو في لغة العامة بمعنى الشخص الذي يرسله أحد الى غيره والعوام لايستعملون هذه الكلمة فيمن له حرمة عندهم ومنها قوله إني نظرت في قصة الحديبية فوجدت فيهم كذا وكذا من الكذب الى غير ذلك من الالفاظ الاستخفافية حتى إن بعض اتباعه يقول بحضرته إن عصاي هذه خير من محمد لاني انفع بها، ومحمد قد مات فلم يبق فيه نفع وهو يرضى بكلامه وهذا كما تعلم كفر في المذاهب الاربعة

فالجواب عن هذه المطاعن كلها أن نقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) بل هذا من افك الوضاعين الذين شرقوا بهذا الدين وانكرته قلوبهم فموهوا بهذه

الاوضاع على الجهال والطغام وصادفت قلوبا قد ملئت بالشرك وعداوة أهل الأسلام فكانوا لما يبديه هؤلاء يصدقون (ولتصغى اليه افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون)

(وأما قوله) ومنها أنه كان يكره الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وينهى عن ذكرها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنابر ويعاقب من يفعل ذلك عقابا شديدا حتى إنه قتل رجلا اعمى مؤذنا لم ينته عما أمره بتركه من ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان ويلبس على اتباعه قائلا إن ذلك محافظة على التوحيد

(فالجواب أن نقول) أما النهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي لفظ كان فلم ينه عنه بل هو من الكذب والبهتان

وأما الجهر بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الاذان وعلى المنابر يوم الجمعة غير الامام الذي يخطب فهو بدعة محدثة وإزالة المنكر والبدعة وتغييرها واجب بدلائل الاحاديث الصحيحة فان ذلك لم يكن على عهد الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعين وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « من احدث في امرنا هذا ماليس منه فهو رد » وفي لفظ « من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد »

(وأما قوله) وكان قد احرق كثيرا من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كدلائل الخيرات وغيرها

(فالجواب أن نقول) أما مسألة منع الناس من قراءة دلائل الخيرات فقد أجاب عنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته التي كتبها الى عبد الرحمن ابن عبد الله حيث قال: وأما دلائل الخيرات فله سبب وذلك اني أشرت على من قبل نصيحتي من اخواني أن لا يصير في قلبه أجل من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القرآن وأما احراقه والنهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي لفظ كان فهذا من البهتان اه

(وأما قوله) وكذلك احرق كثيرا من كتب الفقه والتفسير والحديث مما هو مخالف لاباطيله وكان يأذن لكل من اتبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه

فأقول وهذا كله من الكذب والبهتان والزور والعدوان وقد قال الشيخ ملا عمران نزيل لنجه في رد مفتريات بعض هؤلاء الوضاعين فيما افتروه على الشيخ من الاكاذيب فأحببت أن اذكرها لاشتمالها على بعض ماذكره هذا العراقي قال رحمه الله تعالى

جاءت قصيدتهم تروح وتغتدي ... في سب دين الهاشمي محمد
قد زخرفوها للعوام بقولهم ... إن الكتاب هو الهدى فيه اقتد
لو أن ناظمها تمسك بالذي ... قد قال فيها أولا اذ يبتدي
بهدى. ووفق ثم حاز سعادة ... لاشك فيها عند كل موحد
لكنه قد زاغ عما قاله ... متأولا فيه بتأويل زد
فاتت كشهد فيه سم ناقع ... من ذاق منه ففي الهلاك المبعد
اذ شبه الشيخ الامام المهتدي ... بأخي مسيلمة الكفور المعتدي
فهو الذي ان مات معتقداً بذا ... ياويله ماذا يلاقي في غد
ماذا يجيب وما يقول ومن له ... يوم القيامة وهو خصم محمد
قد شبه التوحيد بالكفر الذي ... شهد الكتاب وسنة احمد
الشيخ شاهد بعض أهل جهالة ... يدعون أصحاب القبور الهمد
تاجاً وشمسان ومن ضاهاهما ... من قبة أو تربة أو مشهد
يرجون منهم قربة وشفاعة ... ويؤملون كذاك أخذاً باليد
ورأوا لعباد القبور تقربا ... بالنذر والذبح الشنيع المفسد
ما أنكر القراء والأشياخ ما ... شهدوا من الفعل الذي لم يحمد
بل جوزوه وشاركوا في أكله ... من كان يذبح للقبور ويفتدي
فأتاهم الشيخ المشار اليه بالنصح المبين وبالكلام الجيد
يدعوهمو لله أن لا تعبدوا ... إلا المهيمن ذا الجلال السرمد
لاتشركوا ملكا ولا من مرسل ... كلا ولا من صالح أو سيد
فتنافروا عنه وقالوا : ليس ذا ... إلا عجيب عندنا لم يعهد
ماقاله آباؤنا ايضا ولا ... أجدادنا أهل الحجى والسؤدد

انا وجدنا جملة الآبا على … هذا فنحن بما وجدنا نقتدي
فالشيخ لما ان رأى ذا الشأن من … أهل الزمان اشتد غير مقلد
ناداهمو يا قوم كيف جعلتموا … لله أنداداً بغير تعدد
قالوا له : بل ان قلبك مظلم … لم تعتقد في صالح متعبد
قد عيروه بأنه قد كان في … وادي حنيفة دار من لم يسعد
قلنا لهم ماضر مصر بأنها … كانت لفرعون الشقي الأطرد
ان النماردة الفراعنة الأولى … كانوا بأرض الله أهل تمرد
ذا قال أنا رب وذا متنبيء … هم في بلاد الله أهل تردد
يمنا وشاما والعراق ومصرها … من كل طاغ في البرية مفسد
فبموتهم طابت وطار غبارها … وزهت بتوحيد الاله المفرد
إن المواطن لم تشرف ساكنا … فيها ولا تهديه ان لم يهتد
من كان لله الكريم موحداً … لومات في جوف الكنيف المطرد
وبعكسه من كان يشرك فهو لم … يفلح ولو قد مات وسط المسجد
خرج النبي المصطفى من مكة … وبقي أبو جهل الذي لم يهتد
ان الاماكن لا تقدس أهلها … ان لم يكونوا قائمين على الهد
لو أنصفوا لرأوا له فضلا على … اظهار ما قد ضيقوه من اليد
ودعوا له بالخير بعد مماته … ليكافئوه على وفاق الموشد
لكنهم قد عاندوا وتكبروا … ومشوا على منهاج قوم حسد
ورموه بالبهتان والافك الذي … هم يعملون به ومنهم يبتد
كمقالهم هو للمتابع قاطع … بدخول جنات وحور خرد
حاشا وكلا ليس هذا شأنه … بل انه يرجو بها لموحد
قالوا له: أشقى الورى مع كونه … ينهى عن الأنداد للمتفرد
قالوا له : يا سالكا طرق الردى … لم لاتسير على الطريق الأرشد
وهمو يرون الشمس ظاهرة لهم … لكن أعمى القلب ليس بمهتد
قالوا له : يا كافرا يا فاجرا … ماضره قول العداة الحسد

قالت قريش قبلهم للمصطفى ذا ساحر ذا كاهن ذا معتد

قد أتهموه بأنه يغتال في تأذينه ليجيء أهل المسجد

فاذا أتوا قتلوا بغير جناية تالله هذا إفك أفاك رد

قالوا يعم المسلمين جميعهم بالكفر . قلنا : ليس ذا بمؤكد

بل كل من جعل العديل لربه ونهي قصد فذاك كالمتهود .

قالوا له : غشاش أمة أحمد وهو النصيح بكل وجه يبتدى

هل قال الا وحدوا رب السما وذروا عبادة ما سوى المتفرد

وتمسكوا بالسنة البيضا ولا تتنطعوا بزيادة وتردد

هذا الذي جعلوه غشا وهو قد نطقت به الرسل الكرام لمن هدي

من عهد آدم ثم نوح هكذا تترى إلى عهد النبي محمد

وكذلك الخلفاء بعد نبيهم والتابعون وكل حبر مهتد

منهاجهم. هذا عليه تمسكوا من كان مستنا بهم فليقتد

عجبا لمن يتلو الكتاب ويدّعي علم الحديث مسلسلا في المسند

ويقول للتوحيد غشا ان ذا خطر على من قال فلتشهد

ويجدد الأسلام والايمان معـــتقداً بأن الشيخ خير مجدد

ماذنبه في الناس إلا أنه هد القباب وتلك سيرة أحمد

ماصح عهد ثقيف لما عاهدوه إلا بهدم اللات لو لم يعبد

ما اللات إلا كان عبدا صالحا لتّ السويق لطائف متعبد

لما توفي عظموا لضريحه كصنيع عباد القبور النكد

اذ كان حياً قادرا قاموا باطـــعام له وبكسوة وتفقد

وإذا توارى عنهموا في قبره جعلوه ندا للاله السيد

ولقد رأى الفاروق يوما قبة نصبت على قبر تشد بأعمد

فأشار تحدّوها دعوه يظله عمل له ان لم يكن عمل ردي

وحديث أبي الهياج فيه كفاية لذوي البصائر والعقول النقد .

في طمس تمثال وقبر مشرف جاء الحديث به الصحيح لمسند

لما نفى الاطراء منهم والغلو ... قالوا أتيت بذا الجفاء المبعد

لو كان حبك للنبي محققا ... لفعلت فعلتنا لعلك تهتدي

أما الدلائل فهو لم ينكر بها ... صلوات أزكى العالمين الأمجد

إلا التظاهر بالغلو وجعلها ... درساً يكرر في كتاب مفرد

فترى لهم حرصاً على تجويدها ... خطاً وتزويقا وحسن مجلد

لا يعتنون بمصحف لهمو كما ... هم يعتنون براتب وبمولد

فلو اعتنى رب الدلائل بالذي ... يأتي عقيب تشهد المتشهد

لكفاه كل مؤنة وتكلف ... ومشى على النهج القويم الأرشد

سأل النبي من الصحابة سائل ... كيف الصلاة عليك كالمسترشد

فأجاب يرشده بما قد جاء في ... قول المصلي دبر كل تشهد

لوحت فيه ولم أصرح حيث لم ... يدخل على وزن القريض المنشد

هذا الكلام على الدلائل ليس ما ... قد قاله من شذ عن ذا المقصد

وكذاك في روض الرياحين الذي ... فيها الغلو بصالح وبسيد

والله قد ذم الغلو فقال يا ... أهل الكتاب بغلظة وتهدد

اذ قال لا تغلو بنهي لازم ... في دينكم فالحكم لم يتردد

وكذا الرسول نهى وأخبر انه ... فيه الهلاك لراهب متعبد

عجباً لهم لو كان فيهم منصف ... لرأى المحب محمداً لمحمد

من حيث ان الاتباع مقارن ... للحب في نص الكتاب الأمجد

قالوا : صبأتم نحوه ، قلنا لهم : ... الحق شمس للبصير المهتدى

ما بيننا نسب نميل به ولا ... حسب يقربنا له بتودد

أيضاً ولا هو جارنا الأدنى الذي ... نمتار نعمته ولم نسترفد

لكنها شمس الظهيرة قد بدت ... لذوي البصائر فاهتدى من يهتدى

فالعالمون العاملون المنصفو ... ن له أقروا بالفضائل واليد

لكن قليل منهموا في عصرنا ... كالشعرة البيضا بجلد اسود

والله قد ذم الكثير وقال في ... حق القليل مقاله لم تجحد

بسباوص فاتلها متدبرا تلق الصحيح بها فخذه نهتد
فان اعتراكم في الذي قد قاله شك وريب واختلاف يبتدى
فزنوا بميزان الشريعة قوله تجدوه حقا ظاهراً للمقتدى
ولئن وجدتم فاسقا أو جافيا أو جاهلا في العلم كالمتردد
قد زلّ يوماً أو هفا لا تنسبوا هفواته لجناب ذاك المرشد
فالآل والأصحاب ماذا ضرهم من بعدهم تكدير صافي المورد
من بعد ذاك الاجماع على الهدى ظهروا وذوي فرق وأهل تبدد
ماذا يضر السحب نبح الكلاب أم ماذا يضر الصحب سب الملحد
ثم الصلاة على النبي محمد أزكى الورى أصلا وأطيب محتد
والآل والاصحاب جمعاً كلما قد ذب عن ذا الدين كل موحد

فصل

قال العراقي :

تمسك ابن عبد الوهاب في تكفير الناس بايات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين

(الجواب أن يقال) هذا كذب بحت فانه لا يكفّر رحمه الله أهل التوحيد ولا يحمل الآيات النازلة في المشركين على الموحدين ، وانما يكفّر من أشرك بالله في عبادته واتخذ معبودا سواه ، مع ان هذا المعترض لم يذكر الايات التي زعم ان الشيخ رحمه الله تمسك بها في تكفير الناس حتى ننظر هل كان محقا في ذلك القول أو مبطلا ضالا ؟ ويقال أيضا : ان من منع تنزيل القرآن وما دل عليه من الأحكام على الاشخاص والحوادث التي تدخل تحت العموم اللفظي فهو من أضل الخلق وأجهلهم بما عليه أهل الاسلام وعلماؤهم قرونا بعد قرن ، وجيلا بعد جيل ، ومن أعظم الناس تعطيلا للقرآن وهجرا له وعزلا له عن الاستدلال به في موارد النزاع ، وقد قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) الاية . والرد الى الله هو الرد الى كتابه ، والرد الى الرسول رد الى سنته ، وقد

قال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) وقد قال تعالى (لأنذركم به ومن بلغ) فنصوصه وأحكامه عامة لا خاصة بخصوص السبب ، وما المانع من تكفير من فعل كما فعلت اليهود من الصد عن سبيل الله والكفر به مع معرفته وهذا العراقي لا يدري قولة في اعتراضه وتلبيسه الا هي أكبر من أختها في الجهالة والضلالة ولو كان يعرف الكتاب العزيز وما دل عليه من الاحكام والاعتبار لأحجم عن هذه العبارات التي لا يقولها الا أفلس الخلق من العلم والايمان

(وأما قوله) وروى البخاوي في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين وفي رواية أخرى عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال « أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه » فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب وأتباعه

(فالجواب أن يقال) هذا الوصف هو المنطبق عليك وعلى من نحا نحوك من أهل الضلال حيث زعمت ان كتاب الله وسنة رسوله ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات فتؤل إما إجمالا ويفوض أمرها الى الله وإما تفصيلا كما هو رأي الكثيرين فالذي يتأول القرآن ويضعه في غير موضعه ويصرفه عن القول الراجح الى القول المرجوح بالتحكم والهوى — لان كتاب الله وسنة رسوله عندكم أدلتهما ظنية لا تعارض نتائج عقول الفلاسفة وورثة المجوس والصائبة وطواغيت اليونان ومن أخذ بأقوالهم من المتكلمين بل قد صرحت أن العقل يقدم على النقل — فمن قدم معقول هؤلاء على كتاب الله وسنة رسوله فقد خرج من الدين وفارق جماعة المسلمين وأما ابن عبد الوهاب فهو وأتباعه لا يتأولون القرآن ولا يضعونه في غير موضعه بل يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ولا يتأولون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما تفعلون أنتم في تأويل آيات الصفات وأحاديثها وحاصل مقصود هذا العراقي ونقله تشبيه أهل الاسلام والتوحيد بالخوارج في تكفيرهم من عبد الانبياء والأولياء والصالحين ودعاهم مع الله — لان عباد القبور عنده هم أهل التوحيد وأهل الاسلام — من جنس الخوارج الذين يكفرون أهل القبلة ، هذا

حاصل كلامه ومضمون خطابه وهذا داء قديم في أهل الشرك والتعطيل، من كفّرهم بعبادة غير الله وتعطيل أوصافه وحقائق أسمائه قالوا له أنت مثل الخوارج يكفرون بالذنوب ويأخذون بظواهر الآيات ومعلوم أن الذنوب تتفاوت وتختلف بحسب منافاتها لأصل الحكمة المقصودة بايجاده العالم وخلق الجن والانس وبحسب مايترتب عليها من هضم حقوق الربوبية وتنقص رتبة الالهية وقد كفّر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بكثير من جنس الذنوب كالشرك وعبادة الصالحين وأخبر انه أكبر الكبائر كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أي الذنوب أعظم؟ قال «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قال قلت ثم أي؟ قال «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قال قلت ثم أي؟ قال «ان تزاني حليلة جارك» فانزل الله تعالى (والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون) الآية فمن انكر التكفير جملة فهو محجوج بالكتاب والسنة ومن فرّق بين مافرق الله ورسوله من الذنوب ودان بحكم الكتاب والسنة وإجماع الأمة في الفرق بين الذنوب والكفر فقد أنصف ووافق أهل السنة والجماعة ونحن لم نكفر أحداً بذنب دون الشرك الأكبر الذي اجمعت الأمة على كفر فاعله إذا قامت عليه الحجة وقد حكى الاجماع على ذلك غير واحد كما حكاه في الاعلام لابن حجر الشافعي

وأما قوله ويظهر من أقواله وأفعاله أنه كان يدعي أن ما أتى به دين جديد

فالجواب أن نقول بل الذي يظهر من أفعاله وأقواله خلاف مايزعمه هؤلاء الضلال فانه كان رحمه الله على الدين العتيق الذي كان عليه "سلف الصالح والصدر الأول من الدعوة الى دين الله كما قال رحمه الله في رسالته الى عبد الله بن محمد ابن عبد اللطيف الاحسائي قال: واما ماذكرتم عني فاني لم آته بجهالة بل أقول ولله الحمد والمنة وبه القوة انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ولست ولله الحمد ادعو الى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو امام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي او ابن كثير أو غيرهم بل ادعو الى الله وحده لاشريك له وادعو الى سنة رسول الله صلى الله عليه

وسلم التي وصى بها أول أمته وآخرهم وأرجو اني لا أرد الحق اذا أتاني بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتاني منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقول الا الحق اه فهذا نص كلامه رحمه الله كما ترى لم يقل فيه ولا في غيره من كلامه ان ما أدعوكم اليه دين جديد بل كان رحمه الله يجدد ما اندرس من معالم الدين العتيق ويوطد اساس الملة المحمدية التي انطمست أعلامها وأقوت رسومها كما قال الامير محمد بن اسمعيل الصنعاني رحمه الله في أبيات له قال فيها

قفي واسألي عن عالم حل سوحها ... به يهتدى من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل ... ولا كل قول واجب الرد والطرد
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جل يا ذا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فانها ... تدور على قدر الأدلة في النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بانه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ... ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادما ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
اعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة ... أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل ... ومستلم الأركان منهن باليد

وقال الشيخ الامام عالم الأحساء أبو بكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى في أبيات له

لقد رفع المولى به رتبة الهدى ... بوقت به يعلى الضلال ويرفع
سقاه نمير الفهم مولاه فارتوى ... وعاد بتيار المعارف يقطع
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه ... وأوهي به من مطلع الشرك مهيع

سما ذروة المجد التي مارتقى لها سواه ولا حاذى فناها سميدع
وشمر في منهاج سنة أحمد يشيد ويحيي ما تعفى ويرقع
يناظر بالآيات والسنة التي أمرنا اليها في التنازع نرجع
فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها وامسى محياها يضيء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامسا وقد كان مسلوكا به الناس تربع
وجرت به نجد ذيول افتخارها وحق لها بالالمعي ترفع
فآثاره فيها سوام سوافر وأنواره فيها تضيء وتستطع

وبهذا يظهر لكل ذي عقل سليم، ودين مستقيم، انه لم يكن يدعو لى دين جديد كما يزعمه هؤلاء المارقون عن دين الاسلام

وأما قوله ولذلك لم يقبل من دين النبي صلى الله عليه وسلم إلا القرآن وقبوله إياه انما كان ظاهراً

فالجواب أن نقول وهذا أيضاً من نمط ماقبله من المفتريات، ورعونات الخزعبلات والخرافات

وأما قوله: والدليل على ذلك انه هو واتباعه كانوا يؤلون القرآن بحسب اهوائهم لا بحسب مافسره النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه، والسلف الصالح، وأئمة التفسير، وما كان يقول بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأقاويل الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، ولا بما استنبطه الأئمة من الكتاب والسنة ولا يأخذ بالاجماع ولا القياس الصحيح. وكان يدعي الانتساب إلى مذهب الامام احمد كذبا وتستراً، وقد رد عليه أضاليله كثير من علماء الحنابلة وألفوا في ذلك رسائل عديدة حتى اخوه سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة في الرد عليه كما ذكرناه. وكان يقول لعماله اجتهدوا بحسب نظركم واحكموا بما ترونه مناسباً للدين، ولا تلتفتوا لهذه الكتب المتداولة، فان فيها الحق والباطل وقتل كثيراً من العلماء والصالحين لأنهم لم يوافقوه على ماابتدعه

فالجواب أن نقول: قد اجاب عن هذه الاكاذيب والمفتريات الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقال رحمه الله: وأما مايكذب علينا ستراً للحق،

وتلبيساً على الخلق بانا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ماوافق فهمنا من دون مراجعة شرح ، ولا نعول على شيخ ، وانا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا النبي رمة في قبره ، وعصا أحدنا انفع منه ، وليس له شفاعة ، وان زيارته غير مندوبة ، وانه كان لايعرف معنى لاإله الا الله حتى انزل عليه (فاعلم انه لاإله الا الله) مع كون الآية مدنيـة ، وانا لانعتمد أقواله ، ونتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل ، وانا مجسمة ،وانانكفر الناس على الاطلاق من بعد الستمائة الامن هو على مانحن عليه . ومن فروع ذلك انا لانقبل بيعة احد حتى نقرر عليه بأنه كان مشركا ، وان ابويه ماتا على الاشراك بالله ، وانا ننهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقاً ، وانا لانرى حقاً لأهـل البيت ، وانا نجبرهم على تزويج غير الكفء لهم ،وانا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتنكح شابا اذا ترافعوا الينا ولا وجه لذلك ، فجميع هذه الخرافات واشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر جوابنا عليه في كل مسألة سبحانك هـذا بهتان عظيم . فمن روى عنا شيئاً من ذلك ونسبه الينا فقـد كذب علينا وافترى ، ومن شاهد حالنا وحضر مجلسنا وتحقق ماعندنا علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه علينا ، وافتراه أعداء الدين واخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الاذعان لاخلاص التوحيـد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص الله على انه لايغفره ويغفر مادون ذلك لمن يشاء .

فهذا واشباهه مما تقدم ذكره عن هذا العراقي وأمثاله من الكذب على شيخ الاسلام وعلم الهداة الاعلام لايعتمد عليه ويصدقه في ذلك إلا ضال مضل

فصل

قال العراقي : قال العلامة السيد العلوي الحداد إن المحقق عندنا من اقواله وأفعاله مايوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لما انه استحل أموراً مجمعاً على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ ، وهو مع ذلك ينتقص

الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، وانتقادهم عمداً كفر بالاجماع عند الأئمة الأربعة .

والجواب أن يقال هذا كله كذب وافتراء . وهذا الرجل المسمى بالحداد ليس هو من العلماء المشهورين بالعلم والدين والصلاح ، بل كان من الغالين في الانبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، لأنه زعم ان من أمر بتوحيد الله بالعبادة واخلاصها لله وحده دون من سواه ، فقد تنقص الأنبياء والأولياء والصالحين ، وقد كان من المعلوم بالضرورة من دين الاسلام أن من صرف لغير الله شيئاً منها كان مشركا سواء كان ذلك الغير من الأنبياء والصالحين ، فلو كان هذا عالماً ، أو كان يعرف قواعد الأسلام ومبانيه العظام مافاه بمثل هذه الورطات وبهرج بهذه الخرافات ، بل هذا يدل على جهله وعدم معرفته وعلمه . ومن كان هذا حاله وهذه أقواله فلا يعول عليه ، ولا يلتفت اليه ، ولا يعتمد على قوله ونقله إلا اشباه الانعام السائمة ، فلو ذكر عدو الله شيئاً مما نسبه الى الشيخ مما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لبينا بطلان قوله ولكنه عدل الى هذه المخرقة السامجة ؟

فصل

قال العراقي : ثم انه صنف لابن سعود رسالة سماها كشف الشبهات عن خالق الارض والسموات كفر فيها جميع المسلمين وزعم أن الناس كفار منذ ستمائة سنة ، وحمل الآيات التي نزلت في الكفار من قريش على أتقياء الأمة ، واتخذ ابن سعود مايقوله وسيلة لاتساع الملك وانقياد الاعراب له ، فصار ابن عبد الوهاب يدعو الناس الى الدين ، ويثبت في قلوبهم أن جميع من هو تحت السماء مشرك بلا مراء ، ومن قتل مشركا فقد وجبت له الجنة ، وكان ابن سعود يمتثل كل مايأمر به ! فاذا أمره بقتل انسان أو أخذ ماله سارع الى ذلك وكان ابن عبد الوهاب في قومه كالنبي في أمته لايتركون شيئاً مما يقوله ، ولا يفعلون شيئاً الا بأمره ، ويعظمونه غاية التعظيم ، ويبجلونه غاية التبجيل ، وما زالت أحياء العرب

وقبائلها تطيعه حتى اتسع بذلك ملك ابن سعود وملك أولاده بعده ، وحارب الشريف غالباً رحمه الله خمس عشرة سنة حتى عجز عن حربه ، ولم يبق أحد إلا صار من حزبه ، ودخل مكة بالصلح سنة ألف ومائتين وعشرين ، واستمر فيها سبع سنين إلى أن جهزت الدولة العلية عساكرها المنصورة عليه ، ووجهت الأمر الى وزيرها المفخم محمد علي باشا صاحب مصر فأتاه بجيوش باسلة ، وطهر الأرض منه ومن اتباعه ، ثم جهز ابنه ابراهيم باشا فوصل بجيوشه الى الدرعية سنة ألف ومائتين وثلاث وثلاثين فافنى وأباد من بقي منهم

والجواب أن نقول : نعم صنف الشيخ رحمه الله تعالى كشف الشبهات ، وذكر الادلة من الكتاب والسنة على بطلان ماأورده أعداء الله ورسوله من الشبهات فأدحض حججهم ، وبين تهافتهم ، وكان كتاباً عظيم النفع على صغر حجمه ، جليل القدر ، انقمع به أعداء الله ، وانتفع به أولياء الله ، فصار علماً يقتدي به الموحدون ، وسلسبيلا يرده المهتدون ، ومن كوثره يشربون ، وبه على أعداء الله يصولون ، فلله ماأنفعه من كتاب ، وما أوضح حججه من خطاب ، لكن لمن كان ذاقلب سليم ، وعقل راجح مستقيم

وأما قوله (عن خالق الارض والسموات) فأقول لم اسمع بهذه الكلمة الاعن هذا العراقي وأما قوله كفر فيها جميع المسلمين

فأقول حاشا وكلا ما كفر فيها مسلماً ، وانما كفر من أشرك بالله وعدل به أحداً سواه

وأما قوله : وزعم أن الناس كفار منذ ستمائة سنة فأقول هذا كذب لم يثبت عنه هذا اللفظ في هذه الرسالة ولا في غيرها ، بل قد أجاب عن هذه المسألة وغيرها في رسالته لعدو الله عبدالله بن سحيم حيث قال فالمسائل التي شنع بها منها ماهو من البهتان الظاهر وهي قوله اني مبطل كتب المذاهب ، وقوله : اني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء ، وقوله اني أقول ان اختلاف العلماء نقمة ، وقوله اني اكفر من توسل بالصالحين ، وقوله اني أكفر البوصيري لقوله ياأكرم الخلق الخ

وقوله اني أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها ولو أقدر على الكعبة

لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب وقوله اني أنكر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقوله اني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم واني أكفر من يحلف بغير الله فهذه اثنا عشرة مسئلة جوابي فيها أن أقول سبحانك هذا بهتان. عظيم ولكن قبله من بهت محمداً صلى الله عليه وسلم انه يسب عيسى ابن مريم ويسب الصالحين تشابهت قلوبهم وبهتوه بانه يزعم ان الملائكة وعيسى وعزير في النار فأنزل الله في ذلك (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون)

وأما قوله وحمل الآيات التي نزلت في الكفار من قريش على أتقياء الأمة فقد تقدم الجواب على هذه الدعوى الباطلة فيما تقدم وأما قوله وبث في قلوبهم ان جميع من هو تحت السماء مشرك بلا مراء ومن قتل مشركا فقد وجبت له الجنة فأقول هذا كذب وافتراء كما تقدم بيانه

فصل

ثم ذكر العراقي محاربة آل سعود الشريف غالباً وعجزه عن مناوأتهم ودخولهم مكة بالصلح الى قوله ثم جهزت الدولة العلية الى آخره

فأقول قد ذكرنا فيما تقدم ماوقع الله بمن عادى المسلمين من العقوبات وان أخر امرهم صار الى تباب كما ذكره شيخنا رحمه الله. ثم قال شيخنا رحمه الله تعالى «وأما الدولة التركية المصرية فابتلى الله بهم جميع المسلمين لما ردوا حاج الشامي عن الحج بسبب امور كانوا يفعلونها في المشاعر فطلبوا منهم أن يتركوها وأن يقيموا الصلاة جماعة فما حصل منهم ذلك فردهم سعود رحمه الله تديناً فغضبت تلك الدوله التركية وجرى عندهم امور يطول عدها ولا فائدة في ذكرها فأمروا محمد علي صاحب مصر أن يسير اليهم بعسكره وبكل مايقدر عليه من القوة والكيد فبلغ سعود ذلك فأمر ابنه عبد الله أن يسير لقتالهم وأمره أن ينزل دون المدينة فاجتمعت عساكر الحجاز على عثمان بن عبد الرحمن المضايفي واهل بيته وقحطان وجميع العربان فنزلوا بالجديدة فاختار عبد الله بن سعود القدوم عليهم والاجتماع بهم وذلك أن العسكر المصري في ينبع فاجتمع المسلمون في بلد حرب

وحفروا في مضيق الوادي خندقا وعبر الجموع وصار في الخندق من المدين أهل نجد وصار عثمان ومن معه من أهل الحجاز في الجبل فوق الخندق فحين نزل العسكر ارتدت خيولهم وعلموا أنه لا طريق لها الى المسلمين فأخذوا يضربون بالقبوس فدفع الله شر تلك القبوس الهائلة عن المسلمين ان رفعوها مرت ولا ضرت وان خفضوها اندفنت في التراب فهذه عبرة وذلك أن اعظم مامعهم من الكيد أبطله الله في الحال ثم مشوا على عثمان ومن معه في الجبل فتركهم حتى قربوا منه فرموهم بما احتسبوهم به وما أعدوه لهم حين أقبلوا عليهم فما أخطأ لهم بندق فقتلوا العسكر قتلا ذريعا وهذه أيضا من العبر لان العسكر الذي جاءهم اكثر منهم باضعاف ومع كل واحد من الفرود والمزندات فما أصابوا رجلا من المسلمين وصار القتل فيهم وهذه ايضا عبرة عظيمة هذا كله وأنا اشاهده ثم مالوا الى الجانب الأيمن من الجبال بجميع عسكرهم من الرجال وأما الخيل فليس لها فيه مجال فانهزم كل من على الجبل من أهل بيشه وقحطان وسائر العربان إلا ما كان من حرب فلم يحضروا واشتدوا على المسلمين لما صاروا في أعلى الجبل فصاروا يرامون المسلمين من فوقهم فحمي الوطيس آخر ذلك اليوم ثم من الغد فاستنصر أهل الاسلام ربهم الناصر لمن ينصره فلما قرب الزوال من اليوم الثاني نظرت فاذا برجلين قد آتيا فصعدا طرف ذلك الجبل فما سمعنا لهم بندقا ثارت إلا أن الله كسر ذلك البيرق ونحن ننظر فتتابعت الهزيمة على جميع العسكر فولوا مدبرين وجنبوا الخيل والمطرح وقصدوا طريقهم الذي جاؤا معه فتبعهم المسلمون يقتلون ويسلبون هذا ونحن ننظر الى تلك الخيول قد حارت وخارت وظهر عليهم عسكر من الفرسان من جانب الخندق ومعهم بعض الرجال فولت تلك الخيول مدبرة فتبعتهم خيول المسلمين في أثرهم وليس معهم زاد ولا مزاد فانظر الى هذا النصر العظيم من الاله الحق رب العباد لان الله هزم تلك العساكر العظيمة برجلين فهذه ثلاث عبر لكن اين من يعتبر فأخذوا بعد ذلك مدة من السنين

ثم بعد ذلك سار طوسون كبير ذلك العسكر الذي هزمه الله فقصد المدينة فوراً وأمر سعود على عبد الله ومن معه من المسلمين أن ينهضوا لقتالهم فوجدوهم

قد هجموا على المدينة ودخلوها واخرجوا من كان بها من أهل نجدوعسير فحج المسلمون تلك السنة فاقبل ذلك العسكر ونزل رابغ ونزل المسلمون وادي قاطمة فخان لهم شريف مكة وضمهم اليه وجاؤا مع الخبيث على غفلة من المسلمين فعلم المسلمون أنهم لامقام لهم مع ماجرى من الخيانة فرجعوا الى اوطانهم فخاف عثمان وهو بالطائف أن يكون الحرب منهم ومن الشريف عليه لما يعلم من شدة عداوتهم فخرج باهله وترك لهم الطائف أيضا مخافة أن يجتمعوا على حربه وليس معه إلا القليل من عشيرته ولا يأمن أهل الطائف أيضا فنزل المسلمون بتربة بعد ذلك نحواً من شهر ثم رجعوا حين أكلوا مامعهم من الزاد فجرى بعد ذلك وقعات بينهم وبين المسلمين ولا فائدة في الاطالة بذكرها والمقصود أن استيلاهم على المدينة ومكة والطائف كان باسباب قدرها الملك الغلاب

فيريك عزته ويبدي لطفه والعبد في الغفلات عن ذا الشأن

وفيها من العبر أن الله ابطل كيد العدو وحمى الحوزة وعافى المسلمين من شرهم وصار المسلمون يغزونهم فيما قرب من المدينة ومكة في نحو من ثلاث سنين أو اربع فتوفى الله سعود رحمه الله وهم غزاة على من كان معينا لهذا العسكر من البوادي فأخذوا وغنموا فبقي لهم من الولاية ما كانوا عليه أولا إلا ماكان من مكة والطائف وبعض الحجاز وبعد وفاة سعود رحمه الله تجهزوا للجهاد على اختلاف كان من أولئك الاولاد فصار المسلمون جانبين جانبا مع عبد الله وجانبا مع فيصل اخيه فنزل الحناكية عبد الله ونزل فيصل تربة باختيار وامر من أخيه له فوافق أن محمد علي حج تلك السنة فواجه فيصل هناك فطلب منه أن يصالحه على الحرمين فأبى فيصل واغلظ له الجواب وفيما قال

لاأصلح الله منا من يصالحكم حتى يصالح ذئب المعز راعيها

فأخذت محمد علي العزة والانفة فصار الى بسل والظاهر أنه كان حريصا على الصلح فاستعجل فيصل بمن معه فساروا اليه في بسل وقد استعد لحربهم خوفا مما جرى منهم فاقبلوا وهم في منازلهم فصارت عليهم العساكر والخيول فولوا مدبرين لكن الله أعز المسلمين فحبس عنهم تلك الدول والخيول حتى وقفوا على التلول

فسلم اكثر المسلمين من شرهم واستشهد منهم القليل ولا بد في القتال من أن ينال المسلم أو ينال منه قال الله تعالى (وتلك الايام نداولها بين الناس) الآيات وقال تعالى (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله) الى قوله (والله يحب الصابرين) الآيات

وقد قال هرقل لابي سفيان فما الحرب بينكم وبينه قال: سجال ينال منا وننال منه فهذه سنة الله في العباد زيادة للمؤمنين في الثواب وتغليظا على الكافرين في العقاب . وأما عبد الله فرجع بمن معه فلم يلق كيداً دون المدينة فتفكر في حماية الله لهذه الطائفة مع كثرة من عاداهم وناواهم ومع كثرة من أعان عليهم ممن ارتاب في هذا الدين وكرهه وقبل الباطل وأحبه فما اكثر هؤلاء لكن الله قهرهم بالاسلام ففي هذا المقام عبرة وهو أن الله أعزهم وحفظهم من شر من عاداهم فلله الحمد والمنة

وبعد ذلك رجع محمد علي الى مصر وبعث الشريف غالب الى اصطنبول وأمر ابنه طوسون أن ينزل الحناكية دون المدينة وأمر العطاس أن يسعى بالصلح بينهم وبين عبد الله بن سعود ويركب له من مكة وأراد الله أن أهل الرس يخافون لانهم صاروا في طرف العسكر فاستلحقوا لهم جماعة من المغاربة وطوسون على الحناكية وصار في أولاد سعود نوع من العجلة في الامور فأمروا على الرعايا بالمسير الى الرس فنزلوا الرويضة فتحصن أهل الرس بمن عندهم جماعة فاوجبت تلك العجلة ان استفزعوا أهل الرس أهل الحناكية فلما جاء الخبر باقبالهم نصرة لاهل الرس ارتحل المسلمون يلتمسون من أعانهم من حرب ما بينهم وبين المدينة فصادفوا خزنة العسكر فقتلوهم وأخذوا ما معهم فهذا مما يسره الله من النصر من غير قصد ولا دراية فرجع المسلمون الى عنزة والعسكر نزلوا الشبيبية قريبا منهم ويسر الله للمسلمين سببا آخر وذلك من توفيق الله ونصره وجهزوا جيشاً وخيلا فأغاروا على جانب العسكر فخرجوا عليهم فهزمهم الله وقتل المسلمون فيهم قتلا كثيرا فالقى الله الرعب في قلوبهم على كثرة من أعانهم وقوة اسبابهم وذلك من نصر الله لهذا الدين فرجعوا الى الرس خوفا من هجوم المسلمين عليهم

فتبعهم المسلمون ونزلوا الحجناوي فقدم العطاس على الامر الذي عمده عليه محمد علي فوجد الحال قد تغير (١) ابتداء فمنعوه مما جاء له ثم إنهم سعوا في الصلح والمسلمون ثلى الحجناوي وكل يوم يجري بين الخيل طراد فمل اكثر المسلمين من الاقامة فلم يبق منهم إلا شرذمة قليلة فجاء منهم اناس يطلبون الصلح فاصلحهم عبد الله رحمه الله تعالى وطلبوا منه ان يبعث معهم رجلا من أهل بيته خوفا أن يعرض لهم أحد من المسلمين في طريقهم فمشى معهم محمد ابن حسن بن مشاري الى المدينة

والمقصود أن الله سبحانه أذلهم والقى الرعب في قلوبهم وحفظ المسلمين من شرهم بل غنمهم مما بايديهم من حيث بذلهم المال بشرائهم الهجن فاشتروا من المسلمين الذلول بضعفي ثمنها. إلى أن قال رحمه الله. فلو ساعد القدر وتم هذا الصلح لكان الحال غير الحال لكن ما أراده الله تعالى وقع على كل حال لكن جرى من عبد الله بن سعود رحمه الله تعالى ما اوجب نقض ذلك الصلح وهو أنه بعث عبد الله بن كثير لغامد وزهران بخطوط مضمونها أن يكونوا في طرفه وفي امره فبعثوا بها إلى محمد علي فلم يرض بذلك وقال إنهم من جملة ماوقع عليهم. الصلح فهذا هو سبب النقض وانشأ عسكراً مع ابراهيم باشا ونزل الحناكية ثم ذكر وقعة الماوية ثم قدومه الى الدرعية واخذ في حصارها قدر ثمانية اشهر وهو يضربهم بالقنابر والقبوس ثم انتهى الامر الى الصلح فاعطاهم العهد والميثاق على ما في البلد من رجل أو مال حتى الثمرة التي على النخل لكن لم يف لهم بما صالحهم عليه وغدر باناس منهم سليمان بن عبد الله وبعد هذا تشتت أهل البلد عنها وقطع النخيل وهدم المساكن إلا القليل وبعث بعبد الله بن سعود لمصر واتبعه عياله واخوانه وكبار آل الشيخ وبعد ذلك حج فسلط الله على عسكره الفنا ولم يصل الى مصر إلا القليل فلما وصل مصر حل بهم عقوبات أهل الاسلام فمشى على السودان ولا اظفره الله فرجع مريضاً، ثم إن محمد علي بعث ابنه اسماعيل (٢) وتمكن منهم بصلح

(١) بياض في الاصل

(٢) كذا في الاصل ولعله سبق قلم والاصل ابرهيم

فلما رأوا منه الخيانة بأخذ عبيد وجوار احرقوه بالنار في بيته ومن معه من العسكر ثم بعد ذلك بعث لهم دفتردار ولا حصل منهم شيئا

« فأما عسكر الحجاز التي وصلت مصر قبل ابراهيم باشا حسين بك الذي صار في مكة وعابدين بك الذي صار في اليمن فسيرهم محمد علي قبل هذا الحرب الى موره وجريد لما خرجوا على السلطان فاستمده السلطان على حزبهم. فأمده بهذين العسكرين فهلكوا عن آخرهم ولم يفلت منهم عين تطرف وذلك أن موره وجريد في الاصل ولاية للسلطان فخرجوا عليه فهلك من عسكر السلطان والعساكر المصرية في حربهم مالا يحصى وهذه عقوبة أجراها الله عليهم بسبب ماجرى منهم على أهل الاسلام حتى العرناووط [1] في جبلهم عصوا على السلطان قبل حادثة موره وجريد. وبعد هذا الامر اشتد الامر على السلطان وبعث يستنصر محمد علي فيعث عسكراً كبيرهم قاريء علي فهلكوا في البحر قبل أن يصلوا ثم إن السلطان بعث نجيب أفندي لمحمد علي يطلب منه أن يسير بنفسه فبعث اليه يعتذر بالمرض وأن ابراهيم باشا يقوم مقامه وقبل ذلك بعث حسين بك الذي سبا أهل نجد وقتل منهم البعض في ثرمدا وفزع للسلطان قبل مسير ابراهيم باشا بعسكره الذي كان معه في نجد وتبعه ابراهيم باشا بمده ونزلوا موره لحرب أهلها فأذلهم الله لهم فقتلوا فيهم قتلا عظيما

« فأما عسكر حسين بك فلم يقدم مصر منه إلا صبي. وأما ابراهيم باشا فاشترى نفسه منهم بالاموال فانظر الى هذه العقوبات العاجلة التي أوقعها الله على الآمر والمأمور واكثر الناس لايدري بهذه الامور. وهذا الذي ذكرناه فيه عبرة عظيمة وشاهد لأهل هذا الدين أن الله لما سلط عليهم عدوهم ونال منهم مانال صارت العاقبة السلامة والعافية لمن ثبت على دينه واستقام على دين الاسلام

« ثم إن الله تعالى اوقع بعدوهم ماذكرنا واعظم لكن ذكرنا الواقع على سبيل الاختصار لقصد الاعتبار (فاعتبروا ياأولي الابصار). ثم إن الله اجزى على من أعانهم من أهل نجد ممن شك منهم في هذا الدين واكثر الطعن على المسلمين

(١) يعني الارنؤط

أن الله تعالى افناهم وهذه أيضا من العبر لم يبق أحد ممن اظهر شره وانكاره وعداوته للمسلمين إلا وعوجل بالهلاك والذهاب » اه

ثم ذكر رحمه الله ظهور خالد واسماعيل وذلك بعد أن رد الله الكرة للمسلمين وجمعهم الله على تركي بن عبد الله ثم على ابنه فيصل وذكر رحمه الله ماجرى من تسلط العساكر المصرية على أهل هذه الدعوة المحمدية وما جرى من الملاحم العظيمة مما يطول عده وتمكنهم من فيصل وأخذهم له وارساله لمصر ثم صار في هذه العساكر من الذهاب والعذاب والفساد لما أوقع الله الحرب بين السلطان ومحمد علي وذلك من العقوبات ، ثم رد الله الكرة لأهل نجد وجمعهم الله بالامام فيصل فرجعوا كما كانوا أولا على ماكانوا عليه قبل حرب هؤلاء الدول

والمقصود بما ذكرنا الاعتبار بأن الله حفظ هذا الدين ومن تمسك به وأيدهم بالنصر على ضعفهم وقلتهم واوقع بأسه بهذه الدول على قوتهم وكثرتهم واسباب كيدهم ثم إن الله تعالى اهلك تلك الدول بما اجرى عليهم من حرب النصارى في بلاد الروم فكل دولة مشت على نجد والحجاز لم يبق منهم اليوم عين تطرف وكانوا لايحصى عددهم إلا الله فهلكوا في حرب النصارى فصارت العاقبة العافية والظهور لمن جاهدهم في الله من الموحدين فجمع الله لهم بعد تلك الحوادث العظيمة من النعم والعز والنصر مالا يخطر بالبال ولا يدور في الخيال

ومن عجيب ما اتفق لأهل الدعوة أن محمد بن سعود عفا الله عنه لما وفقه الله لقبول هذا الدين ابتدأ بعد تخلف الاسباب وعدم الناصر شمر في نصرته ولم يبال بمن خالفه من قريب أو بعيد حتى إن بعض اناس ممن له قرابة به عذله عن هذا المقام الذي شمر اليه فلم يلتفت إلى عذل عاذل ولا لوم لائم ولا رأي مرتاب بل جدَّ في نصرة هذا الدين فملكه الله تعالى في حياته كل من استولى عليه من القرى ثم بعد وفاته صار الأمر في ذريته يسوسون الناس بهذا الدين ويجاهدون فيه كما جاهدوا في الابتداء فزادت دولتهم وعظمت صولتهم على الناس بهذا الدين الذي لاشك فيه ولا التباس فصار الامر في ذريته لاينازعهم فيه منازع ولا يدافعهم عنه مدافع وأعطاهم الله القبول والمهابة وجمع الله عليهم من

أهل نجد وغيرهم ممن لا يمكن اجتماعهم على إمام واحد إلا بهذا الدين وظهرت أثار الاسلام في كثير من الاقاليم النجدية وغيرها مما تقدم ذكره واصلح الله بهم ما افسدت تلك الدول التي حاربتهم ودافعتهم عن هذا الدين ليطفؤه فأبي الله ذلك وجعل لهم العز والظهور » انتهى ماذكره الشيخ

والمقصود أن هذا العراقي ذكر أن الدولة المصرية افنت المسلمين وأبادتهم ولم يبق منهم أحد وقد ابقى الله وله الحمد والمنة من آل سعود من أقام هذا الدين وجاهد فيه واحيا ما اندرس من معالمه بعد تلك الدول ونسأل الله أن يديم ذلك وأن يجعلهم أئمة هدى وأن يوفقهم لما وفق له الخلفاء الراشدين الذين لهم التقدم في نصرة هذا الدين والحمد لله رب العالمين

فصل

قال العراقي ومن قبائح ابن عبد الوهاب الشنيعة أنه منع الناس من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعد منعه خرج اناس من الاحساء وزاروه صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا مروا على ابن عبد الوهاب في الدرعية فأمر بحلق لحاهم واركبهم مقلوبين الى الاحساء

(والجواب) أن هذا كذب وافتراء فان الشيخ قال في جواب اثنتي عشرة مسألة منها انكاره زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ما نصه : —

فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) وقد تقدم ذكرها . وأما كونه حلق لحا اناس من أهل الاحساء فهو من تصرف هذا العراقي فانه لم يذكرها إمام ضلالتهم احمد بن زيني دحلان في مفترياته وهم إنما يمشون على ما اقترحه لهم وافتراه (فبعداً للقوم الظالمين)

وأما قوله قد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة فكانت من اعلام نبوته عليه الصلاة والسلام لان فيها إخباراً بالغيب فمنها قوله عليه الصلاة والسلام « الفتنة من ههنا » وأشار إلى المشرق وقوله صلى

الله عليه وسلم « يخرج اناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لايعودون فيه حتي يعود السهم الى فوقه - يعني موضع الوتر - سيماهم التحليق » وفي رواية زيادة على ذلك « هم شر الخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء » وقوله صلى الله عليه وسلم « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا : يارسول الله وفي نجدنا ؟ قال « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتي يكون آخرهم المسيح الدجال سيماهم التحليق » وفي قوله صلى الله عليه وسلم « سيماهم التحليق » تنصيص عن هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه

فالجواب أن يقال لقد - والله - أمكن الرامي من سواء الثغرة ، وعلى نفسها تجني براقش . فان قوله صلى الله عليه وسلم « الفتنة ههنا الفتنة ههنا » وأشار الى المشرق مراده مشرق المدينة وهو العراق كما يأتي ذلك في الأحاديث وفي كلام أهل العلم

فأما قوله : فمنها قوله صلى الله عليه وسلم « الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا » وأشار إلى المشرق

اقول روى البخاري في كتاب الفتن من حديث ابن عمر ولفظه هكذا عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام الى جنب المنبر فقال « الفتنة ههنا الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان - أو قال - قرن الشمس » وفي رواية عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل المشرق يقول « الا أن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان » وفي رواية عنه قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا وفي نجدنا قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا وفي نجدنا فأظنه قال في الثالثة « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » ولمسلم من رواية عكرمة بن عمار عن سالم سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده نحو المشرق ويقول « ها ان الفتنة هاهنا - ثلاثا - حيث يطلع قرن الشيطان » وله من طريق حنظلة عن سالم

مثله قال « ان الفتنة هاهنا ثلاثا » وله من طريق فضيل بن غزوان سمعت سالم بن عبد الله بن عمر يقول «ياأهل العراق ماأسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الفتنة تجيء من ههنا وأومى بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان » كذا فيه بالتثنية فتبين من هذا الحديث الصحيح أن المراد بالمشرق العراق ولا بدع فهو منبع كل فساد ومنشأ كل الحاد، قال الخطابي: نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها فهي مشرق أهل المدينة ، واصل نجد ما ارتفع من الارض وهو خلاف الغور فانه ما انخفض منها، وقال الحافظ في الفتح: وقال غيره « كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سببا للفرقة بين المسلمين وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة » انتهى ، وقال القسطلاني انما أشار عليه الصلاة والسلام الى المشرق لأن أهله يومئذ أهل كفر فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية وكذا وقعت فكانت وقعة الجمل ووقعة صفين ثم ظهور الخوارج في أرض نجد والعراق وما وراءها من المشرق وكان أصل ذلك وسببه قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم انتهى

فتبين مما ذكره الشراح أن المراد من قوله من قبل المشرق انه العراق ونواحيه لأن به كانت وقعة الجمل ووقعة صفين وهي لم تكن الا في ناحية العراق وخروج الخوارج انما كان من البصرة والكوفة فأين هذه الاماكن من اليمامة لو كانوا يعلمون ولكن الأمر كما قيل* رمتني بدائها وانسلت * وقال الداوودي : ان نجدا من ناحية العراق ذكر هذا الحافظ ابن حجر ، ويشهد له مافي مسلم عن ابن غزوان سمعت سالم بن عبد الله سمعت ابن عمر يقول ياأهل العراق ماأسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الفتنة تجيء من ههنا وأومى بيده الى المشرق » فظهر أن هذا الحديث خاص لأهل العراق لأن النبي صلى الله عليه وسلم فسر المراد بالاشارة الحسية وقد جاء صريحا

في الكبير للطبراني النص على أنها العراق وقول ابن عمر وأهل اللغة وشهادة الحال كل هذا يعين المراد ومن المعلوم بالضرورة ان وقعة الجمل وصفين لم تكن بأرض اليمامة ولا كان خروج الخوارج على علي رضي الله عنه الا بحروراء من جهة العراق ونواحيها.

وأما قوله في الحديث الآخر يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن الخ.

فأقول الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد عن معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يخرج ناس من قبل المشرق ويقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه » قيل ما سيماهم قال « التحليق - أو قال - التسبيد » وقد وقع مصداق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من خروج هؤلاء المارقين على هذه الصفة التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان خروجهم من جهة العراق كما ذكره الشراح، قال الحافظ في الفتح في آخر كتاب التوحيد تحت قوله صلى الله عليه وسلم « يخرج ناس من قبل المشرق » تقدم في كتاب الفتن انهم الخوارج وبيان مبدا أمرهم وما ورد فيهم وكان ابتداء خروجهم في العراق وهي من جهة المشرق بالنسبة الى مكة المشرفة (١) انتهى. وأخرج البخاري عن بشير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئاً؟ قال سمعته يقول وأهوى بيده قبل العراق « يخرج منه قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية »

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » الحديث

فالجواب أن يقال وصف أهل اليمامة بهذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يصف أهل نجد وأهل اليمامة بهذا ولا دخل في وصفه من يؤمن بالله ورسوله منهم ولا من غيرهم بل الموصوف باجماع المسلمين هم الحرورية الخارجون على علي الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أهل الكوفة والبصرة وما يليها من بني يشكر ومن طي وتميم وغيرهم من قبائل العرب ودارهم ومسكنهم بالعراق ولا يختلف في هذا، ودولتهم وشوكتهم كانت هناك دون

---

(١) كذا في الاصل وفي الفتح أيضاً، ويظهر انه سبق قلم من الحافظ لان هذا الحديث قاله (ص) في المدينة والله أعلم

النهر ولذلك نسبوا اليه وقيل اهل النهروان وحروراء بلدة هناك نسبوا اليها فقيل الحرورية وبعض ألفاظ الحديث في بعض الطرق دال على تلك الخصوصية كما وقع في رواية البخاري عن أبي سعيد «يخرجون على حين فرقة من الناس» قال أبو سعيد شهدت لسمعته من النبي صلى الله عليه وسلم واشهد ان عليا قتلهم وأنا معه حين جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي صلى الله عليه وسلم وفى رواية لمسلم عن أبي سعيد «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها اولى الطائفتين بالحق» وكذلك الحديث الذي أورده العراقي (الزهاوي) من قوله صلى الله عليه وسلم «يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم المسيح الدجال» قال بعض المحققين من أهل العلم في رده شبه دحلان: لم أقف على هذا اللفظ ولكن أخرج معناه النسائي من حديث أبي برزة وأخرج ابن ماجه معناه من حديث ابن عمر ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ينشأ نشء يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع» قال ابن عمر يخرج في عراضهم الدجال وفي مجمع الزوائد عن عبدالله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون مع بقيتهم الدجال» رواه الطبراني واسناده حسن انتهى

وأما قوله: وفي قوله صلى الله عليه وسلم «سيماهم التحليق» تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لأنهم كانوا يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه ولا يتركونه اذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه، ولم يقع مثل ذلك من احدى الفرق الضالة التي مضت قبلهم، وكان ابن عبد الوهاب يأمر بحلق رؤس النساء ايضاً ممن اتبعه، وفي مرة امر امرأة دخلت في دينه ان تحلق رأسها فقالت له لو أمرت بحلق اللحى للرجال لساغ ان تأمر بحلق رؤس النساء، فان شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجل فلم يجد لها جوابا

فالجواب أن نقول: قد تقدم أن التحليق من صفة الخوارج الذين يخرجون من العراق كما هو معروف مشهور في الاحاديث وكلام العلماء

وأما قوله إن الشيخ واتباعه يأمرون من اتبعهم ان يحلق رأسه فهذا من الكذب والبهتان، والظلم والعدوان

وأما حكايته عن المرأة التي زعم أن الشيخ أمرها بحلق رأسها فمن الخرافات والمجونات التي لايستجيز صبيان المكاتب حكايتها، ولا يحكيها إلا هؤلاء الذين سلب الله عقولهم، وانطقهم بما يضحك منه المجاذيب الذين لايعقلون

وأما قوله ولم يقع مثل ذلك من أحدى الفرق الضالة التي مضت قبلهم

فاقول: هذا مما يبين شدة غباوة هذا العراقي وجهله، وعدم ادراكه ومعرفته وشدة كلب عداوته لأهل الاسلام، فان التحليق من صفة الخوارج كما مرّ في الاحاديث، وهم خرجوا على عليّ رضي الله عنه وهم من أكبر الفرق الضالة في القرن الأول، وظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى دين الله في القرن الحادي عشر، افلا يستحي هذا العراقي ممن وقف على كلامه من سوء قصده ومرامه حيث قال: ولم يقع مثل ذلك من احدى الفرق الضالة وهو قد وقع للخوارج، ومن شدة غباوته انه يكتب هذا في صفة الخوارج ثم يقول: ولم يقع مثل هذا اللهم إلا أن يكون توهم أن الذين خرجوا على علي وقاتلهم في النهروان ليسوا بخوارج، وانما الخوارج عنده من اخلصوا العبادة لله بجميع انواعها، ودعوا الناس الى ذلك، ونهوا عن الاعتقاد في الانبياء، والاولياء والصالحين، والاحجار، والاشجار، وترك التعلق عليهم، والالتجاء اليهم في الرغبات والطلبات، وانه لايستغاث بهم في كشف الكربات والملمات الى غير ذلك من الفواحش والمنكرات.

وأما قوله وكان ابن عبد الوهاب يأمر بحلق رؤس النساء إلى آخره

فأقول هذا من الكذب الواضح الذي لايمتري فيه عاقل، بل هو تزوير الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وقد خاب من افترى، وشاهد الحال يكفي في رد هذه الخرافات

وأما قوله ومن الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم «يخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام»

فأقول هذه رواية بلا سند فلا اعتداد بها ، بل هذا من موضوعات هؤلاء الغلاة ، ولو كان لها أصل لعزاها إلى كتاب من الكتب المعتمدة ، وقد قال امام ضلالة هؤلاء الغلاة دحلان في شبهانه ومفترياته مانصه : وفي بعض التواريخ بعد ذكر قتال بني حنيفة قال : ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام، فنسبها إلى بعض التواريخ غير مسندة إلى تاريخ معلوم ولا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسند يعتمد عليه ، وهذا الجاهل اسند هذه المقالة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير سند لعظم غباوته وجراءته ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »

فصل

فاذا وضح لك ماتقدم ذكره فاعلم انه لايكون من الخوارج وعلى مذهبهم إلا من يستن بسنة هؤلاء الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وسلك مسلكهم من قتل أهل الاسلام ، وترك أهل الاوثان ، وتكفير من لايعتقد معتقدهم ، واباحة دمه ، وماله ، واهله ، وأن عثمان وعلياً وأصحاب الجمل وصفين وكل من رضي بالتحكيم كفار ، وأن من اتى كبيرة فهو كافر مخلد في النار ابداً ، وأن من لم يخرج ويحارب المسلمين فهو كافر ولو اعتقد معتقدهم ، وابطال رجم المحصن ، وقطع يد السارق من الابط ، وايجاب الصلاة على الحائض في حال حيضها ، وكفر من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادراً وإن لم يكن قادراً فقد ارتكب كبيرة ، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر ، وسائر معتقداتهم الفاسدة ، وأعمالهم الزائغة

فاذا تبين لك هـذا فالشيخ رحمه الله واتباعه لايعتقدون شيئاً من عقائدهم ، ولا يعملون بشيء من أعمالهم ، بل مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتهم طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم ، بل والأعلم والأحكم ، وهم في الفروع على مذهب الامام احمد ابن حنبل رحمه الله ، ومن روى عنهم من تلك الخرافات والأوضاع ، أو نسبه اليهم فقد كذب عليهم وافترى ، وهذا ظاهر لمن طالع كتابه المسمى كتاب التوحيد وسائر الرسائل المؤلفة للشيخ

فصل

قال العراقي : ومن قبائح ابن عبد الوهاب احراقه كثيراً من كتب العلم ، وقتله كثيراً من العلماء وخواص الناس وعوامهم ، واستباحة دمائهم وأموالهم ، ونبشه لقبور الأولياء ، وقد أمر في الاحساء أن تجعل بعض قبورهم محلا لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات ، ومن الراتب والاذكار ، ومن قراءة المولد الشريف ومن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنابر بعد الاذان ، وقتل من فعل ذلك ، ومنع الدعاء بعد الصلاة ، وكان يصرح بكفر المتوسل بالأنبياء ، والملائكة ، والأولياء ، ويزعم أن من قال لأحد : مولانا وسيدنا فهو كافر

فالجواب أن نقول : قد تقدم الجواب عن هذه المفتريات وبينا انها كذب وزور ، وتعنت وفجور إلا انا لم نجب عن دعواه نبش قبور الأولياء وجعلها محلا لقضاء الحاجة ومنع الناس من الرواتب والاذكار ، وأن الشيخ يقول لمن قال لأحد : مولانا وسيدنا فهو كافر

فأما دعواه أن الشيخ نبش قبور الأولياء فهذا كذب والذي جرى من الشيخ رحمه الله واتباعه هدم البناء الذي على القبور والمسجد المجعول في المقبرة على القبر الذي يزعمون انه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه وذلك كذب ظاهر فان قبر زيد رضي الله عنه ومن معه من الشهداء لا يعرف أين موضعه ، بل المعروف أن الشهداء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا في أيام مسيلمة في هذا الوادي ، ولا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم ، ولا يعرف قبر زيد من قبر غيره ، وانما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس هذا قبر زيد فافتتنوا به وصاروا يأتون اليه من جميع البلاد بالزيارة ، ويجتمع عنده جمع كثير ويسألونه قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذي على قبره ، وذلك المسجد المبني على المقبرة اتباعا لما أمر الله به ورسوله من تسوية القبور في النهي والتغليظ في بناء المساجد عليها كما يعرف ذلك من له ادنى مسكة من المعرفة والعلم ، وأما كونه نبش القبر فكل هذا كذب

وزور وتشنيع على الشيخ عند الناس بالباطل والفجور وكذلك قوله : وقد أمر في الاحساء أن تجعل بعض قبورهم محلا لقضاء الحاجة كذب وافتراء

وأما قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم بوقت محدود وطريقة معلومة و كتب مخصوصة لها فلا شك في كونها بدعة محدثة ، فأي محذور في المنع منها ؟ وأما الدعاء بعد الصلاة فان كان بالألفاظ الواردة في الأحاديث الصحيحة من الأذكار من غير رفع اليدين كما ورد في الصحيحين وغيرهما من الكتب فالشيخ لا يمنع منه ولا أحد من أتباعه بل ولا أحد من أهل الحديث ، وان كان الدعاء بغير الألفاظ المأثورة وكما يفعله الناس اليوم فقال شيخ الاسلام لما سئل عن ذلك (الجواب) الحمد لله ، لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدعو هو ولا المأمومون عقيب الصلوات الخمس كما يفعله الناس عقيب الفجر والعصر ولا نقل ذلك عن أحد ولا استحب ذلك أحد من الأئمة ، ومن نقل عن الشافعي انه استحب ذلك فقد غلط عليه ، ولفظه الموجود في كتبه ينافي ذلك ، لكن طائفة من أصحاب احمد وأبي حنيفة وغيرهما استحبوا الدعاء بعد الفجر والعصر ، قالوا : لأن هاتين الصلاتين لا صلاة بعدهما فتعوض بالدعاء بعد الصلاة ، واستحب طائفة من أصحاب الشافعي وغيره الدعاء عقيب الصلوات الخمس وكلهم متفقون على أن من ترك الدعاء لم ينكر عليه ومن أنكر عليه فهو مخطيء باتفاق العلماء فان هذا ليس مأمورا به لا أمر ايجاب ولا أمر استحباب في هذا الموطن بل الفاعل أحق بالانكار فان المداومة على مالم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يداوم عليه في الصلوات الخمس ليس مشروعا بل مكروه كما لو داوم على الدعاء عقيب الدخول في الصلاة أو داوم على القنوت في الركعة الأولى في الصلوات الخمس أو داوم على الجهر بالاستفتاح في كل صلاة ونحو ذلك فانه مكروه ، واذا كان القنوت في الصلوات الخمس قد فعله النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا ، وكان عمر يجهر بالاستفتاح أحيانا وجهر رجل خلف النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك فأقره عليه ، فليس كل ما شرع فعله أحيانا تشرع المداومة عليه ، ولو دعا الامام والمأموم أحيانا عقيب الصلاة لأمر عارض لم يعد هذا مخالفة للسنّة كالذي يداوم على ذلك ، والأحاديث الصحيحة تدل على أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان يدعو دبر الصلاة قبل السلام ويأمر بذلك كما قد بسطنا الكلام على ذلك وذكرنا مافي ذلك من الأحاديث ومايظن ان فيه حجة للمنازع في غير هذا الموضع ، وذلك لان الداعي يناجي ربه فاذا انصرف مسلماً انصرف عن مناجاته ، ومعلوم ان سؤال السائل ربه حال مناجاته هو الذي يناسب دون سؤاله بعد انصرافه . اه

وأما مسألة قول القائل : مولانا وسيدنا فالشيخ لا يمنع من قال ذلك على الوجه الذي يعرفه الناس من لفظ السيد بالشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمل أذى قومه والزوج والرئيس والمقدم ، وكذلك لفظ المولى بالمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والخال وابن العم والحليف إلى غير ذلك ، وإنما نهى ومنع عن اطلاق لفظ السيد والمولى فيمن يعتقدون فيه نوعاً من الربوبية أو الالوهية كمن يقول : يا سيدي أو يا مولاي فلان أغثني أو أدركني أو ارزقني أو أنا في حسبك ونحو هذا ، فمن قال هذا بهذا المعنى فهو كافر يستتاب فان تاب والا قتل ، فان الله سبحانه انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليُعبد ولا يدعى معه إله آخر

قال شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله تعالى في الرسالة السنية : فاذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن انتسب إلى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب إلى الاسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضا من الاسلام لأسباب منها الغلو فى بعض المشايخ ، بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام ، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل أن يقول : ياسيدي فلان انصرني ، أو أغثني أو ارزقني أو أنا في حسبك ، ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل الى آخر كلامه رحمه الله

فصل

قال العراقي الزهاوي البغدادي :

الوهابية وحديث بغيها

إن زعيم الوهابية اليوم هو عبد الرحمن بن فيصل من أولاد محمد بن سعود الباغي الذي حاد عن طاعة الخلافة العظمى الاسلامية سنة ١٢٠٥ واستمرت له وقائع مع الشريف غالب إلى ١٢٢٠ حتى عجز الشريف عن حربه جهزت الدولة العلية عليه عساكرها وناطت الأمر بوزيرها المرحوم محمد علي باشا صاحب مصر وولده المرحوم ابراهيم باشا فأبادهم سنة ١٢٣٣ كما ألمعنا اليه في مقالتنا السابقة مما هو مسطور في كتب التاريخ ، وعبد الرحمن هذا كان قبل ثلاثين سنة تقريباً أميرا على الرياض ، فلما استولى عليها المرحوم أمير نجد محمد بن رشيد هرب عبد الرحمن بن سعود إلى بعض السواحل البحرية ، وأخيرا التجأ الى الكويت وبقي هناك يعيش في فقر مدقع لا يرحمه احد الى أن عطفت عليه الدولة العلية وأجرت له جراية أزالت ما كان فيه من الفقر وصار يعيش في أرغد عيش على نفقتها في تلك الديار .

(والجواب أن يقال) نعم قد كان زعيم الوهابية اليوم الامام المعظم والرئيس المفخم عبد الرحمن بن فيصل ولابنه عبد العزيز بن عبد الرحمن هو قائد الجيوش الاسلامية[1] وكان عبد الرحمن من أولاد محمد بن سعود الذي رفع الله به أعلام الشريعة المحمدية والملة الابراهيمية ، بعد أفول شموسها ، وانطماس معالمها ودروسها ، فبغت عليه الدولة المصرية لما استوثقت له البلاد العربية ، وأظهر دين الله الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، وكان قد جرى من أولاد سعود رحمه الله بعض التقصير في الأوامر الدينية فتسلط عليهم بسبب ما اقترفوه من الذنوب هؤلاء الباغون المعتدون كما تقدم بيانه مما لا فائدة في إعادته ، ثم رد الله الكرة للمسلمين وجمعهم

---

(١) هذا كان وقت كتابة الكتاب أما الآن (وقت الطبع) فان هذا القائد قد صار صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها وصارت بلاد العرب من البحر الاحمر الى خليج فارس تدين له بالسمع والطاعة

الله بالامام فيصل بن تركي بعد مابغت عليه العساكر المصرية ، ونقلوه إلى مصر بعد محاربات عديدة ، وأمور هائلة شديدة ، ثم توفي رحمه الله سنة ١٢٨٢ﻫ

(وأما قوله) وعبد الرحمن هذا كان قبل ثلاثين سنة تقريباً أميراً على الرياض فأقول ليس الأمر كذلك وما آفة الاخبار الارواتها بل كان الامير علي اهل نجد بعد وفاة الامام فيصل ابنه الأكبر عبد الله بن فيصل واستمرت له الولاية مدة سنين ثم كان بينه وبين أخيه سعود محاربات ومنافسات على المملكة يطول عدها وكان محمد بن رشيد من أمراء آل سعود على جهة الجبل وما يليه من القرى والبوادي فلما ضعفت الممالك النجدية وتضعضع أمرها باختلاف آل سعود بينهم وغلب أولاد سعود على عمهم عبد الله بن فيصل استنجد عبد الله بمحمد بن رشيد على أولاد أخيه سعود فسار الى الرياض وحصرها أياما قلائل ثم وقعت المصالحة بينه وبين أهل الرياض وبينه وبين أولاد سعود على الخرج من أعمال الرياض وارتحل ابن رشيد راجعا الى الجبل بعبد الله بن فيصل ثم بعد ذلك غدر بأولاد سعود وقتلهم وصار الامر في يده بالبغي والعدوان على أهل تلك الاماكن والبلدان وكان الامام عبد الرحمن بن فيصل حال ولاية ابن رشيد على الرياض ساكنا فيها والامير عليها من جهة محمد بن رشيد أخوه ابن فيصل والمتصرف فيها بأوامر محمد بن رشيد أحد امرائه المسمى سالم ابن سبهان وكان رجلا فاجرا لا يخاف الله ولا يتقيه فأراد الخديعة والمكر بعبد الرحمن بن فيصل والغدر به كما غدر باولاد سعود فلما تحقق الامام عبد الرحمن خبره هجم عليه واخذه قسراً وقهراً وحبسه ثم بعد ذلك قدم ابن رشيد وحاصر الرياض نحوا من شهر ثم رجع خائبا حسيراً لم يدرك مقصوده فلما لم يحصل على طائل بالمحاربة أخذ يخادع أهل الرياض ويعدهم ويمنيهم حتى انخدع له بعض الأشرار لما يحصل لهم بعد ذلك منه بسبب غدرهم من الانتقام والدمار فلما تحقق الامام عبد الرحمن ذلك الخبر وتقرر عنده واشتهر خرج بأولاده وأهله الى (قطر) ثم ارتحل الى الكويت فسكن بها واستقر ، هذا ملخص الأمر لا كما يزعمه هذا العراقي ثم توفي محمد بن رشيد سنة ١٣١٥ الف وثلاثمائة وخمس عشرة وتولى بعده ابن أخيه عبد العزيز ابن

متعب وجرى بينه وبين مبارك بن صباح ما جرى من المحاربة وكانت الدائرة لابن رشيد على ابن صباح غير أنه لم يقتل من قومه هذا العدد المذكور بل كان القتلى قريبا من ثلاثمائة رجل أو أقل

وأما قوله وبقى هناك يعيش في فقر مدقع لا يرحمه أحد الى أن عطفت عليه الدولة واجرت له جرابة ازالت ماكان فيه من الفقر الى آخر كلامه .

فاقول لما كان لهذا العراقى الحظ الوافر من الكذب على الاموات ولم يكتف بذلك أخذ يكذب على الاحياء بما هو معلوم كذبه بالاضطرار فان الامام عبد الرحمن كان في بلد الكويت في أرغد عيش وأنعم بال وكان جميع من يصل الى تلك البلاد من أهل نجد في مضيفه حتى يرحلوا بالجوائز والصلات الجزيلة من الامام وإنما أخذ معاش الدولة ليسكن بذلك لكونه إذ ذاك في طرفهم والولاية لهم فيه ظاهراً ولأن الكويت قريباً من بلاد نجد والاخبار تصل اليه بسرعة وأيضا كان فيه آمنا من تسلط الأعداء فليس لاحد عليه فيه إتصال بما يكره لا من جهة الدولة ولا من جهة ابن رشيد فلذلك استحب سكنى الكويت على غيره من الأماكن

وقد كان قائد الجيوش الاسلامية الهمام المقدم القمقام المفخم والهزبر الغشمشم عبد العزيز بن عبد الرحمن إذ ذاك حديث السن لكنه مع ذلك يروم من الامور معاليها وينبئو بهمته الى هاماتها وأعاليها وطلب من أبيه عبد الرحمن بن فيصل أن يأذن له في الاغارة على البوادي من أهل نجد ممن كان في ولاية ابن رشيد ليتقوى بما يأخذه منهم على محاربة ذلك العدو المريد والفاجر العنيد عبد العزيز ابن متعب بن رشيد فأذن له في الخروج والغزو وأعانه ابن صباح بسلاح فأخذ يغير على البوادي النجدية حتى أثخنهم قسرا وأخذهم قهراً ولم يكن ابن رشيد إذ ذاك كما يزعمه العراقي مشغولا ببعض الغزوات لكنه قد بهت مما فعل. هذا الرئيس الهمام والفارس المقدام فاعمل الفكرة والحيلة في حفظ القرى والأمصار بان جعل فيها بأمر الدولة العثمانية من يمنع عشائر ابن سعود عن الميرة منها والقدوم اليها فانه كان اذا قفل من غزوته نزل قريبا من الأحساء ليمتار منها ويتزود فمنعته الدولة من القدوم اليها للميرة وامتنع بعض قواد الاعراب عن مساعدته لأجل ذلك فلما

تحقق عبد العزيز ما أعمله من الحيلة وتعذر الوصول الى بعض تلك الاقطار للأمتيار اقتضى رأيه أن يسير إلى الرياض فهجم عليها ليلا بشرذمة قليلة نحوا من ثلاثين رجلا فقتل أمير ابن رشيد وذويه بعد أن ألقى بنفسه ومن معه على ثغر الرياض من باب صغير في عرض باب القصر ووقاه الله شر رماة من فيه من الرجال فلما فرغ من أمر ذلك القصر أحكم سور البلد في مدة يسيرة وحفظه بالرجال وأخذ يغير على البوادي من كل معاند له ومعادي وكف الله أكف الظالمين ولم ينتهزوا الفرصة بالمبادرة الى الرياض قبل استحكام الأمر ثم جمع ابن رشيد جموعه من الحاظرة والبادية وأقبل بتلك الجنود العاتية حتى نزل بقرية من قرى الوشم فمكث بها قريبا من أربعين يوما يخادع أهل الرياض ويعدهم ويمنيهم بالأوعاد وهيهات دون ذلك خرط القتاد ثم ارتحل ونزل بماء يقال الحسي فمكث به قريبا من شهر وفي تلك الايام والامام عبد العزيز في الرياض ثم اقتضى رأيه الميمون أن يسير الى الحوطة من ديار بني تميم لكي يستنجح أمر ابن رشيد والى ما يصير اليه أمره بعد ارتحاله عن الرياض فارتحل ابن رشيد من الحسي وعمد الى الخرج لأجل حصارها فامتنعوا منه ثم مشى عبد العزيز حفظه الله بأهل الحوطة وما يليها من القرى ومن معه من أهل الرياض حتى وصل الى بلد الخرج فدخلها ليلا ثم لما كان من الغد برز له وجرت بينه وبين ابن رشيد مقاتلة في مدة ثلاثة أيام فهزم الله ابن رشيد وجنوده وقتل منهم عبد العزيز خلقا كثيراً ورجع ابن رشيد خاسئاً حسيراً

وأما قول العراقي انه حاصر الرياض سنة فمن الكذب الواضح فانه لم يقدم اليها فضلا عن أن يحاصرها لكنه بعد ذلك بمدة نحوا من خمسة أشهر قصد الرياض وكان عبد العزيز بن عبد الرحمن قد سار بجنوده الى الكويت لاظهار أهله منها وجد ابن رشيد في السير حتى وصل الى الرياض ليلا ولم يشعر به أحد حتى كان وقت السحر وهو قد أحدق بالبلاد وحفظ أطرافها بالخيل والجنود وأمر على بعض قومه أن يقتحموا في البلد فيسر الله أن رجلا من أهل البادية أقبل قاصداً الى الرياض فرآه وهو قد قرب منها فدخلها ليلا وصاح بأهل البلد فنهض أهل البلد وقصدوا السور واشعلوا النيران فى البروج وهم قد أحدقوا بها لكن قذف الله

في قلوبهم الرعب فاحجموا عن الاقتحام والزحام فلما علم أن أهل البلد قدشعروا به أرسل الى قومه ان يكفوا وأن يرجعوا الى معسكرهم وأمر البادية ومن معهم من المحاضرة المحدقين بالبلاد أن يأخذوا ما وجدوا في النخيل من الأدباش (الابل) وقتلوا في النخيل عشرة انفار فلما كان من الغد بعد ارتفاع الشمس أقبل بجنوده ونزل على الرياض فظهر عليه بعض الابطال من الرجال وصار بينهم قتال ثم لما كان من اليوم الثاني قذف الله في قلبه الرعب فارتحل من الرياض لم يحصل على طائل وقد قتل من قومه نحوا من خمسين رجلا ثم سار الى شقرى فحاصرها مدة نحوا من نصف شهر فلما علم أن عبد العزيز بن عبد الرحمن قد وصل الى الرياض راجعاً من الكويت ارتحل من الوشم ونزل القصيم ولما رأى ابن رشيد أن أمور ابن سعود قد استصعبت عليه وعشائر نجد التجأت اليه لم يجد مندوحة عن الالتجاء الى الدولة العثمانية والاستنصار بها فلما عزم على ذلك الأمر جعل في القصيم جنوداً من قومه وامرّ عليهم ماجد بن حمود وحفظ الحصن الذي في (بريدة) بالرجال والازواد وحفها بالاجناد وبعث سرية من قومه وأمّر عليهم حسين ابن جراد الى بادية حرب وأمره أن يصير بهم الى قرى الوشم وينزل بها هناك حتى يقدم اليهم بالعساكر العثمانية وأرسل رسله الى باشات بغداد بعد أن قرب من تلك البلاد فاستجاشها وأثارها بالبخاشيش فأمدوه بالاجناد فعند ذلك انتهز الفرصة الامام عبد الرحمن فأمر ابنه عبد العزيز فاغار بالجيوش الاسلامية والجنود الحنيفية على حسين بن جراد ومن معه من تلك الاجناد من حرب ومن اجتمع عليها من الأمداد فأخذهم الله وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رجع بتلك المغانم الجسيمة هذا وماجد بن حمود الرشيدي مع جنوده قريبا من عنيزة فلجأ اليها ونزل قريبا منها لأجل حماية أهلها فسار اليهم عبد العزيز فدخل عنيزة عنوة ليلا وقتل أمير ابن رشيد الذي كان فيها ثم سار بجنوده آخر الليل فهجم على ماجد بن حمود ومن معه من الجنود فأخذهم الله تعالى وهرب ماجد بمن تجامعه الى الجبل وسار عبد العزيز الى بريدة فدخلها عنوة وحاصر الحصن الذي فيها نحواً من شهر ثم فتحه الله صلحا هذا ملخص ماجرى في تلك الوقعات

فصل

قال العراقي ولما رأت الدولة العلية اعتداء عبدالرحمن هذا وبغيه وتطاوله على صادقها ومخلصها الامير ابن رشيد ونزع عبد الرحمن الى الأجانب أرسلت كتيبة من عساكرها المنصورة صحبة الامير ابن رشيد لقطع دابر أولئك المارقين وقمع بغيهم واعتدائهم واطفاء شرر فتنتهم المستطير فصادمت العساكر المنصورة الجماعة الباغية حزب ابن سعود قرب بلدة البكيرية من بلاد القصيم. فوقعت بين الجمعين ملحمة كبرى انجلت عن هزيمة الفئة الباغيه جماعة ابن سعود وامتلاك العساكر احد عشر راية من راياتهم . وقد كان والحق يقال لحضرة الأمير ابن رشيد وجيشه في هذه الملحمة خدمة في قمع الأعداء تشكر وبسالة يخلد ذكرها ولا تنكر. وأما لمنهزمون فهم اليوم متحصنون ببعض تلك البلاد والعساكر المنصورة مع جيوش الأمير ابن رشيد محدقون بهم ومجدون في تنكيلهم وكبح جماحهم وفقهم الله تعالى لذلك

والجواب أن يقال ليس الأمر كما زعم هذا العراقي بل حقيقة الحال انه لما رأت الدولة العثمانية انه قد وقع بين العرب حروب عديدة وملاحم شديدة طمعت في بلاد العرب بواسطة الانتصار لابن رشيد كما أخذت الأحساء والقطيف بغياً وعدوانا بواسطة الانتصار لعبد الله بن فيصل على أخيه سعود :. وقد كان من المعلوم أنها لا تمشي مع أحد لحظ نفسه وانما تمشي لحظ نفسها ولكن لا يشعر تائه بمصابه لانه ما دخل الامر من بابه

فجاؤا بأسباب من الكيد مزعج مدافعهم يزجي الوحوش رنينها

وظنوا أنهم لمن عداهم من الناس سيقهرون وانهم لمن حاربهم سيغلبون (والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون) فأقبل بتلك العساكر والعربان يقودهم البغي والعدوان والاشر والبطل والطغيان (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) حتى نزل بأدنى قرى القصيم وانزل الله عليهم بها من رجزه عقاصا عظيما ووباء وخيما فقتل بعض أولئك الطغام وبقي منهم

خلق كثير وجم غفير ولم يعتبروا بما حل بهم ودها وما نزل بهم من النوى فنهض اليهم الامام عبد العزيز بمن معه من المسلمين وهم لا يبلغون معشار أولئك المعتدين ونزل اليصرة فارتحل ابن رشيد ونزل بالشيحيات وسار عبد العزيز بالمسلمين فنزل البكيرية فلما كان من الغد وانتصف النهار، ولم يلق كيداً من أولئك الأشرار، وظن المسلمون انه لا يكون في ذلك الوقت مقاتلة من الأغيار، فتفرقوا في النخيل والأشجار، فانتهز ابن رشيد هذه الفرصة وعبأ عساكره وجنوده، ونشر راياته وبنوده، وجاؤا كما قال الله تعالى (بطرا ورئا الناس ويصدون عن سبيل الله) فوقعت بين الطائفتين وقعة عظيمة ، وملحمة كبيرة جسيمة ، وكان المسلمون قد نهضوا اليهم على غير تعبئة وكانت العساكر والجنود الطاغية قد نهضوا بأجمعهم في نحر أهل الرياض ومن معهم من أهل النواحي غير أهل القصيم فانكشف المسلمون بعد أن جاءتهم الخيل من خلفهم (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) قال الله تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس) الآية ولم يقتل من المسلمين على التحقيق الا نحوا من ثمانين رجلا وقد قتل من العسكر وجند ابن رشيد خلق كثير ولما كان في آخر النهار قبل غروب الشمس ظهرت جموع أهل القصيم وهم لا يعلمون بانكشاف أهل العارض لانهم في خب منخفض فحملوا على العساكر العثمانية والجنود الرشيدية وقد اجتمع بأهل القصيم من أهل الرياض عصابة في ذلك اليوم فهزموهم شر هزيمة وقتلوا في ذلك اليوم منهم مقتلة عظيمة، وأخذوا كثيراً من مطارحهم وخيامهم ومدافعهم وقد قتل من العسكر ومن أهل الجبل نحوا من خمسمائة مقاتل فلما علم أهل القصيم بانكشاف المسلمين تركوا ما أخذوه مما لا يطيقون حمله ورجعوا الى أوطانهم واماكنهم ولم يتراجع الفريقان إلا بعد أيام فرجع ابن رشيد وعسكره الى معسكرهم في الشيحيات واستولى على البكيرية واجتمع المسلمون في عنيزة ثم نهض اليهم عبد العزيز بالمسلمين وقدم جمعا الى البكيرية فهجموا عليها ليلا وهرب من فيها من جند ابن رشيد وملكوا صورها وقصورها فلما كان آخر الليل التقى الجمعان قريبا من البكيرية فهزمهم المسلمون هزيمة عظيمة ونزل المسلمون البكيرية فرجف الله بابن رشيد وعساكره فارتحلوا منهزمين وركبهم

خيول المسلمين يأخذون ويقتلون حتى نزل بالشنانة من أعالي قرى القصيم ونزل عبد العزيز الرس ولم يكن بينهم مزاحفة انما هو بالخيل مناوشة ومراوحة ثم لما طال المقام وخاف ابن رشيد تفرق قومه لطول المقام ولان المسلمين لايدعونهم ينتشرون لرعي إبلهم وجيوشهم وأكلوا مافي الشنانة حتى النخيل فارتحل من الشنانة ونزل بماء يقال له المقرعي فنهض المسلمون الى قصر هناك قريبا منهم يقال له قصر ابن عقيل فالتقى الجمعان وتصادم الفريقان وكانت الدائرة للمسلمين على ابن رشيد وذويه وهزموهم شر هزيمة وأخذوا من الاموال والمتاع والابل والغنم مالايحصى، ولا يعد ولا يستقصى، وأخذوا نحوا من عشرة أيام يغدون ويروحون الى المعركة يأخذون من الأموال والمتاع مالا يخطر بالبال ولا يدور في الخيال فلله الحمد وله الشكر وله الثناء الحسن الجميل لانحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه أحد من خلقه

وأما زعمه أن عبد الرحمن بن فيصل تطاول على مخلص الدولة وصادقها ابن رشيد فنعم هو مخلصها وصادقها ونحن ان شاء الله مخلصون لله في عبادته الصادقون في جهاد أعدائه فانه هو وعمه الذين بغوا علينا فأبادهم الله تعالى بايدنا فلله الحمد لانحصي ثناء علية

وأما دعوى هذا العراقي نزوع الامام عبد الرحمن الى الأجانب ويعني بالأجانب طائفة النصارى الانكليز فمعاذ الله من ذلك ويأبى الله والمؤمنون الا منابذتهم ومعاداتهم ومحاربتهم وكيف يكون ذلك وقد قال تعالى (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين، واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً) الآية وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فانه منهم) الآية وقال تعالى (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم، وفي العذاب هم خالدون) الآية. وانما ينزع اليهم ويتخذهم أولياء من حكم قوانينهم والتزمها على نفسه ونفذها في رعيته وجعل وزراءه ووكلاءه منهم، وجعل لهم قناصل في أماكنه ودياره، فنعوذ بالله من رين الذنوب،

وانتكاس القلوب ، وإذا تحقق المنصف ماذكرناه ، واتضح له مابيناه ، مما كان وجرى من الامور بعد تلك الوقعات ، والدواهي المعضلات ، بقدوم المشير أحمد فيضي باشا بجنوده وعساكره وعسكر المدينة الى القصيم مما لو ذكره العراقي لأوضحناه على جليته عرف أن البسالة كل البسالة التي يجب أن تشكر وتذكر ، وان ينشر ذكرها في الخافقين ولا ينكر ، مقامات الرئيس المفخم ، والمقدام المعظم ، والهزبر الغشمشم ، عبدالعزيز بن الامام المكرم ، عبدالرحمن بن فيصل لامن نعتوه بها ممن ليس لها بأهل

لقد منّ مولانا وأفضل وارتضى ... لنا ملكا منا سمي المناقب
فشام المعالي وارتضاها وأمّها ... بهمته العليا وجرد شوازب
وبيض قراض يختلي الهام حدّها ... وقود الهجان اليعملات النجائب
فتى همه العليا وشأو مرامها ... فأم إلى هاماتها والغوارب
فتى ليس يثني همه ومرامه ... طوال العوالي أو طوال السباسب
يخوض عباب الموت والموت ناقع ... اذا استعرت نار الوغى في الكتائب
ويركب هول الخطب والخطب معضل ... وقد هابه شوس الملوك المصاعب
يرد لهام الجيش وهو عرمرم ... ويحطمه بالمرهفات السوالب
لقد فات أبناء الزمان وفاقهم ... بنيل المعالي الساميات المراتب
وجود وإقدام اذا احتنك الفضا ... وضاق بمجال الصافنات السلاهب
وأحجم أهلوها بيوم عصبصب ... به النقع يسمو كارتكام السحائب
هناك لا تلقاه إلا كضيغم ... هزبر أبي شبلين حجن المخالب
ترى جثث الأبطال صرعى بغابه ... تراوحها الاشبال من كل ساغب
كذا الملك الشهم الهمام فانما ... كماة العدى جزرا له بالقواضب
ترى عافيات الطير يعصبن فوقه ... لتحظى باشلاء العدو المشاغب
وتتبعه غرثى السباع لعلها ... تروح بطانا من لحوم المحارب
وقد وثقت ان لا تعود خوامصاً ... وان لها جزراً كماة الكتائب

فنلنا المنى من بعدان كادت العدى تحيط بنا من كل قطر وجانب
بعبدالعزيز بن الامام ابن فيصل حليف العلى نسل الكرام الأطايب
فلله من ندب همام مهذب أغاظ العدى من عجمها والأعارب
ومن المعيّ أحوذي ومصقع بليغ بما قد شاءه في المقانب
يقود أسودا في الحروب ضياغما تغير على الأعدا كأسد سواغب
حنيفية في دينها حنفية وليس لهم إلا العلى من مآرب
سما بهمو نحو المعالي سميدع أبيّ وفيّ فاضل ذو مناقب
إذا هو أعطى ذمة لم يخس بها وما كان ذا غدر وليس بكاذب
فان رمت أخبارا له ووقائعا فسل شمرا عنها بصدق المضارب
وحربا وسل عنها مطيرا وغيرهم من العجم والاعراب من كل ناكب
فمزّقهم أيدي سبا فتفرقوا فما بين مقتول وما بين هارب
وما بين منكوب وقد خال انه بقوته قد حاز كل المآرب
فما نال إلا الخزي والعار والردى وآب حسيرا خاسئا غير راغب
بلطف من المولى له وإعانة على كثرة الأعدا له والمحارب
وعز وإسعاف على كل من بغى عليه وتسديد لدى كل نائب
ونصر له بالرعب في كل مأزق من الملك العلام مولي المواهب
اذا أمّ أمراً واعتلى متسامياً تمزقت الأعداء من كل جانب
وما ذاك إلا أنه لا ترده طوال العوالي أو طوال السباسب
ولا غرو من هذا ولا بدع انما حواها من الشوس الكرام الاطايب
ومن والد سامي الذرى ذي مآثر حسان وأخلاق يفاع المراتب
له فتكات بالاعادي شهيرة يقصر عن تعدادها كل كاتب
أدام لنا ربي بهم كل بهجة على السنن الحاوي لكل المطالب
ومنة خير العالمين محمد نبي الهدى السامي لأعلى المناقب
عليه صلاة الله ثم سلامه بعدّ وميض البرق جنح الغياهب
وأصحابه والآل ما حن راعد وما انهل وبل من خلال السحائب

فصل

قال العراقي :

عقيدة الوهابية

لما رأى ابن عبد الوهاب ان قاطني بلاد نجد بعيدون عن عالم الحضارة لم يزالوا على البساطة والسذاجة في الفطرة ، قد ساد عليهم الجهل حتى لم يبق للعلوم العقلية عندهم مكانة ولا رواج وجد هنالك من قلوبهم ماهو صالح لأن يزرع فيه بذور الفساد مما كانت نفسه تنزع اليه وتمنيه به من قديم الزمان ، وهو الحصول على رياسة عظيمة ينالها باسم الدين ، إذ كان لحاه الله يعتقد ان النبوات لم تكن الا رياسة وصل اليها دهاة البشر حتى ساعدتهم الظروف عليها بين ظهرا ني قوم جاهلين ليس لهم من العلم نصيب ، وحيث أن الله تعالى قد أرتج باب النبوة بعد خاتم الانبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يجد للوصول الى أمنيته طريقا بين أولئك الانعام الا أن يدعي انه مجدد في الدين مجتهد في أحكامه فحمله هذا الامر أن كفَّر جميع طوائف المسلمين وجعلهم مشركين ، بل أسوء حالا ، وأشد كفراً وضلالا ، فعمد الى الا يات القرآنية النازلة في المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين الذين يزورون قبر نبيهم صلى الله عليه وسلم ويستشفعون به إلى ربهم نابذاً وراء ظهره كل ماخالف أمانيه الباطلة وسولته له نفسه بالسوء من أحاديث سيد المرسلين ، وأقوال أئمة الدين والمجتهدين حتى إنه لما رأى الاجماع مصادما لما ابتدعه أنكره من أصله وقال لا أرى للناس بعد كتاب الله الذي جمع فأوعى كل رطب ويابس وتغافل عما جاء به كتاب الله من قوله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

(والجواب أن يقال) ماأعظم جراءة هذا العراقي على الكذب وتعمد الفجور وقول الزور ، وهذه حال كل متمرد كفور ، وقد قدمنا من حال نشأة الشيخ ودعوته الى الله ما يبين افك هذا العراقى وتمرده وفجوره ، وانه انما أخذ هذه

المجونات والمخرقة والاكاذيب والزندقة من كتب قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل، وأشربت قلوبهم عداوة هذا الدين وأهله ومن دعا اليه وكراهته وكراهة من دان به ، فأخذوا يضعون هذه الاوضاع ليصدوا عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا ، ومن أعظم مفتريات هؤلاء الكفرة أعداء الله ورسوله حيث انبعث أشقاها ، وتفوه بما لفقوه أغواها ، حيث زعم ان الشيخ يزرع في قلوب أهل نجد بذور الفساد ، مما كانت نفسه تنزع اليه وتمنيه به من قديم الزمان وهو الحصول على رآسة عظيمة ينالها باسم الدين ، إذ كان يعتقد ان النبوات لم تكن إلا رآسة وصل اليها دهاة البشر حين ساعدتهم الظروف عليها بين ظهراني قوم جاهلين

وهذا القول لايقوله ويحكيه عن الشيخ من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أنه موقوف بين يدي الله تعالى وقد كان من المعلوم أن هذا الاعتقادمن عقائد الملاحدة الذين يقولون إن الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس بحيث يتوهمها اصواتا تخاطبه وربما قوي ذلك ببعض الحاضرين فيرونها ويسمعون خطابها ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج وهذا يكون عندهم بتجرد النفوس عن العلائق واتصالها بالمفارقات من العقول والنفوس المجردة وهذه الخصائص تحصل عندهم بالاكتساب ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء، وهؤلاء عندنا وعند الشيخ رحمه الله أكفر من اليهود والنصارى وابعد عن الاسلام من غيرهم من طوائف الكفر

ولما توهم هذا الملحد أن الشيخ ينتحل هذا المذهب الملعون قال وحيث ان الله قد ارتج باب النبوة بعد خاتم الانبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يجد للحصول على امنيته طريقا بين أولئك الانعام إلا أن يدعي انه مجدد في الدين مجتهد في أحكامه

فيقال لهذا الملحد قد كان من المعلوم بالضرورة من دين الاسلام وبما ورد في الكتاب والسنة أن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لا نبي بعده فمن توهم حصولها لأحد بعده فهو كافر ولكن قد اخبر صلى الله عليه وسلم « إن الله يبعث

لهذه الامة على رأس كل قرن من يجدد لها امر دينها » وفي الحديث « ماجعل الله من نبوة الا كانت بعدها فترة » وهذا معلوم معروف عند أهل العلم كما قال الامام أحمد في خطبته « الحمدلله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون منهم على الاذى يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لابليس قد أحيوه ، ومن ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وما أقبح أثر الناس عليهم » إلى آخر كلامه ، وقد شهد أهل العلم والفضل من أهل عصره أنه أظهر توحيد الله وجدد دينه ، ودعا اليه كما تقدم ذكره عن الامام حسين ابن غنام ومحمد بن اسماعيل الصنعاني ومحمد بن احمد الحفظي وغيرهم من علماء أهل الأمصار ، وقد كان من المعلوم عند كل عاقل خبر الناس وعرف أحوالهم ، وسمع شيئاً من أخبارهم وتواريخهم أن أهل نجد وغيرهم ممن تبع دعوة الشيخ واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العرب كانوا على غاية من الجهالة والضلالة ، والفقر والعالة ، لايستريب في ذلك عاقل ، ولا يجادل فيه عارف ، كانوا من أمر دينهم في جاهلية ، يدعون الصالحين ، ويعتقدون في الأشجار والاحجار ، والغيران يطوفون بقبور الأولياء ، ويرجون الخير والنصر من جهتها ، وفيهم من كفر الاتحادية والحلولية ، وجهالة الصوفية مايرون أنه من الشعب الايمانية والطريقة المحمدية ، وفيهم من إضاعة الصلوات ، ومنع الزكاة ، وشرب المسكرات ماهو معروف مشهور ، فمحا الله بدعوة الشيخ شعار الشرك ومشاهده ، وهدم بيوت الكفر والشرك ومعابده ، وكبت الطواغيت والملحدين ، وألزم من ظهر عليه من البوادي وسكان القرى بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد والهدى ، وكفر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجهالة والجفا ، وأمر باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وترك المنكرات ، ونهى عن الابتداع في الدين ، وأمر بمتابعة السلف الماضين في الاصول والفروع من مسائل الدين حتى ظهر دين الله واستعلن واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن ، وقام قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحدّت الحدود الشرعية ، وعزرت التعازير الدينية ،

وانتصب علم الجهاد، وقاتل لاعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد حتى سارت دعوته، وثبت نصحه لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وجمع الله به القلوب بعد شتاتها، وتألفت بعد عداوتها، وصاروا بنعمة الله اخوانا فاعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور مالا يعرف مثله لسكان تلك الفيافي والصخور، وقهروا سائر العرب من عمان إلى عقبة مصر، ومن اليمن إلى العراق والشام، ودانت لهم عربها فأصبحت نجد تضرب اليها أكباد الابل في طلب الدنيا والدين، وتفتخر بما نالها من العز والنصر والاقبال. وبالجملة فلا يقول مثل هذا في الشيخ رحمه الله إلا رجل مكار لايتحاشى من البهت والافتراء، وإلى الله ترجع الامور، وعنده تنكشف السرائر

ولما كان هذا العراقي الملحد من جملة من نشأ على عقائد الملاحدة أعداء الله ورسوله ومن نحا نحوهم من المتكلمين الذين يزعمون أن العقل مقدم على النقل وأن نصوص الكتاب والسنة ظواهر ظنية، وأن معقولاتهم التي هي نحاتة الافكار، وزبالة الأذهان، وربح المقاعد هي البراهين اليقينية، واعتقد أن من لم يكن على هذا المذهب الملعون أنه قد خرج عن عالم الحضارة، ولم يزل على البساطة والسذاجة في الفطرة، وقد كان من المعلوم أن جفاة العرب أسلم فطرة وأصح عقولا من هؤلاء الملاحدة، ولذلك لما دخلوا في دين الله وعرفوا هذا الدين كانوا على طريقة السلف في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته، وفي باب العمل والعبادة، وتقديم كتاب الله وسنة رسوله على قول كل أحد كائناً من كان، وجمع الله لمن طلب العلم منهم من العلوم والمعارف مالا يعرفه هؤلاء من سائر العلوم والفنون مع أن كثيراً من علوم هؤلاء الخارجين عن طريقة أهل الاسلام من العلوم التي لاينتفع بها في معرفة ماجاءت به الرسل وأنزلت به الكتب، انما هي أوضاع اليونان والفلاسفة، والمجوس والصابئين، ولذلك كان الغالب على من دخل في هذه العلوم الحيرة والشك نعوذ بالله من الخروج عن الصراط المستقيم

وأما قوله فحمله هذا الأمر أن كفر جميع طوائف المسلمين وجعلهم مشركين بل اسوأ حالا، وأشدهم كفراً وضلالا _ يعني _ أن الشيخ ادعى انه مجدد لدين

الله مجتهد في أحكامه فحمله على أن كفر جميع طوائف المسلمين

فأقول : أما كونه مجدداً لدين الله فهو من المعلوم بالضرورة ولا ينكره إلا مكابر في الحسيات ، مباهت في الضروريات ، وأما كونه كفر جميع طوائف المسلمين فجعلهم مشركين ، فهذه العبارة تدل على تهور في الكذب ووقاحة تامة وفي الحديث « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت » وصريح هذه العبارة أن الشيخ كفر جميع هذه الامة من المبعث النبوي إلى قيام الساعة ، وهل يتصور هذا عاقل. قد عرف حال الشيخ وما جاء به ودعا اليه ، بل كان من المعلوم أن هذا العراقي كان لايعرف ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام ، ولو كان يعرف دين الاسلام لما تجازف بهذه المجازفة ؛ ومخرق بهذه المخرقه المارجة ، والشيخ رحمه الله لايعرف له قول انفرد به عن سائر الأمة ، بل ولا عن أهل السنة والجماعة منهم ، وجميع أقواله في هذا الباب أعني مادعا اليه من توحيد الاسماء والصفات ، وتوحيد العمل والعبادات مجمع عليه عند المسلمين لايخالف فيه إلا من خرج عن سبيلهم ، وعدل عن مناهجهم كالجهمية والمعتزلة ، وغلاة عباد القبور ، بل قوله مما أجمعت عليه الرسل ، واتفقت عليه الكتب كما يعلم ذلك بالضرورة من عرف ماجاؤا به وتصوره ، ولا يكفر إلا على هذا الاصل بعد قيام الحجة المعتبرة فهو في ذلك على صراط مستقيم متبع لامبتدع ؛ وهذا كتاب الله وسنة رسوله ، وكلام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من أهل العلم والفتوى معروف مشهور مقرر في محله في حكم من عدل بالله وأشرك به ، وتقسيمهم الشرك إلى أكبر وأصغر ، والحكم على المشرك الشرك الاكبر ، بالكفر مشهور عند الامة ، لايكابر فيه إلا جاهل لايدري ماالناس فيه من أمر دينهم وما جاءت به الرسل وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف غير واحد من أهل العلم وحكى الاجماع عليها وأنها من ضروريات الاسلام كما ذكره تقي الدين بن تيمية وابن قيم الجوزية وابن عقيل وصاحب الفتاوى البزازية وصنع الله الحلبي والمقريزي الشافعي ومحمد بن حسين النعيمي الزبيدي ومحمد بن اسماعيل الصنعاني ومحمد بن علي الشوكاني وغيرهم من أهل

العلم . والشيخ رحمه الله لم يكفر طوائف المسلمين وانما كفر طوائف المشركين والخارجين المارقين من دين الاسلام ، فان الأُحداث لاتزال موجودة في الامة تقل وتكثر من عهد الصحابة إلى أن تقوم الساعة ، فقد كفر الصحابة رضي الله عنهم من كفروه من أهل الردة على اختلافهم ، وكفر علي الغلاة ، وكفر من بعدهم من العلماء القدرية ونحوهم كتكفيرهم للجهمية ، وقتلهم لجعد بن درهم وجهم ابن ضفوان ، ومن على رأيهم وقتلهم للزنادقة ، وهكذا في كل قرن وعصر من أهل العلم والفقه والحديث طائفة قائمة تكفر من كفره الله ورسوله وقام الدليل على كفره لايتحاشون عن ذلك ، بل يرونه من واجبات الدين وقواعد الاسلام وفي الحديث « من بدل دينه فاقتلوه » وبعض العلماء يرى أن هذا والجهاد عليه ركن لايتم الاسلام بدونه ، وقد سلك سبيلهم الأئمة الأربعة المقلدون وأتباعهم في كل عصر ومصر . وكفروا طوائف أهل الاحداث كالقرامطة والباطنية ، وكفروا العبيد بين ملوك مصر وقاتلوهم وهم يبنون المساجد ، ويصلون ، ويؤذنون ويدعون نصر أهل البيت. وصنف ابن الجوزي كتابا سماه « النصر على مصر » ذكر فيه وجوب قتالهم وردتهم ، وأن دارهم دار حرب ، وقد عقد الفقهاء في كل كتاب من كتب الفقه المصنفة على مذاهبهم بابا مستقلا في حكم أهل الاحداث التي توجب الردة وسماه أكثرهم باب الردة وعرّفوا المرتد بأنه الذي يكفر بعد اسلامه . وذكروا أشياء دون مانحن فيه من المكفرات حكموا فيه بكفر فاعلها ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم فما المانع من تكفير من أشرك بالله وعدل به سواه ، واتخذ معه الآلهة والانداد ، وانما يهمل هذا من لم يؤمن بالله ورسوله ، ولم يعظم أمره ، ومن لم يسلك صراطه ، ولم يقدر الله ورسوله حق قدره ، بل ولا قدر علماء الامة وأئمتها حق قدرهم

وأما قوله فعمد إلى الآيات القرآنية النازلة في المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين الذين يزورون قبر نبيهم صلى الله عليه وسلم ويستشفعون به إلى ربهم نابذاً وراء ظهره كل ماخالف أمانيه الباطلة ، وسولت له نفسه الامارة بالسوء من أحاديث سيد المرسلين ، وأقوال أئمة الدين والمجتهدين

فالجواب أن يقال هذا كذب على الشيخ فانه ماعمد إلى الآيات القرآنية النازلة في المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين ، وانما استدل بالآيات القرآنية النازله في المشركين وجعلها عامة شاملة لمن أشرك بالله وعدل به سواه وبدل دينه ، وفعل كما فعل المشركون من صرف خالص حق الله لمن أشركوا به واتخذوهم شفعاء من دونه ، وسيأتي الكلام على هذا في محله ان شاء الله تعالى .

وقوله نابذاً وراء ظهره إلى آخره

أقول انما نبذ وراء ظهره كل ما خالف كتاب الله وسنة رسوله وخالف أقوال أئمة الدين المجتهدين وهو – ولله الحمد – متبع لامبتدع ، وانما مانيه القيام بأوامر الله وشرعه ، ودينه ، ودعوة الناس إلى ذلك ، والجهاد على ذلك ، ولم تسول له نفسه مايخالف الكتاب والسنة ، وانما قام أشد القيام في اتباع الكتاب والسنة ورد ماخالفهما ، وترك ماألفه أعداء الله ورسوله الزنادقة من الاحاديث المكذوبة الموضوعة ، واذا لم يجد في كتاب الله وسنة رسوله شيئاً اعتمد على أقوال أئمة الدين والعلماء المجتهدين ، وذلك معروف في رسائله ومصنفاته ولاينكره إلا مكابر .

وأما قوله حتى انه لما رأى الاجماع مصادماً لما ابتدعه أنكره من أصله

فأقول ماأنكر الشيخ الا إجماع أهل الكفر بالله والاشراك به على عبادة غير الله وجعلهم معه آلهة وأنداداً يستغيثون بهم ويلجئون اليهم في الرغبات والرهبات والطلبات ويطلبون منهم تفريج الكربات وأغاثة اللهفات ويصرفون لهم خالص حق الله من الدعاء والحب والتعظيم والخوف والرجا والتوكل والانابة والاستغاثة والذبح والنذر والالتجاء وسائر أنواع العبادة التي صرفها المشركون لغير الله ، وخرق هذا الاجماع واجب على كل مسلم وليس هذا هو الاجماع الذي يشير اليه العلماء الذي من خالفه فقد ضل وإنما هذا هو اجماع من ضل عن الصراط المستقيم وهم الأكثرون كما قال الله تعالى (وماأكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) ، وقال تعالى (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) . وقال تعالى (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) ، وقال تعالى (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين)

وأما قوله ولا أرى للناس بعد كتاب الله الذي جمع فأوعى كل رطب ويابس وتغافل عما جاء به كتاب الله من قوله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

فأقول هذا الكلام بهذا اللفظ لايثبت عن الشيخ ولم نره في شيء من كتبه ولافي كلامه ولا في رسائله بل الذي في كتبه ومصنفاته الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة . قال رحمه الله تعالى في مصنفه (أصول الايمان) باب الوصية بكتاب الله عز وجل . وقول الله تعالى (اتبعوا ماأنزل اليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون) عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب واني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال « وأهل بيتي » وفي لفظ « كتاب الله هو حبل الله من أتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة » رواه مسلم وله في حديث جابر الطويل انه صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم عرفة « وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ان اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك قد بلغت واديت ونصحت قال بأصبعه السبابة يرفعه الى السماء وينكبها الى الى الناس « اللهم اشهد » ثلاث مرات وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انها ستكون فتنة » فقلنا ما المخرج منها يارسول الله ؟ قال « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم مابينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لاتزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولاتنقضي عجائبه من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى إلى صراط مستقيم » رواه الترمذي وقال غريب وعن أبي الدرداء مرفوعا قال « ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو

حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن ينسي شيئاً وما كان ربك نسيا ، رواه البزار وابن أبي حاتم والطبراني الى آخر الباب — ثم قال باب تحريضه صلى الله عليه وسلم على لزوم السنة والترغيب في ذلك وترك البدع والتفرق والاختلاف والتحذير من ذلك ، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة فقال رجل يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا « قال أُوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » صححه الترمذي ، ولمسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه « كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى » قيل ومن يأبى؟ قال « من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » الى آخر الباب وله مصنفات ورسائل مملوءة بكلام الأئمة المهتدين والعلماء المجتهدين وله مختصر الشرح الكبير والأنصاف على مذهب أحمد ولكن الهوى يعمي ويصم

وأما قوله وتغافل عما جاء به كتاب الله من قوله (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى) الآية

فالجواب أن نقول ان اتباع سبيل المؤمنين لايخالف كتاب الله وسنة رسوله والاجماع لايخالف ماأمر الله به ورسوله فمن خرج عن كتاب الله وسنة رسوله لم يكن من المؤمنين ، واتباع سبيل المؤمنين هو تقديم كتاب الله وسنة رسوله على قول كل احد كائنا من كان ، قال الامام الشافعي رحمه الله أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائنا من كان وقد اتبع رحمه الله سبيل المؤمنين فكان على ماكان عليه السلف الصالح والائمة المهتدون في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وباب العمل والعبادة لايخالفهم في ذلك لكن من خرج عن سبيلهم وعدل عن منهاجهم كالجهمية والمعتزلة وغلاة

عباد القبور وكان في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله كما هو مشهور في الرسالة التي اختصرت لأهل مكة قال : ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية ونحوهم ولا نقرهم على شيء من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيها إلا أننا في بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب كارث الجد والاخوة فانا نقدم الجد وان خالف مذهب الحنابلة ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض الا اذا طلعنا على نص جلي كذلك مخالف لمذهب بعض الائمة وكانت المسألة مما يحصل به شعار ظاهر كامام الصلاة فنأمر الحنفي والمالكي بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح دليل ذلك بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسملة وشتان بين المسألتين فاذا قوي الدليل أمرناهم للنص وأن خالف المذهب وذلك انما يكون نادراً جداً ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الاربعة إلى اختيارات لهم في المسائل مخالفين للمذهب ملتزمين تقليد صاحبه انتهى

وأما قوله على أنه لم يأخذ من كتاب الله إلا ما نزل في المشركين من الآيات فأولها ظلما منه وتجاسراً على الله تأويلا يسهل له الحصول على أمنيته وذلك بأن حماها على المسلمين فكفرهم منذ ستمائة عام وهدر دماءهم ، وأباح أموالهم ، وجعل بلادهم بلاد حرب

(فالجواب أن نقول) قد تقدم الجواب عن هذا فلا فائدة في الجواب عنه وما نعلم أن له امنية في دعوته الخلق الى الله يتمنى حصولها إلا أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأن يخلعوا الانداد التي اتخذها المشركون أولياء من دونه (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم واتبعوا اهواءهم بغير علم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين) والله الهادي الى صراط مستقيم

(وأما قوله) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل كما في الصحيحين « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله » الحديث وفي الصحيحين من حديث عمر « بني الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله » الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس « آمركم بالايمان بالله وحده ؟ أتدرون ما الايمان بالله وحده ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله » الحديث كما في الصحيحين وقوله صلى الله عليه وسلم « امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم « كفوا عن أهل لا إله الا الله » انتهى

مراده بايراد هذه الاحاديث أن من أتى بناقض من نواقض لا إله إلا الله كدعاء الغائبين والاموات والنذر لهم والذبح أنه لا يكفر (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) وسيأتي الكلام عليها في محلها فيما بعد ان شاء الله تعالى

فصل

قال العراقي الملحد ومن عجيب أمره أنه يموه على الناس بدعوى توحيد الله وتنزيهه قائلا إن التوسل بغير الله شرك مع أنه يفصح عن استواء الله تعالى على العرش بمثل الجلوس عليه ويثبت له اليد والوجه والجهة ويقول بصحة الاشارة اليه في السماء ويدعي أن نزوله الى السماء الدنيا حقيقة فيجسمه (تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا) . فاين تنزيه الله تعالى بعد جعله جسما يشترك معه حتى اخس الجمادات وفي ذلك من التنقص والازراء بألوهيته سبحانه ما هو منزه عنه

فالجواب أن يقال لهذا الجهمي المشرك بالله في عبادته النافي لصفاته ونعوت جلاله قد بينا فيما تقدم أن الشيخ لا يكفر بمجرد التوسل الذي يعرفه أهل العلم من لفظ التوسل . وأما التوسل باصطلاح هؤلاء الغلاة فسيأتي الكلام عليه في محله ان شاء الله تعالى

وأما قوله مع أنه يفصح عن استواء الله تعالى على العرش بمثل الجلوس عليه (فالجواب أن نقول) قد جاء الخبر بذلك عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضي الله عنه الذي ضرب الله الحق على لسانه كما رواه الامام عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل في كتاب السنة له في الرد على الجهمية قال حدثني أبي وعبد الأعلى ابن حماد النرسي قالا حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن أبي اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر قال : اذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد، وهذا الحديث حدث به أبو اسحاق السبيعي مقرراً له كغيره من أحاديث الصفات وحدث به كذلك سفيان الثوري وحدث به أبو أحمد الزبيري وكشد بن أبي بكر ووكيع عن اسرائيل ورواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل أيضا عن أبيه حدثنا وكيع بحديث اسرائيل عن أبي اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه: اذا جلس الرب على الكرسي فاقشعر رجل سماه أبي عند وكيع فغضب وكيع وقال أدركنا الاعمش وسفيان يحدثون بهذا الحديث ولا ينكرونه قلت وهذا الحديث صحيح عند جماعة من المحدثين أخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي وإذا كان هؤلاء الأئمة أبو اسحاق السبيعي والثوري والاعمش واسرائيل وعبد الرحمن بن مهدي وأبو احمد الزبيري ووكيع وأحمد بن حنبل وغيرهم ممن يطول ذكرهم وعددهم الذين هم سرج الهدى ومصابيح الدجى قد تلقوا هذا الحديث بالقبول وحدثوا به ولم ينكروه ولم يطعنوا في اسناده فمن نحن حتى ننكره ونتحذلق عليهم بل نؤمن به. قال الامام أحمد لانزيل عن ربنا صفة من صفاته بشناعة شنعت وان نبت عنه الاسماع فانظر الى وكيع بن الجراح الذي خلف سفيان الثوري في علمه وفضله وكان يشبه به في سمته وهديه كيف أنكر على ذلك الرجل وغضب لما رآه قد تلون لهذا الحديث

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية

واذكر كلام مجاهد في قوله ... أقم الصلاة وتلك في سبحان

في ذكر تفسير المقام لأحمد ... ماقيل ذا بالرأي والحسبان

ان كان تجسيما فان مجاهداً ... هو شيخهم بل شيخه الفوقاني

ولقد أتى ذكر الجلوس به وفي ... أثر رواه جعفر الرباني

أعني ابن عم نبينا وبغيره ... أيضاً أتى والحق ذو تبيان

والدارقطني الامام يثبت الـ آثار في ذا الباب غير جبان
وله قصيد ضمنت هـذا وفيـ ـها لست للمروي ذا نكران
وجرت لذلك فتنة في وقته من فرقة التعطيل والعدوان
والله ناصر دينـه وكتابه ذا حكمه مذ كانت الفتنان

وهذا نص الأبيات التي أشار اليها ابن القيم رحمه الله تعالى. من كلام الدارقطني رحمه الله تعالى

حديث الشفاعة في أحمد الى أحمد المصطفى نسنده
وأما حديث باقعاده على العرش أيضا فلا نجحده
فلا تنكروا أنه قاعد ولا تنكروا أنه يقعده
أمروا الحديث على وجهه ولا تدخلوا فيه مايفسده

فاذا ثبت هذا عن أئمة أهل الاسلام فلا عبرة بمن خالفهم من الطغام أشباه الانعام

وأما قوله ويثبت له اليد والوجه والجهة ويقول بصحة الاشارة اليه في السماء

(فالجواب أن نقول) نعم قد كان الشيخ محمد رحمه الله واتباعه يثبتون اليد والوجه لله تعالى ويصفون الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوزون القرآن والحديث كما قال الامام احمد رضي الله عنه لايوصف الله إلا بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لانتجاوز القرآن والحديث، ومذهب السلف أنهم يصفون الله بماوصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ونعلم أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا احاجي بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لاسيما اذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم وأنصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والارشاد وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لافي نفسه المذكورة باسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فكل ماأوجب نقصا أو حدوثا فان الله منزه عنه حقيقة فالله سبحانه مستحق

للكمال الذي لا غاية فوقه ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ولافتقار المحدَث إلى محدِث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلون أسماءه وصفاته العليا ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته فاذا عرفت هذا فانا نثبت لله اليد كما أثبتها لنفسه كما قال تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقال تعالى (يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال تعالى (يد الله فوق أيديهم) وقال تعالى (والسموات مطويات بيمينه) الى غير ذلك من الآيات ونثبت أن لله وجها كما قال تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقوله (فاينما تولوا فثم وجه الله) الى غير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه «أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وخط لك الالواح بيده» وفي لفظ «وكتب لك التوراة بيده» وقال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم «وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده» وقوله صلى الله عليه وسلم «تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفى أحدكم خبزته في سفره نزلا لأهل الجنة» ومثل أحاديث أخر «بيده الأمر - والخير في يديك - والذي نفس محمد بيده - وإن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل» وقوله «المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين» وقوله «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون» وقوله «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء وبيده الاخرى القسط يخفض ويرفع» وكل هذه الاحاديث في الصحاح

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال « ان الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه »

وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » رواه البخاري ، والاحاديث في هذا المعنى كثيرة

وقال الامام عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية : لما فرغ المريسي من انكار اليدين ونفيهما عن الله عز وجل أقبل قبل وجه الله ذي الجلال والاكرام ينفيه عنه إلى ان قال : واستمر الجحود به حتى ادعى ان وجه الله الذي وصفه بانه ذو الجلال والاكرام مخلوق لانه ادعى أنه أعمال مخلوقة يتوجه بها اليه وثواب وانعام مخلوق يثيب به العامل وزعم انه قبلة الله وقبلة الله لاشك مخلوقة ثم ساق الكلام في الرد عليه وان القول بأن لفظ الوجه مجاز باطل . انتهى

(وأما الجهة) فقال شيخ الاسلام في المنهاج : فان مسمى لفظ الجهة يراد به أمر وجودي كالفلك الأعلى ويراد به أمر عدمي كما وراء العالم ، فان أريد الثاني ان يقال كل جسم في جهة ، واذا أريد الاول امتنع أن يكون كل جسم في جسم آخر ، فمن قال الباري في جهة وأراد بالجهة أمرا موجودا فكل ماسواه مخلوق له في جهة بهذا التفسير فهو مخطيء ، وان أراد بالجهة أمرا عدميا وهو مافوق العالم وقال ان الله فوق العالم فقد أصاب ، وليس فوق العالم موجود غيره فلا يكون سبحانه في شيء من الموجودات ، وأما اذا فسرت الجهة بالامر العدمي فالعدم لاشيء وهذا ونحوه من الاستفسار وبيان مايراد به اللفظ من معنى صحيح وباطل يزيل عامة الشبه ، فاذا قال نافي الرؤية لو رؤي لكان في جهة وهذا ممتنع ، فالرؤية ممتنعة ، قيل له : ان أردت بالجهة أمرا وجوديا فالمقدمة الاولى ممنوعة ، وان أردت بالجهة أمرا عدميا فالثانية ممنوعة ، فيلزم بطلان أحد المقدمتين على

كل تقدير ، فتكون الحجة باطلة ، وذلك انه ان أراد بالجهة أمرا وجوديا لم يلزم ان كل مرئي في جهة وجودية ، فان سطح العالم الذي هو أعلاه ليس في جهة وجودية ومع هذا تجوز رؤيته فانه جسم من الاجسام فبطل قولهم كل مرئي لابد أن يكون في جهة ان أراد بالجهة أمرا وجوديا ، وان أراد بالجهة أمرا عدميا منع المقدمة الثانية ، فانه اذا قال الباري ليس في جهة عدمية وقد علم ان العدم ليس بشيء كان حقيقة قوله ان الباري لا يكون موجودا قائما بنفسه حيث لاموجود إلا هو وهذا باطل ، وان قال أحد يستلزم أن يكون جسما أو متحيزا عاد الكلام معه في مسمى الجسم المتحيز ، فان قال هذا يستلزم أن يكون مركبا من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة وغير ذلك من المعاني الممتنعة على الرب لم يسلم له هذا التلازم ، وان قال يستلزم أن يكون الرب يشار اليه برفع الأيدي في الدعاء ، وتعرج الملائكة والروح اليه ، ويعرج محمد صلى الله عليه وسلم اليه ، وتنزل الملائكة من عنده ، وينزل منه القرآن ونحو ذلك من اللوازم التي نطق بها الكتاب والسنة وما كان فى معناها ، قيل له لا نسلم انتفاء هذه اللوازم ، فان قال : ما استلزم هذه اللوازم فهو جسم ، قيل ان أردت انه يسمى جسما في اللغة والشرع فهذا باطل ، وأن أردت أن يكون جسما مركبا من المادة والصورة أو من الجواهر المركبة ، فهذا أيضا ممنوع فى العقل فانما هو جسم باتفاق العقلاء كالاجسام لا نسلم انه مركب بهذا الاعتبار كما قد بسط في موضعه وتمام ذلك بمعرفة البحث العقلي في تركيب الجسم الاصطلاحي من هذا وهذا ، وقد بسط في غير هذا الموضع وتبين به ان قول هؤلاء وهؤلاء باطل مخالف للأدلة العقلية القطعية . انتهى ، وقال في كتابه (موافقة العقل الصحيح للنقل الصحيح) وكذلك إذا قالوا ان الله منزه عن الحدود والأحياز والجهات أوهموا الناس بأن مقصودهم بذلك انه لا تحصره المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات وهذا المعنى صحيح ومقصودهم انه ليس مباينا للخلق ، ولا منفصلا عنه ، وانه ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله وان محمدا لم يعرج به اليه ولم ينزل شيئا ولا يصعد اليه شيء ولا يتقرب اليه بشيء ولا ترفع الأيدي اليه في الدعاء ولا غيره وغير ذلك من معاني الجهة ، واذا قالوا انه ليس

بجسم أوهموا الناس انه ليس من جنس المخلوقات ولا مثل أبدان الخلق وهذا المعنى صحيح ، ولكن مقصودهم بذلك انه لا يرى ولا يتكلم بنفسه ولا تقوم به صفة ولا هو مباين للخلق وأمثال ذلك . انتهى

فاذا تبين هذا وتحققته فهذه الألفاظ لم يرد بها نص عن رسول الله صلى عليه وسلم ولا عن أصحابه ولا عن السلف الصالح ولا الأئمة الأربعة ولا غيرهم من ائمة الحديث فاذا اتضح لك هذا فلفظ الجهة لا نثبته مطلقا ولا ننفيه مطلقا ، لانه محتمل لمعنيين باطل وصحيح ، فمن أطلقه نفيا أو اثباتا سئل عما أراد به ، فان قال أردت بالجهة انه منزه عن جهة وجودية تحيط به وتحويه احاطة الظرف بالمظروف ، قيل له نعم هو أعظم من ذلك وأكبر وأعلى ، ولكن لا يلزم من كونه على عرشه هذا المعنى ، وان أراد بالجهة أمراً يوجب مباينة الخالق للمخلوق وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه ، فنفيه بهذا المعنى باطل ، وتسميته جهة اصطلاحي منه توصل به الى نفي مادل عليه العقل والنقل فسمى مافوق العالم جهة وقال منزه عن الجهة اه وبهذا يندفع عنا ما ألزمنا به من لم يعرف حقيقة ماعندنا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

وأما قوله : ويقول بصحة الاشارة اليه في السماء

(فالجواب أن نقول) نعم نقول به ونعتقده وندين الله به ونشهد الله وملائكته وجميع خلقه على اعتقاد ذلك ، عليه نحيي وعليه نموت وعليه نبعث ان شاء الله تعالى لأنه ليس في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الاهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصاً ولا ظاهرا ولم يقل أحد منهم قط ان الله ليس في السماء ولا انه ليس على العرش ولا انه بذاته في كل مكان ولا ان جميع الامكنة بالنسبة اليه سواء ولا انه لا داخل العالم ولا خارجه ولا منفصل عنه ولا متصل ، ولا انه لا تجوز الاشارة اليه بالأصابع ونحوها ، بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول صلى الله

عليه وسلم جعل يقول « ألا هل بلّغت ؟ » فيقولون : نعم ، فيرفع أصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول « اللهم اشهد » غير مرة

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في اعلام الموقعين في بيان رد الجهمية للنصوص المحكمة: الثالث عشر الاشارة اليه حسا الى العلو كما أشار اليه من هو أعلم به وما يجب له ويمتنع عليه من افراخ الجهمية والمعتزلة والفلاسفة في أعظم مجمع على وجه الارض برفعه أصبعه الى السماء ويقول « اللهم اشهد » ليشهد الجمع ان الرب الذي أرسله ودعا اليه واستشهده هو الذي فوق سمواته على عرشه . انتهى

فتبين من هذا ان هذا المذهب الملعون — أعني انكار الاشارة اليه بالاصبع الى السماء — مذهب افراخ الجهمية و المعتزلة والفلاسفة وقد استدل هذا الملحد بكلام شيخ الاسلام وابن القيم على عدم تكفير أهل الاهواء ورأى أنهما من العلماء المجتهدين الذين يعمل بأقوالهم ، فاذا لم يكن ما قالاه هنا حقا انتقض عليه الاستدلال بكلامهما هنالك

وقوله : ويدعي ان نزوله الى السماء الدنيا حقيقة فيجسمه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . فأين تنزيه الله تعالى بعد جعله جسما يشترك فيه معه أخس الجمادات وفي ذلك من النقص والازراء بألوهيته سبحانه ماهو منزه عنه

فالجواب أن نقول : نعم قد ثبت ذلك بالكتاب والسنة وأجمع على ذلك أهل السنة والجماعة ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أحاديث النزول في الصواعق المرسلة وذكر من كلام الأئمة ومن الاجوبة العقلية والنقلية مايكفي ، وذكر في حادي الأرواح الاحاديث الواردة في ذلك ، فمن أراد الوقوف عليها فليراجعها ونذكر هنا شيئا يسيراً من كلام الائمة ليتبين لهذا الجاهل انه قد اتبع سبيل افراخ الجهمية والفلاسفة والمعتزلة وانه قد حاد عن سبيل المؤمنين :

قال شيخ الاسلام قال أبو عبدالله محمد بن عبدالله الدميني الامام المشهور من أئمة المالكية في كتابه الذي صنفه في أصول السنة في باب الايمان بالنزول قال : ومن قول أهل السنة ان الله ينزل الى سماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حداً ، وذكر الحديث من طريق مالك وغيره الى أن قال : وأخبرني

وهب عن ابن وضاح عن الزهري عن ابن عباد قال : وممن أدركت من المشايخ مالك وسفيان وفضيل بن عياض وعيسى [١] بن المبارك ووكيع كانوا يقولون ان النزول حق . قال ابن وضاح : وسألت يوسف بن عدي عن النزول قال نعم أؤمن به ولا أحد فيه حداً . وسألت عنه ابن معين فقال نعم أؤمن به ولا أحد فيه حداً . اهـ

وقال أبو عثمان الصابوني فلما صح خبر النزول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا تشبيها له بنزول خلقه وعلموا وعرفوا وتحققوا واعتقدوا ان صفات الرب تبارك وتعالى لاتشبه صفات الخلق كما ان ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً ، ولعنهم الله لعنا كثيراً ، وقال الامام العارف معمر بن أحمد الاصبهاني شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة قال : أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة ، وموعظة من الحكمة ، وأجمع ماكان عليه أهل الحديث والأثر بلا كذب ، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها : وان الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، والاستواء معقول والكيف فيه مجهول ، وانه عز وجل بائن عن خلقه والخلق منه بائنون بلا حلول ولا ممازجة ، ولا اختلاط ولا ملاصقة ، لانه الفرد البائن من الخلق الواحد الغني عن الخلق وان الله عز وجل سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل من داع فأستجيب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر ، ونزول الرب الى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال وسائر الصفوة على هذا . اهـ

وقال الشيخ الامام ابو بكر احمد بن هارون الخلال في كتاب السنة حدثنا ابو بكر الأثرم حدثنا ابراهيم بن الحارث يعني العبادي حدثنا الليث بن يحيي قال سمعت ابراهيم ابن الاشعث قال : ابو بكر ـ هو صاحب الفضيل ـ قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو لأن الله تعالى

(١) كذا في الاصلين وفي هامش أحدهما . وأظنه عبد الله

وصف نفسه فابلغ فقال (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة ابلغ مما وصف به نفسه ، وكل هذا النزول والضحك ، وهذه المباهات ، وهـذا الاطلاع كما يشاء أن ينزل ، وكما يشاء أن يباهي ، وكما يشاء أن يضحك ، وكما يشاء أن يطلع . فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف ، فاذا قال الجهمي أنا أكفر برب يزول عن مكانه فقل ، بل أو من برب يفعل مايشاء ونقل هذا عن الفضيل جماعة منهم البخاري في كتاب خلق أفعال العباد انتهى

وقال الامام أبو عبدالله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه اعتقاد التوحيد في اثبات الاسماء والصفات قال : ومما نعتقده أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيبسط يده فيقول هل من سائل الحديث . وقال أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه الأبانة في أصول الديانة ، وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه . فقال فصل في ابانة قول أهل الحق والسنة ، فان قال قائل قد انكر ، نم قول المعتزلة والقدرية والجهمية ، والحرورية ، والرافضة ، والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون ، قيل له قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكلام ربنا ، وسنة نبينا ، وما روي عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبدالله احمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبتـه قائلون وما خالف قوله ، مخالفون لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ، ورفع به الضلالة ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدعة المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفهم ، إلى أن قال : وإنه مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وإن له وجهاً كما قال (ويبقى وجه ربك ذوا الجلال والاكرام) وأن له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدي ، وقال بل يداه مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء ، الى أن قال و نصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا ، وان الرب عز وجل

يقول : هل من سائل ، هل من مستغفر . وسائر مانقلوه وأثبتوه خلافا لما قال: أهل الزيغ والتضليل انتهى

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المعروف بنقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد . قال : وادعى المعارض أيضاً أن قول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل فيقول هل من مستغفر ، هل من تائب ، هل من داع قال فادعى ان الله لاينزل بنفسه انما ينزل أمره ورحمته وهو على العرش ، وبكل مكان من غير زوال لأنه الحي القيوم ، والقيوم بزعمه من لايزول ، قال : فيقال لهذا المعارض ، وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان ، ومن ليس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان ، لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان ، فما بال النبي صلى الله عليه وسلم يحد لنزوله الليل دون النهار ، ويوقت من الليل شطره أو الاسحار ، فأمره ورحمته يدعوان العباد إلى الاستغفار ، أو بقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولا هل من داع فأجيبه ، هل من مستغفر فاغفرله ، هل من سائل فاعطيه ، فان قررت مذهبك لزمك أن تدعي أن الرحمة والأمر هما اللذان يدعوان إلى الاجابة والاستغفار بكلامه دون الله وهذا محال عند السفهاء ، فكيف عند الفقهاء ، قد علمتم ذلك ولكن تكابرون ، وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطر الليل ، ثم يمكثان إلى طلوع الفجر ، ثم يرفعان لأن رفاعة راويه يقول في حديثه حتى ينفجر الفجر ، قد علمتم إن شاء الله أن هذا التأويل باطل ولا يقبله إلا جاهل ، وأما دعواك أن تفسير القيوم الذي لايزول عن مكانه ولا يتحرك ، فلا يقبل منك هذا التفسير إلا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن بعض أصحابه ، أو التابعين لان الحي القيوم يفعل مايشاء ، ويتحرك اذا شاء ، ويهبط ويرتفع اذا شاء ، ويقبض ، ويبسط ، ويقوم ، ويجلس اذا شاء ، لأن أمارة مابين الحي والميت التحرك كل حي متحرك لامحالة ، وكل ميت غير متحرك لامحالة ، ومن يلتفت إلى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ورسول رب العزة ، إذ فسر نزوله مشروعاً منصوصاً ، ووقت لنزوله وقتاً

مخصوصاً لم يدع لك ولا لاصحابك فيه لعباً ولا عويصاً انتهى . ولو ذهبنا ننقل أقوال العلماء أهل السنة والجماعة المتفق على امامتهم ودرايتهم لطال الكلام ، وبما ذكرناه يندفع الخصام ، وينجلي تلبيس هؤلاء الجهلة الطغام ، فنقتصر على ماذكر من كلام أئمة الاسلام

وأما قوله فيجسمه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً

فيقال في جوابه انك أيها الضال المضل لاتفهم من كون الله على العرش إلا مايثبت لأي جسم كان على أي جسم كان ، وهذا الكلام اللازم بعينه تابع لهذا المفهوم ، وأما استواء يليق بجلال الله ، ونزول ، وهبوط ، وارتفاع يليق بجلال الله ويختص به ، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها كما يلزم سائر الاجسام ، وصار هذا مثل قول الممثل اذا كان للعالم صانع ، فاما أن يكون جوهراً أو عرضاً ، و كلاهما محال إذ لايعقل موجود إلا هذان

وقوله اذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الانسان على السرير ، والفلك إذ لايعلم الاستواء إلا هكذا ، فان كليهما مثل ، وكلاهما عطل حقيقة ماوصف الله به نفسه ، وامتاز الاول بتعطيل كل اسم لاستواء الحقيقة . وامتاز الثاني باثبات استواء هو من خصائص المخلوقين ، والقول الفاصل هو ماعليه الامة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به ، ونزول وارتفاع يليق به ويختص به ، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير ، وانه سميع بصير ونحو ذلك — ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الاعراض التي كعلم المخلوقين وقدرتهم — فكذلك هو سبحانه فوق العرش وينزل منه كل آخر ليلة إلى سماء الدنيا ولا يثبت لفوقيته ، ونزوله وصعوده خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ، ونزوله وصعوده وملزوماتها

وأما زعمه أنا نجسمه اذا اثبتنا ماأثبته الله لنفسه فهذا ليس ببدع من ألقاب أهل الضلال ثم اعلم أنه ليس أحد منا يقول إن الله جسم فان هذا اللفظ عندنا مبتدع محدث في الاسلام لم يقل به أحد من السلف الصالح والصدر الأول وأول ماظهر اطلاق لفظ الجسم من متكلمة الشيعة كهشام بن الحكم كذا نقل ابن حزم

وغيره قال أبو الحسن الاشعري في كتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين اختلف الروافض أصحاب الأمامية في التجسيم وهم ست فرق (فالفرقة الاولى) الهشامية أصحاب هشام بن الحكم الرافضي يزعمون أن معبودهم جسم وله نهاية وحد طويل عريض عميق طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه لا يوفي بعضه عن بعض وزعموا أنه نور ساطع له قدر من الأقدار في مكان دون مكان كالسبيكة الصافية يتلألؤ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ذوا لون وطعم ورائحة ومجسة وذكر كلاما طويلا . (والفرقة الثانية) من الرافضة يزعمون أن ربهم ليس بصورة ولا كالأجسام وإنما يذهبون في قولهم إنه جسم الى انه موجود ولا يثبتون الباري ذا اجزاء مؤتلفة وأبعاض متلاصقة ويزعمون أن الله على العرش مستو بلا مماثلة ولا كيف (والفرقة الثالثة) من الروافض يزعمون أن ربهم على صورة الانسان ويمنعون أن يكون جسما (والفرقة الرابعة) من الرافضة الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقى يزعمون أن ربهم على صورة الانسان وينكرون أن يكون لحما ودما ويقولون إنه نور ساطع يتلألأ بياضا وإنه ذو حواس كحواس الانسان له يد ورجل وأنف واذن وفم وعين وإنه سميع بغير ما به يبصر وكذلك سائر حواسه متغايرة عندهم قال وحكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم كان يزعم أن لربه وفرة متغايرة سوداء وأن ذلك نور اسود (والفرقة الخامسة) يزعمون أن لرب العالمين ضياء خالصا ونورا بحتا وهو كالمصباح الذي من حيث ماجئته يلقاك بنور وليس بذي صورة ولا أعضاء ولا اختلاف في الأجزاء وانكروا أن يكون على صورة الانسان أو على صورة شيء من الحيوان قال (والفرقة السادسة)من الرافضة يزعمون أن ربهم ليس بجسم ولا بصورة ولا يشبه الأشياء ولا متحرك ولا يسكن ولا يماس وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج قال أبو الحسن الاشعري وهؤلاء قوم من متأخريهم فأما أوائلهم فانهم كانوا يقولون بما حكينا عنهم

قال شيخ الاسلام ابن تيمية وهذا الذى ذكره أبو الحسن الأشعري عن قدماء الشيعة من القول بالتجسيم قد اتفق على نقله عنهم أرباب المقالات حتى نفس الشيعة كابن النوبختي ذكر ذلك عن هؤلاء الشيعة ثم ذكر من قال بالتجسيم

من المتكلمين وغيرهم ممن يزعم أنه من أهل السنة الى أن قال وأئمة النفاة يعني نفاة التجسيم هم الجهمية من المعتزلة ونحوهم يجعلون من أثبت الصفات مجسما بناء عندهم على أن الصفات عندهم لاتقوم إلا بجسم ويقولون إن الجسم مركب من الجواهر المنفردة ومن المادة والصورة فقال لهم أهل الاثبات قولكم منقوض باثبات الاسماء الحسنى فان الله تعالى حي عليم قدير وإن امكن اثبات حي عليم قدير وليس بجسم امكن أن يكون له حياة وعلم وقدرة وليس بجسم وان لم يمكن ذلك فما كان جوابكم عن اثبات الاسماء كان جوابنا عن اثبات الصفات انتهى المقصود منه . فاذا تبين لك أن هذا المذهب اعني القول بالتجسيم هو مذهب هؤلاء المبتدعة الضلال ومن وافقهم من اتباع الأئمة فمذهب الوهابية هو مذهب السلف المحضة كالامام احمد وذويه فلا يطلقون لفظ التجسيم لا نفياً ولا اثباتا لوجهين أحدهما أنه ليس مأثوراً لافي كتاب ولاسنة ولا أثر عن أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا غيرهم من أئمة المسلمين فصار من البدع المذمومة (الثاني) أن معناه يدخل فيه حق وباطل انتهى من المنهاج لشيخ الاسلام رحمه الله وتمام الكلام فيه فمن أراد الوقوف عليه فليراجعه

فصل

قال العراقي ومن عظيم سفهه أنه لما رأى العقل مخالفا لجميع مايدعيه خلع الحياء فعطل العقل ولم يحكمه في شيء وتصدى الى جعل الناس كالبهائم الى آخر ماهذى به

(والجواب أن نقول) لما رأى الشيخ رحمه الله أن هؤلاء الذين هم افراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين واشكالهم واشباههم فيما يعتقدونه أنهم في معرفة ذلك اعتمدوا على مجرد عقولهم ودفعوا بما اقتضى قياس عقولهم مادل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً ولم يحكموا كتاب الله وسنة رسوله ولم يلتفتوا الى أقوال الصحابة ومن بعدهم من التابعين لهم باحسان ولم يسلكوا طريق الأئمة في باب معرفة الله

وأسمائه وصفاته وأفعاله وفي باب العمل والعبادة وأنهم خالفوا صحيح العقل الموافق لصريح النقل مما أجمع عليه سلف الامة وأئمتها عطل عقول هؤلاء ولم يحكمها في شيء فان البهائم التي لا تعقل شيئا اهدى سبيلا من عقول هؤلاء كما قال تعالى (إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا) لأنها قد تهتدي الى بعض منافعها وقد كان من المعلوم بالضرورة أن أصح الناس عقولا واكملهم آراءً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان ومن بعدهم من السلف الصالح والصدر الأول وأئمة الدين والحديث ومن على طريقهم فمن خالفهم فعقله فاسد ورأيه كاسد. ومن المعلوم أيضاً أن الشيخ رحمه الله لم ينف معقول هؤلاء الأئمة بل حكم ماوافق المنقول من معقولهم واعتمده في رد أباطيل هؤلاء الملاحدة واشباههم وكذلك ما أصلوه من الاصول وبنوه عليه من الفروع الموافق لقواعد الشريعة المطهرة يعمل به ويحكم به فمن نسب اليه غير ذلك فقد أخطأ وظلم نفسه وافترى عليه وقد خاب من افترى

فصل

قال العراقي قد آن لنا أن نذكر ههنا خلاصة ماتمذهبت به الفرقة المارقة والوهابية من الأباطيل ثم نتكلم عليها في المباحث الآتية بما يردها ويدحض حجتها فنقول قد اشتملت عقيدتهم الباطلة على امور (الاول) اثبات الوجه واليد والجهة للباري سبحانه وجعله جسما ينزل ويصعد (الثاني) تقديم النقل على العقل وعدم جواز الرجوع اليه في الامور الدينية (الثالث) نفي الأجماع وانكاره (الرابع) نفي القياس (الخامس) عدم جواز التقليد للمجتهدين من أئمة الدين وتكفير من قلدهم (السادس) تكفيرهم لكل من خالفهم من المسلمين (السابع) النهي عن التوسل الى الله تعالى بالرسول أو بغيره من الأولياء والصالحين (الثامن) تحريم زيارة قبور الأنبياء والصالحين (التاسع) تكفير من حلف بغير الله وعده مشركا (العاشر) تكفير من نذر لغير الله أو ذبح عند مراقد الأنبياء والصالحين (فالجواب أن نقول) نعم قد اشتملت عقيدة الوهابية على اثبات الوجه

واليد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف كما هو معروف مشهور في عقائدهم وفيما صنفوه من الرد على الجهمية وغيرهم من أهل البدع وذكرنا من ذلك طرفا فيما تقدم.

وأما لفظ الجهة وجعله سبحانه وتعالى جسما فهذا من الكذب على الوهابية وقد تقدم الكلام على ذلك قريبا وفيه بحث وتفصيل

وأما كونه تعالي ينزل ويصعد فهو ثابت بالأحاديث الصحيحة أحاديث النزول وقد تقدم الكلام على ذلك وهو مما نعتقده وندين الله به على ما يليق بجلاله وعظمته ولو كره الكافرون

(وأما قوله الثاني) تقديم النقل على العقل

(فأقول) وهذا أيضا مما ندين الله به ونعتقده ومن لم يقدم النقل على العقل فما آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ومع ذلك نقول : إن العقل الصحيح لا يخالف النقل الصريح فان اختلفا فالعقل إما فاسد أو النقل غير صحيح ولا صريح

وأما عدم جواز الرجوع اليه في الامور الدينية فما ذاك إلا لمخالفة النقل الصحيح الصريح . وأما إذا وافق النقل فلا مانع من جوازه عندنا بل نعتضد بذلك ونعتمده

(وقوله الثالث) نفي الاجماع وانكاره

(فأقول) هذا كذب فانا نعتقد أنه الاصل الثالث وأن الامة لا تجمع على ضلالة لكن ننكر اجماع عبّاد القبور وافراخ المتفلسفة وانباط الفرس والروم ومن نحا نحوهم ، وحذا حذوهم . وأيضا ننكر دعوى الاجماع على ان الاجتهاد قد انقطع ، وأن التقليد واجب

(وقوله الرابع) نفي القياس

(فأقول) أما نفي القياس مطلقا فمن الكذب فان فيه ما هو صحيح وفيه ما هو باطل

(وقوله الخامس) عدم جواز التقليد للمجتهدين من أئمة الدين وتكفير من قلدهم

(فأقول) وهذا أيضاً من الكذب على الوهابية فانهم كانوا على مذهب أحمد بن حنبل ولكن ربما يوجد ذلك في كتب بعض من ينسبونه هؤلاء اليهم لاعتقاده أنهم على الحق وأنهم مخالفون لعبّاد القبور ولأهل الأهواء من أهل

البدع كما قد يوجد ذلك في كتب صديق الهندي وغيره

(وقوله السادس) تكفيرهم كل من خالفهم من المسلمين

(فأقول) وهذا أيضا كذب على الوهابية فانهم لايكفرون المسلمين وإنما يكفرون من كفر الله ورسوله وأهل العلم من غلاة عبّاد القبور وغلاة الجهمية وغلاة القدرية والمجبرة وغلاة الروافض وغلاة المعتزلة وغيرهم ممن كفره السلف الصالح بعد قيام الحجة

(وقوله السابع) النهي عن التوسل الى الله تعالى بالرسول وبغيره من الأولياء والصالحين

(فأقول) نعم كانوا ينهون عن التوسل بالرسول وبغيره من الأولياء والصالحين بعد مماتهم وفي حال غيبتهم اذا كان التوسل على مايعرف في لغة الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين . وأما في حال حياتهم بهذا العرف فلا ينهون عنه ولا ينكرونه . وأما على عرف غلاة عبّاد القبور واصطلاحهم الحادث فهم ينهون عنه ويكفرون من دعا أهل القبور واستغاث بهم والتجأ اليهم بعد قيام الحجة عليهم

(وقوله الثامن) تحريم زيارة قبور الأنبياء والصالحين

(فأقول) وهذا أيضا من الكذب على الوهابية فانه يجوز عندهم زيارة القبور على الوجه الشرعي . وأما شد الرحال اليها فيمنعون من ذلك وينكرونه لقوله صلى الله عليه وسلم « لاتشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد » الحديث

(وقوله التاسع) تكفير من حلف بغير الله وعده مشركا

(فأقول) هذا كذب على الوهابية فانهم لايكفرون بمجرد الحلف بغير الله وفيه بحث

(وقوله العاشر) تكفير من نذر لغير الله أو ذبح عند مراقد الانبياء والصالحين

(فأقول) نعم يكفرون من نذر لغير الله وذبح لغيره فان النذر والذبح من خصائص الالهية فمن أشرك بالله أحداً من المخلوقين في خصائص الخالق فلا مانع من تكفيره بعد قيام الحجة عليه وسيأتي الكلام على كلامه عليها ان شاء الله تعالى

فصل

قال العراقي : تجسيم الوهابية

إن الوهابية التي كفرت من زار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم متوسلا الى الله تعالى وعدَّت ذلك شركا في الوهيته وقالت بوجوب تنزيهه تعالى قد خبطت كل الخبط في تنزيه الله تعالى حيث أبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتا على عرشه ، واستقراراً وعلواً فوقه واثبتت له الوجه واليدين وبعضته سبحانه فجعلته ماسكا بالسموات على اصبع ، والارضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والملك على اصبع ثم اثبتت له الجهة فقالت هو فوق السموات ثابت على العرش يشار اليه بالأصابع الى فوق إشارة حسيّة وينزل الى السماء الدنيا ويصعد قال بعضهم

لئن كان تجسيما ثبوت استوائه على عرشه إني إذاً لمجسم
وان كان تشبيها ثبوت صفاته فعن ذلك التشبيه لا اتلعثم
وان كان تنزيها جحود استوائه وأوصافه او كونه يتكلم
فمن ذلك التنزيه نزهت ربنا بتوفيقه والله أعلى واعظم

(والجواب أن نقول) بل الذي خبط كل الخبط ، وهام في مهامه الخرط والهمط ، وكشف جلباب الحياء ، وسلك مسالك أهل الغي والردى ، هذا العراقي الملحد حيث جعل اثبات صفات الله ذي الجلال والاكرام تجسيما وتشبيها ومن وصفه بها فقد بعّضه وصرح بعدم علوه على عرشه وارتفاعه عليه عناداً وجحوداً ، وتمرداً وتكبراً وسمودا فتعالى الله عما يقول هذا الجاحد علواً كبيراً فاما كون الوهابية أبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتا على عرشه واستقراراً وعلواً فوقه فنعم وبذلك انزل الله كتبه وارسل رسله واجمع على ذلك سلف الامة وأئمتها : فالوهابية يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ، ولا تمثيل فيثبتون لله ما اثبته لنفسه من الاسماء والصفات وينفون عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات اثباتا

بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ماوصف الله به نفسه فقد كفر وليس ماوصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيها

اذا تبين لك هذا وتحققته فنذكر من كلام الأئمة مايبين غلط هذا الملحد وخروجه عن الصراط المستقيم ، وسلوكه طريق أصحاب الجحيم ، ممن نكب عن الدين القويم ، واتبع غير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين

قال شيخ الاسلام رحمه الله ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم الى غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هذا الموضع بما يعلم به مذهبهم روى أبو بكر البيهقي في الاسماء والصفات باسناد صحيح عن الأوزاعي. قال : كنا والتابعون متوافرون نقول: ان الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت فيه السنة من الصفات . قال الشيخ : وفي كتاب الفقه الاكبر المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذي رووه بالاسناد عن أبي مطيع ابن عبد [1] البلخي قال سألت أباحنيفة عن الفقه الاكبر فقال : لاتكفرن أحداً بذنب ولا تنف أحداً به من الايمان ، وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . إلى أن قال : قال أبو حنيفة عمن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الارض فقد كفر لان الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سبع سموات . قلت : فان قال انه على العرش استوى ولكنه يقول : لا أدري العرش في السماء أم في الأرض قال هو كافر لانه أنكر أن يكون في السماء لانه تعالى في أعلى عليين وانه يدعى من أعلى لا من أسفل.. وفي لفظ : سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض قال : قد كفر قال لان الله يقول (الرحمن على العرش استوى) لكن لا يدري العرش في الأرض أم في السماء قال إذا أنكر انه في السما، فقد كفر . ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه انه كفر الواقف الذي يقول : لا أعرف ربي في السماء أم في الارض فكيف يكون النافي الجاحد الذي يقول ليس في السماء ولا في الأرض ،

(١) بياض بالاصل واسم ابي مطيع الحكم بن عبدالله البلخي

واحتج على كفره بقوله (الرحمن على العرش استوى) قال وعرشه على سبع سموات وبيّن بهذا ان قوله (الرحمن على العرش استوى) دال على ان الله نفسه فوق العرش ، ثم انه أردف ذلك بتكفير من قال انه على العرش استوى ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الارض قال لانه أنكر انه في السماء لان الله في أعلى عليين وانه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر ان يكون الله في السماء ، واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين وانه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية فان القلوب مفطورة على الاقرار بأن الله في العلو وعلى انه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وقد جاء اللفظ الآخر صريحاً عنه بذلك فقال : إذا أنكر انه في السماء فقد كفر . وروي هذا اللفظ بالاسناد عنه شيخ الاسلام أبو اسماعيل الانصاري الهروي في كتاب الفاروق . وروى أيضا ابن أبي حاتم ان هشام بن عبد الله الرازي صاحب محمد بن الحسن قاضي الري الذي حبس رجلا في التجهم فتاب فجيء به إلى هشام ليطلقه فقال : الحمد لله على التوبة فامتحنه هشام فقال : أتشهد ان الله على عرشه بائن من خلقه ، فقال : أشهد انه على عرشه ولا أدري ما بائن من خلقه ، فقال : ردوه إلى الحبس فانه لم يتب

وروى أيضا عن يحيى بن معاذ الرازي انه قال : ان الله على العرش بائن من الخلق وقد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ، لا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضلّيل وهالك مرتاب يمزج الله تعالى بخلقه ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان

وروى أيضاً عن ابن المديني لما سئل : ما قول أهل الجماعة ، قال : يؤمنون بالرؤية والكلام ، وان الله فوق السموات على العرش استوى ، فسئل عن قوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فقال : إقرأ ما قبلها (ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض)

وروى أيضاً عن أبي عيسى الترمذي قال: هو على العرش كما وصف في كتابه وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان

وروى عن أبي زرعة الرازي انه لما سئل عن تفسير قوله (الرحمن على العرش استوى) فقال تفسيره كما تقرأ هو على العرش وعلمه في كل مكان ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله إلى أن قال : وروى عبد الله بن احمد وغيره باسناد صحيح عن ابن المبارك انه قيل له بماذا نعرف ربنا فقال بأنه فوق السموات على عرشه بائن من خلقه ولا نقول كما تقول الجهمية انه ههنا في الارض وهكذا قال الامام احمد وغيره

وروي باسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال : إنما يحاولون أن يقولوا : ليس في السماء شيء

وروى ابن أبي حاتم فى كتاب الرد على الجهمية عن سعيد بن عامر الضبعي إمام أهل البصرة علماً وديناً من شيوخ الامام احمد انه ذكر عنده الجهمية فقال : هم شر قولا من اليهود والنصارى ، وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على ان الله على العرش وقالوا هم ليس على شيء

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة امام الأئمة : من لم يقر ان الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه ثم ألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة ، ذكره عنه الحاكم باسناد صحيح وذكر كلاماً طويلا ثم قال : وقال الحافظ أبو نعيم في كتاب محجة الواثقين ومدرجة الوامقين تأليفه : وأجمعوا ان الله فوق سمواته عال على عرشه مستو عليه لا مستول عليه كما تقوله الجهمية إنه بكل مكان. ثم ذكر الشيخ كلاماً إلى أن ذكر عن الشيخ الامام أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني قال في كتاب الغنية أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن ان الله واحد أحد ، إلى أن قال : وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالأشياء ، اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش استوى كما قال (الرحمن على العرش استوى) وذكر آيات وأحاديث الى أن قال : وينبغي اطلاق الاستواء

من غير تأويل وانه استواء الذات على العرش قال : وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسله بلا كيف وذكر كلاما طويلا لا يحتمله هذا الموضع

وقال ابو الحسن الاشعري في الابانة :

﴿ باب ذكر الاستواء على العرش ﴾

فان قال قائل ماتقولون في الاستواء ؟ قيل له نقول : إن الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وذكر آيات ثم قال فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات (قال أأمنتم من في السماء) لانه مستو على العرش الذي هو فوق السموات وكل ماعلا فوق فهو سماء فالعرش أعلى السموات الى أن قال

(فصل) وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن معنى قوله (الرحمن على العرش استوى) انه استولى وقهر وملك وأن الله عز وجل في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء الى انه القدرة فلو كان كما ذكروه كان لافرق بين العرش والارض السابعة لأن الله قادر على كل شيء والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل مافي العالم فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار لانه قادر على الاشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقال إن الله مستو على الحشوش والأخلية ولم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الاشياء كلها وذكر دلالات من القرآن والأحاديث والاجماع والعقل انتهى وقال شيخ الاسلام أيضا في الكتاب المسمى بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول قال إسحق بن راهويه حدثنا بشر بن عمر سمعت غير واحد من المفسرين يقول الرحمن على العرش استوى أي ارتفع وقال البخاري في صحيحه قال أبو العالية استوى الى السماء قال وقال مجاهد استوى على العرش وقال الحسين ابن مسعود البغوي في تفسيره المشهور قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف

استوى إلى السماء ارتفع الى السماء وكذلك قال الخليل بن أحمد وروي البيهقي في كتاب الصفات قال الفراء ثم استوى أي صعد قاله ابن عباس وهو كقولك للرجل كان قاعداً فاستوى قائماً وروي الشافعي في مسنده عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند يوم الجمعة وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش والتفاسير المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبري وتفسير عبد الرحمن بن ابراهيم المعروف بدحيم وتفسير عبد الرحمن بن أبي حاتم وتفسير ابن المنذر وتفسير أبي بكر عبد العزيز وتفسير أبي الشيخ الاصبهاني وتفسير أبي بكر بن مردويه وما قبل هؤلاء من التفاسير مثل تفسير أحمد ابن حنبل وإسحق بن إبراهيم وبقي بن مخلد وغيرهم ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد وتفسير عبد الرزاق ووكيع ابن الجراح فيها من هذا الباب الموافق لقول المثبتين مالا يكاد يحصى وكذلك الكتب المصنفة في السنة التي فيها آثار النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وقال أبو محمد حرب بن إسمعيل الكرماني في مسائله المعروفة التي نقلها عن عن أحمد وإسحق وغيرهما وذكر معها من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وغيرهم ما ذكر وهو كتاب كبير صنفه على طريقة الموطأ ونحوه من المصنفات قال في آخره في الجامع باب القول في المذهب هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين المقتدى بهم فيها وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وبقي بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا منهم العلم وذكر الكلام في الايمان والقدر والوعيد والأمامة وما أخبر به الرسول من أشراط الساعة وامر البرزخ والقيامة وغير ذلك الى أن قال وهو سبحانه بائن من خلقه لايخلو من علمه مكان ولله عرش وللعرش حملة يحملونه وله حد الله أعلم بحده والله على عرشه عز ذكره وتعالى جده ولا إله غيره والله تعالى سميع لايشك

بصير لا يرتاب عليم لا يجهل جواد لا يبخل حليم لا يعجل حفيظ لا ينسى يقظان لا يسهو ورقيب لا يغفل ، يتكلم ، ويتحرك ، ويسمع ، ويبصر ، وينظر ، ويقبض ، ويبسط ، ويفرح ، ويحب ، ويكره ويبغض ، ويرضى ، ويسخط ، ويغضب ، ويرحم ، ويغفر ، ويعفو ، ويعطي ، ويمنع ، وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء وكما شاء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولم يزل الله متكلما عالماً فتبارك الله أحسن الخالقين انتهى ولو ذهبنا نذكر أقوال أهل العلم من الأئمة لاحتمل مجلداً فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد في السماء ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور

وأما تفسير الاستواء بالاستقرار فهو من تفاسير أهل السنة والجماعة قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

فصل.

هذا وسادس عشرها اجماع أهـــل العلم أعنى حجـة الازمان
من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن
لاعـبرة بمخالف لهمو ولو كانوا عـديد الشاء والبعران
ان الذي فوق السموات العلى والعرش وهو مبائن الا كوان
هو ربنا سبحانه وبحمـده حقا على العرش استوا الرحمن
ثم اقوال الأئمة الى ان قال
ولهم عبارات عليها اربع قـد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا و كذلك ار تفع الذى مافيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع وابو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره ادرى من الجهمي بالقرآن
واما قوله واثبت له الوجه واليدين
فاقول قد تقدم الكلام على ذلك وبه الكفاية

وأما قوله وبعضه سبحانه فجعله ماسكا بالسموات على أصبع والارضين على أصبع والشجر على أصبع والملك على اصبع الخ

فالجواب أن يقال لمن وقف على هذا الجواب عليك أولا أن تعلم أن هذا الكلام أعني قوله وبعضه سبحانه ليس هو من كلام أهل السنة المحضة الذين لم يشوبوا عقائدهم بدم التشبيه وعذرة التحريف ونجاسة التعطيل بل هو من مقدرات الافكار ونتائج قياسات عقول أفراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان. وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصائبين وأشكالهم وأشباههم الذين يزعمون انهم ينزهون الله تعالى عن الابعاض والحدود والجهات فيسمع الغر المخدوع هذه الالفاظ يتوهم منها انهم ينزهون الله عما يفهم من معانيها عند الاطلاق من العيوب والنقائص والحاجة فلا يشك أنهم يمجدونه ويعظمونه ويكشف الناقد البصير ماتحت هذه الألفاظ فيرى تحتها الالحاد وتكذيب الرسل وتعطيل الرب تعالى عما يستحقه من كماله.

فأما الابعاض فمرادهم تنزيهه عنها أنه ليس له وجه ولا يدان ولا يمسك السموات على اصبع ، والارض على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء على اصبع ، فان ذلك كله ابعاض والله منزه عن الابعاض كما ذكره ابن القيم رحمه الله عنهم في الصواعق المرسلة فاذا عرفت هذا من قيلهم وعقائد قلوبهم وأنهم إنما نزهوه عما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه وإحاطته بجميع مخلوقاته وأنهم ماعرفوا الله حق معرفته ولا قدروه حق قدره ولا عظموه حق عظمته تخرجوا عن المعقول ونبذوا المنقول وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون فجاء هؤلاء الضلال الغلاة والملاحدة الجهال فتوهموا ان هذا من قول الوهابية وانهم خرجوا بهذا القول عن جماعة أهل السنة المحضة وما علم هؤلاء الجهلة ان هذا صريح الكتاب والسنة قال الله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) قال العماد بن كثير رحمه الله ، يقول الله تعالى ماقدر المشركون الله حق قدره حتى عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل شيء وكل شيء تحت

قهره وقدرته قال السدي ماعظموه حق عظمته وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن ان الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف وذكر حديث ابن مسعود الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد انا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والارضين على أصبع والشجر على أصبع والماء على أصبع والثري على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر قرأ (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية وفي رواية لمسلم والجبال والشجر علي أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك أنا الله وفي رواية البخاري يجعل السموات على اصبع والماء والثري على اصبع وسائر الخلق علي اصبع قال ابن كثير رحمه الله ورواه البخاري في صحيحه في غير موضع ومسلم والامام أحمد والترمذي والنسائي كلهم من حديث سليمان بن مهران وهو الاعمش عن ابراهيم بن عبيدة عن ابن مسعود بنحوه قال جاء رجل من أهل الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياأبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على اصبع والسموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والثري على اصبع فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال وانزل الله (وما قدروا الله حق قدره) الآية وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طريق عن الاعمش له وقال الامام أحمد حدثنا الحسين بن حسن الاشقر حدثنا ابو كدينه عن عطا عن أبي الضحا عن ابن عباس قال مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال كيف تقول ياأبا القاسم يوم يجعل الله السموات على ذه وأشار بالسبابة والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق علي ذه

كل ذلك يشير باصبعه فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره وكذا رواه الترمذي في التفسير بسنده عن أبي الضحي مسلم بن صبيح به وقال حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ثم قال البخاري حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن إن أبا هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول «يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه فيقول أنا الملك أين ملوك الارض» تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقال البخاري في موضع آخر حدثنا مقدم ابن محمد حدثني عمي القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الله تعالى يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك» تفرد به أيضاً من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه اخر وقد رواه الامام أحمد من طريق آخر بلفظ أبسط من هذا السياق وأطول فقال حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها ويقبل بها ويدبر يمجد الرب تعالى نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به انتهي وهذه الاحاديث تدل علي عظمته سبحانه وتعالى وتبين ان الله تعالى علي عرشه ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في شيء منها ان ظاهرها غير مراد. وانها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه ولو كان هذا حقاً لبلغه أمته فان الله أكمل به الدين وأتم به النعمة فبلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن يتبعهم الى يوم الدين وتلقى الصحابة رضي الله عنهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ماوصف به ربه من صفات كماله ونعوت جلاله فآمنوا به وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا وهذا الملحد الجاهل جعل ماتضمن كتاب الله

وسنة رسوله ابعاضاً وسمى اثبات علو الله على عرشه وفوقيته ونزوله وصعوده تجسيما ومن تمسك بكتاب الله وسنة رسوله وكلام الائمة مجسما

وأما قوله حتى قال بعضهم

لئن كان تجسيما ثبوت استوائه ... على عرشه اني اذاً لمجسم

وان كان تشبيها ثبوت صفاته ... فعن ذلك التشبه لا أتلعثم

وان كان تنزيها جحود استوائه ... وأوصافه أو كونه يتكلم

فمن ذلك التنزيه نزهت ربنا ... بتوفيقه والله أعلى وأعلم

فالجواب انا نعتقد هذا وندين الله به وأزيد ذلك تقريراً له بقولي

أقول نعم هذا هو الحق والهدى ... وعن وصفه بالحق لا أتلعثم

ومن حاد عن هذا وقال سفاهة ... طريقة جهم والمريسي أسلم

فقد حاد عن نهج الشريعة واعتدى ... وضل عن الحق الذي هو أحكم

وأشهد ان الله جل ثناؤه ... على عرشه والله أعلى وأعظم

وأشهد ان الله ليس كمثله ... شبيه ولا مثل ولا كفو يعلم

فمن جحد الاوصاف لله ربنا ... ونزهه عن كونه يتكلم

وعن كونه فوق السموات قد علا ... على عرشه فهو الكفور المذمم

فليس بتجسيم ثبوت استوائه ... على عرشه لكنما الفوق يفهم

ويعلم من نص الكتاب وسنة ... لأفضل خلق الله من هو أعلم

أليس على هذا صحابة أحمد ... وأهل الحجا لو كنت ويحك تفهم

وان لم يكن ما بلغوه هو الهدى ... فمن ذا الذي منه الهدي يتعلم

أولئك هم أهدى سبيلا ومنهجاً ... وان لم يكونوا المهتدين فمن هم

أجهم بن صفوان اللعين وحزبه ... وأتباعه من هم أضل وأظلم

أم الحق ما قال الفلاسفة الأولى ... ومن صار فيما أصلوا يتكلم

اولئك في بحر الضلالة قد هووا ... وهم في موامى الغي والبغي هوّم

فسار على منهاجهم في ضلالهم ... زنادقة من بعدهم حين أوهموا

بتنزيهه فيما يرون وقصدهم ... هوا الكفر والتعطيل والقوم عمموا

بالزام أهل الحق بالبغي والهوى لوازم لا ترضي ولا هي تلزم
والزامهم ماألزموه تعنتً وبغي والحاد وإفكٌ ومأثم
وما ذاك الا أنه ليس عندهم إله بهذا الوصف حقا يعظم
وما هذه الاوصاف الا لمن له صفات وجسمٌ وهو عنها يفخم
فان كان تجسيما ثبوت صفاته لديكم فأي اليوم عبد مجسم .
فسبحانه عن أفكهم وضلالهم وطغيانهم فالله أعلى وأعظم
فلله وجه بل يدان حقيقة ويغضب بل يرضي ويعطي ويرحم
ويضحك ربي من قنوط عباده ويفرح ان تابوا ويولي وينعم
وكلم فيما قد مضى من عباده لمن شاء منهم قابلا ويكلم
سميع بصير ذو اقتدار ورفعة ويعلم مانبدى جهاراً ونكتم
وينزل شطر الليل نحو سمائه ويصعد والرحمن أعلى وأعظم
كما شاءه سبحانه وبحمده وسوف يجي يوم القيامة يحكم
ويفصل بين الخلق يوم معادهم بيوم به تبدو عياناً جهنم
ونؤمن ان الله جل ثناؤه يَري ويُري يوم المزيد وينعم
الى غير ذا من كل أوصافه التى بها نطق القرآن والكل محكم
وصحت بها الاخبار عن سيد الورى نقول بها جهراً ولا نتلعثم

فصل

قال العراقي نحن ننقل لك ههنا بعض عباراتهم التي وردت في هذا الشأن مسطورة في كتاب الدين الخالص قال صاحبه ان أردتم بالجسم المركب من المادة والصورة أو المركب من الجواهر الفردة فهذا منفي عن الله تعالى قطعا؟ والصواب نفيه عن الممكنات أيضاً فليس الجسم المخلوق مركبا من هذه ولا هذه .

قال العراقى فأقول فانظر الى مافي هذه العبارة من الخبط فانه انكر فيها وجود جسم بالمعنى الذي ذكره سواء كان واجبا أو ممكناً والظاهر أن غرضه من هذا الانكار

هو التوصل الى نفي الجسمية التي تلزم من معتقده في الله تعالى فلئلا يقال إنه شبه الخالق بمخلوقه نفي الجسمية بالمعنى المذكور عن مخلوقه أيضاً وأنت تعرف أن الجسم ان لم يكن مركباً من المادة والصورة فلا محيص أن يكون مركبا من الجواهر الفردة

(والجواب أن يقال) هذا الكلام ليس هو من كلام صاحب الدين الخالص بل هو كلام شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى نقله صديق من الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة وهو في الصواعق أبسط من هذا بأدلته العقلية والنقلية فنسبة هذا الكلام إلى الوهابية وإن كانوا يعتقدون صحته جهل عريض وعدم معرفة بالرجال ومقالاتهم فان ابن القيم رحمه الله تعالى في القرن السابع وشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب في القرن الثانى عشر فصار من المعلوم عند هؤلاء أن من تكلم بالحق وبما نطق به الكتاب والسنة وكان عليه سلف الامة وأئمتها وان كان ممن تقدم زمانه فهو وهابي فصار هذا الاسم علما على أهل الحق في كل زمان ومكان (فضلا من الله ونعمة، والله ذو الفضل العظيم)

(وأما قوله) فانه انكر فيها وجود جسم بالمعنى الذي ذكره الى آخره

(فنقول) نعم ماذكره من لفظ الجسم وما يتبع ذلك لم ينطق به في صفات الله لا كتاب ولا سنة لا نفياً ولا اثباتا ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم

وقوله والظاهر أن غرضه من هذا الانكار هو التوصل به الى نفي الجسمية التي تلزم من معتقده في الله تعالى الى آخره

(فأقول) نعم ولا يلزم من اثبات الصفات التي أثبتها الله ورسوله هذه اللوازم التي سميتموها أنتم وآباؤكم ماانزل الله بها من سلطان انما هي نحاتة أفكار وزبالة أذهان لاحقيقة لها في التحقيق ولا تثبت على قدم الحق والتصديق

فهذه اللوازم منفية عن الله قطعا وعن الممكنات أيضا كما يأتي بيانه وتفصيله ثم انه من المعلوم أن أصل الكلام في المادة والصورة والهيولي والجواهر الفردة وغيرها من التراكيب المحدثة في الاسلام ليس هو من كلام أهل السنة العامة فضلا عن أن يكون من كلام محققي أهل السنة المحضة وانما أصله من كلام الفلاسفة واليونان الخارجين عن شريعة الاسلام فالاحتجاج به والاستدلال به ممن يدعي

انه من أهل السنة على أهل السنة المحضة خروج من الدين والعقل وانما تكلم فيه أئمة الاسلام لما دخل فيه بعض أهل السنة العامة وبعض أهل السنة المحضة واعتمدوا عليه في العقليات فاحتاج أئمة الاسلام الى الكلام فيه لرد معقولاتهم الفاسدة بالنقل والعقل واذ كان أصله ومادته كذلك فبطلانه معلوم بالاضطرار من دين الاسلام عقلا ونقلا .

قال شيخ الاسلام رحمه الله في تفسير سورة الاخلاص (قل هو الله أحد) بعد كلام له سبق وكان الذين امتحنوا احمد رحمه الله وغيره من هؤلاء الجاهلين فابتدعوا كلاما متشابها نفوا به الحق فأجابهم احمد لما ناظروه في المحنة ونحو ذلك وذكروا الجسم فأجابهم بأني أقول كما قال الله تعالى (الله أحد * الله الصمد) وأما لفظ الجسم فلفظ مبتدع محدث ليس على أحد أن يتكلم فيه البتة والمعنى الذي يراد به مجمل ولم تبينوا مرادكم حتى نوافقكم على المعنى الصحيح فقال ماادري ماتقولون لكن أقول (الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) يقول ماادري ماتعنون بلفظ الجسم فأنا لا اوافقكم على اثبات لفظ ونفيه اذا لم يرد الكتاب والسنة باثباته ولا نفيه ان لم يدر معناه المتكلم به فان عني في النفي والاثبات مايوافق الكتاب والسنة في النفي والاثبات لم نوافقه ولفظ الجسم والجوهر لم يأت في كتاب ولا سنة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسائر أئمة الدين التكلم بها في حق الله تعالى لا بنفي ولا باثبات . ولهذا قال احمد في رسالته الى المتوكل لا احب التكلم في شيء من ذلك الا ماكان في كتاب الله أو في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة والتابعين .

وأما غير ذلك فان الكلام فيه غير محمود . وذكر أيضا فيما حكاه عن الجهمية انهم يقولون ليس فيه كذا وكذا وهو كما قال فان لفظ الجسم في اللغة التي نزل بها القرآن معنى كما قال تعالى (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم) وقال تعالى (وزاده بسطة في العلم والجسم) قال ابن عباس كان طالوت أعلم بني اسرائيل في الحرب وكان يفوق الناس بمنكبه وعنقه ورأسه

والبسطة السعة قال ابن قتيبة هو من قولك بسطت الشيء اذا كان مجموعاففتحته ووسعته قال بعضهم والمراد بتعظيم الجسم فضل القوة اذ العادة أن من كان أعظم جسما كان اكثر قوة فهذا لفظ الجسم في لغة العرب التي نزل بها القرآن. قال الجوهري قال أبو زيد الانصاري الجسم الجسد وكذلك الجسمان والجثمان وقال الاصمعي الجسم والجسمان والجسد والجثمان قال وجماعة جسم الانسان يقال له الجسمان وقد جسم الشيء أي عظم فهو جسيم وجسام والجسام بالكسر جمع جسم قال أبو عبيدة تجسمت فلانا من بين القوم أي اخترته كأنك قصدت جسمه كما تقول نائبته أي قصدت اينه وشخصه وانشد أبو عبيدة

* تجسته من بينهن بمرهف *

وتجسمت الارض اذا أخذت نحوها تريدها وتجسم من الجسم وقال ابن السكت تجسمت الأمر أي ركبت اجسمه وجسيمه أي معظمه قال وكذلك تجسمت الرمل والجمل أي ركبت أعظمه والأجيسم الأضخم قال عامر بن الطفيل

لقد علم الحي من عامر بأن لنا الذروة الأجسما

فهذا الجسم في لغة العرب وعلى هذا فلا يقال للهوى جسم ولا للنفس الخارج من الانسان جسم ولا لروحه المنفوخة جسم ومعلوم أن الله سبحانه لا يماثل شيئا من ذلك لابدن الانسان ولا غيره فلا يوصف الله بشيء من خصائص المخلوقين ولا يطلق عليه من الاسماء مايختص بصفات المخلوقين فلا يجوز أن يقال هو جسم ولا جسد انتهى

واذا كان هذا الجسم في لغة العرب كان منتفيا عن الله بهذا المعنى لان الله أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد فلا يماثله شيء من مخلوقاته ولا يطلق عليه من الاسماء مايختص بصفات المخلوقين فان من شبه الله بخلقه فقد كفر لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

(وأما قوله) وانت تعرف أن الجسم ان لم يكن مركبا من المادة والصورة فلا محيص لن يكون مركبا من الجواهر الفردة

فالجواب أن نقول هذا على اصطلاح أهل الكلام وقد عرفت ماقي كلامهم

من الاختلاف والنزاع بينهم والواجب على كل مسلم أن ينظر في هذا الباب فما
اثبته الله ورسوله اثبته وما نفاه الله ورسوله نفاه والالفاظ التي ورد بها النص
يعتصم بها في الاثبات والنفي فتثبت ما اثبتته النصوص من الالفاظ والمعاني وتنفي
ما نفته النصوص من الالفاظ والمعاني . وأما هذه الالفاظ الذي تنازع فيها من
ابتدعها فقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : وأما أهل الكلام فالجسم عندهم
أعم من هذا وهم مختلفون في معناه اختلافا كثيراً عقلياً واختلافا لفظياً اصطلاحيا
فهم يقولون كل ما يشار اليه إشارة حسية فهو جسم ثم اختلفوا بعد هذا فقال
كثير منهم كل ما كان كذلك فهو مركب من الجواهر المنفردة ثم منهم من قال
الجسم أقل مايكون جوهراً بشرط أن ينضم اليه غيره وقيل بل هو الجوهران
والجواهر فصاعدا وقيل بل أربعة فصاعدا وقيل بل ستة وقيل بل ثمانية وقيل
بل ستة عشر وقيل بل اثنان وثلاثون وهذا قول من يقول ان الاجسام كلها
مركبة من الجواهر التى لا تنقسم وقال آخرون من أهل الفلسفة كل الاجسام
مركبة من الهيولى والصورة لا من الجواهر المنفردة وقال كثير من أهل الكلام
ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا وهذا قول الهشامية والكلابية
والضرارية وغيرهم من الطوائف الكبار لايقولون بالجواهر الفردية ولا بالمادة
والصورة وآخرون يدعون اجماع المسلمين على اثبات الجوهر الفرد كما قال
أبو المعالي وغيره اتفق المسلمون على ان الاجسام تتناهي في تجزئتها وانقسامها
حتى تصير أفراداً ومع هذا فقد شك فيه وكذلك شك فيه أبو الحسين
البصرى وأبو عبد الله الرازي ومعلوم ان هذا القول لم يقله أحد من أئمة المسلمين
لا من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا أحد من أئمة العلم المشهورين بين
المسلمين وأول من قال ذلك في الاسلام طائفة من الجهمية والمعتزلة وهذا من
الكلام الذي ذمّه السلف وعابوه ولكن حاكي هذا الاجماع لما لم يعرف أصول
الدين الا مافي كتب الكلام ولم يجد الا من يقول بذلك اعتقد هذا اجماع
المسلمين والقول بالجوهر الفرد باطل والقول بالهيولى والصورة باطل . وقد بسط
الكلام على هذه المقالات في مواضع أخر وقال آخرون الجسم هو القائم بنفسه

وكل قائم بنفسه جسم وكل جسم فهو قائم بنفسه وهو مشار اليه واختلفوا في الاجسام هل هي متماثلة أم لا على قولين مشهورين واذا عرف ذلك فمن قال انه جسم وأراد انه مركب من الاجزاء فهذا قوله باطل وكذلك إن أراد أنه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع والعقل ان الله ليس كمثله شيء في شيء من صفاته فمن أثبت لله مثلا في شيء من صفاته فهو مبطل ومن قال انه جسم بهذا المعني فهو مبطل ومن قال ليس بجسم بمعني انه لايرى في الآخرة ولا يتكلم بالقرآن وغيره من الكلام ولا يقوم به العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ولا ترفع الأيدى اليه في الدعاء ولا عرج بالرسول اليه فهذا قول باطل وكذلك من نفى ما أثبت الله ورسوله وقال ان هذا مجسم فنفيه باطل واسميته ذلك تجسيما فليس منه فان أراد ان هذا يقضى أن يكون جسما مركبا من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة أو أن هذا يقضي أن يكون جسما والاجسام متماثلة قيل له أكثر العقلاء يخالفونك في تماثل الاجسام المخلوقة وفي انها مركبة فلا يقولون إن الهوى مثل الماء وأبدان الحيوان مثل الحديد والجبال فكيف يوافقونك على ان الرب تعالى يكون مماثلا لخلقه اذا أثبتوا له ماأثبته الكتاب والسنة والله تعالى قد نفي المماثلة في بعض المخلوقات وكلاهما جسم كقوله (وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) مع ان كليهما بشر فكيف يجوز أن يقال اذا كان لرب السموات علم وقدرة انه يكون مماثلا لخلقه والله تعالى ليس كمثله شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ونكته الأمر ان الجسم في اعتقاد هذا النافي يستلزم مماثلة سائر الاجسام ويستلزم أن يكون مركبا من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة قلت وهذا هو نتيجة قول هذا العراقي ومراميه حيث قال وأنت تعرف ان الجسم لم يكن مركبا من المادة والصورة فلا محيص أن يكون مركبا من الجواهر الفردة ثم قال شيخ الاسلام وأكثر العقلاء يخالفونه فالتلازم منتف باتفاق الفريقين وهو المطلوب فاذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفي عن الله شرعاً وعقلا بقي بحثهم في الجسم الاصطلاحي هل هو مستلزم لهذا المحذور وهو بحث عقلي كبحث الناس في الاعراض هل تبقى أو لاتبقى وهذا البحث

العقلي لم يرتبط به دين المسلمين بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا أثر عن السلف بلفظ الجسم في حق الله تعالى لانفياً ولا اثباتاً فليس لأحد أن يبتدع اسما مجملا يحتمل معاني مختلفة لم ينطق بها الشرع ويعلق به دين المسلمين ولو كان قد نطق باللغة العربية فكيف اذا أحدث اللفظ معنى آخر والمعنى الذي يقصده اذا كان حقاً عبر عنه بالعبارة التى لا لبس فيها فاذا كان معتقده ان الاجسام متماثلة فان الله ليس كمثله شيء وهو سبحانه لاسمي له ولا كفوله ولا ند له فهذه عبارة القرآن تؤدي هذا المعني بلا تلبيس ولا نزاع وان كان معتقده ان الاجسام غير متماثلة وان كان يرى مايقوم به من الصفات فهو جسم فان عليه أن يثبت ماأثبته الله ورسوله من علمه وقدرته وسائر صفاته كقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله في حديث الاستخارة اللهم اني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك على الخلق ويقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ترون ربكم يوم القيامة عياناً كما ترون الشمس والقمر لاتضامون في رؤيته فشبه الرؤية بالرؤية وان لم يكن المرئي كالمرئي فهذه عبارات الكتاب والسنة عن هذا المعني الصحيح بلا تلبيس ولا نزاع بين أهل السنة المتبعين للكتاب والسنة وأقوال الصحابة ثم بعد هذا من كان تبين له معنى من جهة العقل انه لازم للحق لم يدفعه عن عقله فلازم الحق حق لكن ذلك المعني لابد أن يدل الشرع عليه فيشبه بالالفاظ الشرعية وان قدر ان الشرع لم يدل عليه لم يكن مما يجب على الناس اعتقاده وحينئذ فليس لاحد أن يدعو الناس اليه وان قدر انه في نفسه حق ومسئلة تماثل الاجسام وتركيبها من الجواهر المنفردة قد اضطرب فيها جماهير أهل الكلام وكثير منهم يقول بهذا تارة وبهذا تارة وأكثر ذلك لأجل الألفاظ المجملة والمعاني المتشابهة وقد أبسط الكلام عليه فى غير هذا الموضع لكن المقصود هنا انه لو قدر ان الانسان تبين له ان الاجسام ليست متماثلة ولا مركبة لامن هذا ولا من هذا لم يكن له أن يبتدع في دين الاسلام قوله ان الله جسم ويناظر على المعنى الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة بل يكفيه اثبات ذلك المعني بالعبادات الشرعية ولو قدر انه تبين له ان

الاجسام متماثلة وان الجسم مركب لم يكن له أن يبتدع النفي بهذا الاسم ويناظر على معناه الذي اعتقده بعقله بل ذلك المعلوم بالشرع والعقل يمكن اظهاره بعبارة لا اجماع فيها ولا تلبيس والذين يقولون الجسم مركب من الجواهر يدعي كثير منهم أنه كذلك في لغة العرب لان العرب يقولون هذا اجسم من هذا يريدون به انه أكثر أجزاء منه ويقولون هذا جسيم أي كثير الأجزاء قال والتفضيل بصيغة أفعل انما يكون لما يدل عليه الاسم فاذا قيل هذا أعلم أو أسلم كان ذلك دالا على الفضيلة فيما دل عليه لفظ العلم والحلم فلما قالوا أجسم لما كان أكثر أجزاء دل على ان لفظ الجسم عندهم المراد به المركب فمن قال جسم وليس مركب فقد خرج من لغة العرب قالوا وهذه مخطئة في اللفظ وان كنا لا نكفره اذا لم يثبت خصائص الجسم من التركيب والتأليف وقد نازعهم بعضهم في قولهم هذا أجسم من هذا وقالوا ليس هذا اللفظ من لغة العرب كما يحكي عن ابن زيد فيقال له لاريب ان العرب تقول هذا جسيم أي عظيم الجثة وهذا أجسم من هذا أي أعظم جثة لكن كون العرب تعتقد ان ذلك لكثرة الأجزاء التي هي الجواهر المفردة انما يكون اذا كان أهل اللغة قاطبة يعتقدون ان الجسم مركب من الجواهر المنفردة والجوهر الفرد هو شيء قد بلغ من الصغر والحقارة الى أنه لايتميز يمينه من يساره ومعلوم ان أكثر العقلاء من بني آدم لا يتصور الجوهر الفرد والذين يتصورونه أكثرهم لا يثبتونه والذين اثبتوه انما أثبتوه بطريقة خفيفة ، طويلة بعيدة، فيمتنع أن يكون لفظ الشائع في اللغة التي ينطق بها خواصها وعوامها أرادوا به هذا، وقد علم بالاضطرار أن أحداً من الصحابة والتابعين لهم باحسان لم ينطق باثبات الجوهر الفرد ، ولا بما يدل على ثبوته عنده ، بل ولا العرب قبلهم ، ولا سائر الامم الباقين على الفطرة ولا اتباع الرسل فكيف يدعي عليهم أنهم لم يقولوا لفظ الجسم إلا لما كان مركباً مؤلفاً ، ولو قلت لمن شئت من العرب الشمس والقمر والسماء مركب عندك من أجزاء صغار كل منها لا يقبل التجزي ، أو الجبال ، أو الهوى ، أو الحيوان والنبات لم يتصور هذا المعنى إلا بكلفة ، ثم اذا تصوره قد يكذب بفطرته ويقول كيف يمكن أن يكون شيء لا يتميز منه جانب عن جانب وأكثر العقلاء من

طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد والفقهاء قاطبة تنكره ، وكذلك أهل الحديث والتصوف ، ثم ذكر كلاما في استحالة بعض الأجسام إلى بعض ثم ذكر بعد ذلك مايراد بالجسم في لغة العرب ، وأنهم انما يريدون بقولهم هذا أجسم من هذا ، أي أغلظ وأعظم منه ونفى أن يكون ذلك لزيادة الاجزاء ثم قال فقد تبين أن من قال الجسم هو المؤلف والمركب ، واعتقد أن الاجسام مركبة من الجواهر المنفردة فقد ادعى معنى عقليا ينازعه فيه أكثر العقلاء من بني آدم ولم ينقل عن أحد من السلف أنه وافقه عليه ، وانه جعل لفظ الجسم في اصطلاحه يدل على معنى لايدل عليه اللفظ في اللغة فقد غير معنى اللفظ في اللغة وادعى معني عقليا فيه نزاع طويل وليس معه من الشرع مايوافق ماادعاه من معنى اللفظ ولاماادعاه من المعنى العقلي فاللغة ماتدل على ماقال والشرع لايدل على ماقال والعقل لم يدل على مسميات الألفاظ وانما يدل على المعنى المجرد وذلك فيه نزاع طويل ونحن نعلم بالاضطرار ان ذلك المعنى الذي وجب نفيه عن الله لايحتاج نفيه الى ماأحدثه هذا من دلالة اللفظ ولاما ادعاه من المعنى العقلي بل الذي جعلوه عمدتهم في تنزيه الرب علي نفي مسمى الجسم لايمكنهم أن ينزهوه عن شيء من النقائص البتة فانهم اذا قالوا هذا من صفات الأجسام فكل مايثبتونه هو أيضاً من صفات الأجسام مثل كونه حيا عليما قادرا بل كونه موجوداً قائما بنفسه فانهم لايعرفون هذا في الشاهد إلا جسما فاذا قال المنازع انا أقول فيما نفيتموه نظير قولكم فيما أثبتموه انقطعوا انتهى

والمقصود ان الاجسام المحدثة المخلوقة ليست مركبة لا من المادة والصورة ولا من الجواهر المنفردة فلو كان فوق العرش جسم مخلوق ومحدث لم يلزم أن يكون مركبا بهذا الاعتبار فكيف ذلك في حق خالق الفرد والمركب الذي يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ويؤلف بين الاشياء فيركبها كما يشاء ؟ والعقل انما دل على اثبات اله واحد ورب واحد لاشريك له ولا شبيه له لم يلد ولم يولد ، ولم يدل على ان ذلك الرب الواحد لا اسم له ولا صفة ولا وجه ولا يدين ولا هو فوق خلقه ولا يصعد اليه شيء ولا ينزل منه شيء ، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هي كذب صريح على الوحي

فصل

قال العراقي : ثم قال - يعني صاحب الدين الخالص - وإن أردتم بالجسم مايوصف بالصفات، ويرى بالابصار ، ويتكلم ويكلم ، ويسمع ويبصر ، ويرضى ويغضب، فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى، وهو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم الموصوف بها جسما إلى آخر ماقال ، قال فأقول : لم نعرف أحداً عرف الجسم بانه المتكلم المكلم ، السميع البصير ، الذي يرضى ويغضب ، وإنما هذه صفات تقوم بالحي العاقل ، نعم ان الجسم يرى بالأبصار كما قال ولكن اثبات الجسم له تعالى بهذه المعنى تنزيل له سبحانه منزلة مخلوقاته مما ينافي الالوهية ، فان كون الله تعالى جسما بهذا المعنى نقص يجب تنزيهه عنه .

والجواب أن يقال : ومن أنت يالكع بن لكع حتى يلتفت إلى قولك وتعريفك ونفيك واثباتك وتأصيلك وتفصيلك، لانك انما اخذت هذه المباحث الملعونة عن قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ، فان أحداً من أئمة الاسلام ومن على طريقهم ومنهاجهم لايقول إن الله جسم بل لا يطلقون هذا اللفظ نفياً ولا إثباتا حتى يستفصلوه عما أراد به ، ومن أعظم الناس شمس الدين ابن القيم الذى تصديت لرد كلامه نفياً لهذه الاشياء ، وله بحوث في هذا المقام يطول ذكرها ، وقد ذكرها في الصواعق وفي غيرها من كتبه ، كالكافية الشافية وغيرها .

(وأما قوله) وانما هذه صفات تقوم بالحي العاقل إلى آخره

(فأقول) قولك هذا منقوض باثبات الاسماء والصفات ، فان الله حي عليم قدير ، وان أمكن اثبات حي عليم قدير وليس بجسم أمكن أن يكون له حياة وعلم وقدرة وليس بجسم ، وان لم يمكن ذلك فما كان جوابكم عن اثبات الاسماء كان جوابنا عن إثبات الصفات .

(ويقال أيضاً) ليس في هذا النفي ما يدل على صحة مذهب أحد من نفاة الصفات أو الاسماء ، بل ولايدل ذلك على تنزيهه سبحانه عن شيء من النقائص

فان من نفى شيئا من الصفات لكون اثباته تجسيما وتشبيها يقول له المثبت قولي فيما
اثبته من الاسماء والصفات كقولك فيما أثبته من ذلك ، فان تنازعا في الصفات
الخبرية أو العلو أو الرؤية ونحو ذلك ، وقال له هذا يستلزم التجسيم والتشبيه لانه
لا يعقل ما هو كذلك إلا الجسم ، قال له المثبت لا يعقل ماله حياة وعلم وقدرة
وسمع وبصر وكلام وارادة الا ماهو جسم ، فاذا جاز لك أن تثبت هذه الصفات
وتقول الموصوف بها ليس بجسم جاز لي مثل ماجاز لك من اثبات تلك الصفات
مع أن الموصوف بها ليس بجسم فاذن جاز ان يثبت مسمى بهذه الاسماء ليس بجسم
فان قال له هذه معان وتلك أبعاض قال له الرضا والغضب والحب والبغض
معان ، واليد والوجه وان كان بعضاً فالسمع والبصر اعراض لا تقوم إلا بجسم
فان جاز لك اثباتها مع أنها ليست أعراضا ومحلها ليس بجسم جاز لي اثبات هذه
مع أنها ليست أبعاضا ، فان قال نافي الصفات أنا لا أثبت شيئا منها قال له أنت
أبهمت الاسماء فانت تقول هو حي عليم ، ولا يعقل حي عليم قدير الا جسما . وتقول
إنه هو ليس بجسم فاذا جاز أن تثبت مسمى هذه الاسماء ليس بجسم مع أن هذا
ليس معقولا لك جاز لي أن اثبت موصوفا بهذه الصفات وان كان هذا غير معقول
لي . فان قال الملحد أنا أنفي الاسماء والصفات ، قيل له اما ان تقر بان هذا العالم
المشهود مفعول مصنوع له صانع فاعله ، او تقول انه قديم أزلي واجب الوجود بنفسه
عن الصانع ، فان قلت بالأول فصانعه ان قلت هو جسم وقعت فيما نفيته وان قلت
ليس بجسم فقد أثبت فاعلا صانعاً للعالم ليس بجسم وهذا لا يعقل في الشاهد فان
أثبت خالقا فاعلا ليس بجسم وأنت لا تعرف فاعلا الا جسما كان لمنازعك أن
يقول هو حي عليم ليس بجسم وان كان لا يعرف حيا عالما إلا جسما ، بل لزمك
أن تثبت له من الاسماء والصفات ما يناسبه . وان قال الملحد بل هذا المشهود قديم
واجب بنفسه غني عن الصانع فقد اثبت واجبا بنفسه قديما أزليا هو جسم حامل
الأعراض ، متحيز في الجهات ، تقوم به الأكوان وتحله الحوادث والحركات ، وله
أبعاض وأجزاء فكان مافر منه من اثبات جسم قديم قد لزمه مثله وما هو أبعد
منه ولم يستفد بذلك الا انكار الاجحد الخالق وتكذيب رسله ومخالفة صريح

المعقول، والضلال المبين، الذي هو منتهى ضلال الضالين ، وكفر الكافرين . فقد تبين أن قول من نفى الصفات أو شيئا منها لأن اثباتها تجسيم قول لا يمكن أحد أن يستدل به بل ولا يستدل أحد على تنزيه الرب عن شيء من النقائص بأن ذلك يستلزم التجسيم لانه لابد أن يثبت شيئا يلزمه فيما اثبته نظير ما ألزمه غيره فيما نفاه . وإذا كان اللازم في الموضعين واحدا وما أجاب هو به أمكن المنازع أن يجيب مثله لم يمكن أن يثبت شيئا وينفي شيئا على هذا التقدير وإذا انتهى إلى التعطيل المحض كان مالزمه من تجسيم الواجب بنفسه القديم أعظم من كل تجسيم نفاه ، فعلم أن مثل الاستدلال على النفى لما يستلزم التجسيم لايسمن ولا يغني من جوع انتهى من كلام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى .

(وأما قوله) نعم إن الجسم يرى بالابصار كما قال ، ولكن اثبات الجسم له تعالى بهذا المعنى تنزيل له سبحانه منزلة مخلوقاته مما ينافي الوهيته .

(فيقال) قد تقدم انا لانثبت الجسمية بهذا المعنى لأن اثبات الصفات لاتستلزم الجسمية لأن الموصوف بها ليس بجسم ، وقد تقدم بيان ذلك وان اثباتها ليس بنقص يجب تنزيه الله عنه بالعقل والنقل مع انا لا نسلم أن الجسم بهذه الاوضاع الاصطلاحية الحادثة مجمع على صحته عند العقلاء ، بل قد تنازعوا في ذلك مع مخالفته لصريح اللغة فان الجسم معناه في لغة العرب هو البدن الكثيف الذي لايسمى في اللغة جسم سواه ، فلا يقال للهوى جسم لغة ، ولا للنار ، ولا للماء ، فهذه اللغة وكتبها بين أظهرنا .

(وأما قوله) أما عقلا فلأن الرؤية كما تحقق في علم البصر انما تتم بوقوع أشعة النور على سطح المرئي وانعكاسها عنه الى البصر فيلزم منه كون المرئي ذا سطح وذلك يستدعي تركيبه من أجزاء الى آخره .

فالجواب أن يقال هذا العقل فاسد بالعقل والنقل ، اما فساده بالعقل فلانه ليس في المعقول أن كل مرئي لايكون إلا مركبا من المادة والصورة أو من الجواهر الفردة لان أكثر العقلاء ينكرون هذا ولا يثبتونه في الممكنات ، فكيف بفاطر الارض والسموات؟ وإذا كان في اعتقاد هذا النافي أن الجسم يستلزم مماثلة سائر

الاجسام ويستلزم أن يكون مركبا من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة ، واكثر العقلاء يخالفونه ، فالتلازم منتف باتفاق الفريقين وهو المطلوب ، فاذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفي عن الله شرعا وعقلا بقي بحثهم في الجسم الاصطلاحي هل هو مستلزم لهذا المحذور ، وهو بحث عقلي كبحث الناس في الأعراض هل تبقى أولا تبقي وهذا البحث العقلي لم يرتبط به دين المسلمين ، بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا أثر عن السلف بلفظ الجسم في حق الله تعالى لا نفيا ولا اثباتا فليس لاحد أن يبتدع اسما مجملا يحتمل معاني مختلفة لم ينطق به الشرع ويعلق به دين المسلمين وقد تقدم بيان هذا .

(ويقال أيضاً) كل ما يستدعى تركيبه من أجزاء متفرقة ـ كما يقوله الفلاسفة والمتكلمون ـ أو من الجواهر الفردة ـ كما يقوله كثير من أهل الكلام ـ ممنوع ، لأن جمهور العقلاء عندهم أن الاجسام المحدثة ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا ، فلو كان فوق العرش جسم مخلوق ومحدث لم يلزم أن يكون مركبًا بهذا الاعتبار فكيف ذلك في حق خالق الفرد والمركب ، الذي يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ، ويؤلف بين الأشياء فيركبها كما يشاء ؟ والعقل انما دل على اثبات إله واحد ورب واحد لا شريك له ، ولا شبيه له ، (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) ولم يدل على أن ذلك الرب الواحد لا اسم له ، ولا صفة له ، ولا وجه له ، ولا يدين ولا هو فوق خلقه ، ولا يصعد اليه شيء ، ولا ينزل منه شيء ، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هي كذب على الوحي . قاله ابن القيم رحمه الله فهذا ما نفاه العقل

وأما النقل ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أناساً قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر » قالوا : لا يارسول الله ، قال « هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب » قالوا : لا ، قال « فانكم ترونه كذلك » الحديث بطوله ، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لا للمرئي بالمرئي وفي لفظ في الصحيح « إنكم ترون ربكم عياناً » فاخبر انا نراه عياناً بأبصارنا

(وأما قوله) واما نقلا فلقوله تعالى (لاتدركه الابصار وهو يدرك الأبصار)
فالجواب أن يقال : لست ممن يعرف أدلة النقل المأثورة عن السلف الصالح ولا تعرف ماذكره المفسرون على هذه الآية كما أنك لاتعرف من الادلة العقلية إلا مايذكره الفلاسفة والمتكلمون الخارجون عن سبيل المؤمنين ، وأما مايذكره أهل السنة والجماعة من المعقولات والمنقولات فلست منه في شيء . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى بعد ذكره أقوال الفرق المخالفة ، قال : وأما الصحابة والتابعون وأئمة الاسلام المعروفون بالامامة في الدين كمالك والثوري والاوزاعي والليث بن سعد واحمد واسحاق وابي حنيفة وأبي يوسف وأمثال هؤلاء وسائر أهل السنة والحديث ، والطوائف المنتسبين إلى السنة والجماعة ، كالكلابية ، والكرامية ، والاشعرية ، والسالمية وغيرهم ، فهؤلاء كلهم متفقون على اثبات الرؤية لله تعالى والاحاديث متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم بحديثه ، وأما احتجاج النفاة بقوله تعالى(لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) فالآية حجة عليهم لاهم لأن الادراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالاحاطة والاول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئاً يقال أنه أدركه كما لايقال أحاط به ، كما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال : ألست ترى السماء ، قال بلى ، قال : أكلها ترى ، قال لا ، ومن رأى جوانب الجيش أو الجبل أو البستان أو المدينة لايقال انه أدركها ، وانما يقال أدركها اذا أحاط بها رؤية . ونحن في هذا المقام ليس علينا بيان ذلك ، وانما ذكرناهذا بياناً لسند المنع ، بل المستدل بالآية عليه أن يبين أن الادراك في لغةالعرب مرادف للرؤية وأن كل من رأى شيئاً يقال في لغتهم انه ادركه ، وهذا لاسبيل اليه، كيف وبين لفظ الرؤية ولفظ الادراك عموم وخصوص ، فقد تقع رؤية بلاادراك ، وقديقع ادراك بلا رؤية ، أو اشتراك لفظي ، وأن الادراك يستعمل في ادراك العلم ، وادراك القدرة، فقد يدرك الشيء بالقدرة ، وإن لم يشاهد كالأعمى الذي يطلب رجلا هاربا فأدركه ولم يره ، وقد قال تعالى (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون * قال كلا ان معي ربي سيهدين) فنفى موسى الادراك مع

اثبات التراثي، فعلم أنه قد يكون روية بلا ادراك ، والادراك هنا هو ادراك القدرة أي ملحقون محاط بنا ، واذا انتفى هذا الادراك فقد تنتفي احاطة البصر أيضاً

ومما يبين ذلك أن الله تعالى ذكر هذه الآية يمدح بها نفسه سبحانه وتعالى ومعلوم أن كون الشيء لايرى ليس صفة مدح لأن النفي المحض لايكون مدحاً إن لم يتضمن أمراً ثبوتياً لان المعدوم أيضاً لايرى ، والمعدوم لايمدح ، فعلم أن مجرد نفي الرؤية لامدح فيه وإن كان المنفي هو الادراك فهو سبحانه لايحاط به رؤية كما لايحاط به علماً ، ولا يلزم من نفي احاطة العلم والرؤية نفي الرؤية ، بل يكون ذلك دليلا على أنه يرى ولا يحاط به ، فان تخصيص الاحاطة يقتضي أن مطلق الرؤية ليس بمنفي ، وهذا الجواب قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم ، وقد روي معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره فلا تحتاج الآية إلى تخصيص ولا خروج عن ظاهر المعنى فلا نحتاج أن نقول لانراه في الدنيا ، أو نقول لاتدركه الابصار ، بل المبصرون، أو لايدركه كلها بل بعضها ، ونحو ذلك من الاقوال التي فيها تكلف

(وأما قوله) ولا تعارض هذه الآية بقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة) لأن كيفية رؤيته تعالى يوم القيامة مجهولة كما هو معتقد أهل الحق

فالجواب أن يقال هذه الآية لاتعارض الآية المتقدمة فان كلام الله لايتعارض ، بل يصدق بعضه بعضاً ، قال البغوي رحمه الله في تفسيره على هذه الآية . قال ابن عباس وأكثر الناس تنظر إلى ربها عياناً بلا حجاب ، وقال الحسن تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنظر وهي تنظر إلى الخالق . أخبرنا ابوبكر بن ابي الهيثم الترابي أنا عبد الله بن احمد المحمودي أخبرنا ابراهيم ابن خريم الشاشي اخبرنا عبدالله بن حميد حدثنا شبابة عن اسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى جنانه ، وأزواجه ، ونعيمه ، وخدمه ، وسرره ، مسيرة ألف سنة ، وأكثرهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة) وهذا الحديث يبطل تأويل

من تأول من الجهمية والمعتزلة وأشباههم ، ويبطل أيضاً قول هذا الملحد في قوله ويدل على ذلك قوله وجوه ولم يقل عيون

(وأما قوله) كما هو معتقد أهل الحق فيمكن أن تكون الرؤية يومئذ بنوع من الانكشاف والتجلي من غير حاجة للباصرة ، ولا محاذاة لها ، ويدل على ذلك قوله وجوه ، ولم يقل عيون ، وفي قوله (ناضرة) مايفصح عن فضول السرور التام لها بذلك الانكشاف

فالجواب أن نقول إن أهل الحق عند هذا الملحد غلاة الجهمية كالمريسي وأشباهه وكالمعتزلة والرافضة وهم عند أهل السنة والجماعة من أكفر اهل الأرض ، بل هم أهل الباطل المحض ، وهؤلاء الملاحدة يؤولون الآيات والأحاديث الواردة في ذلك كقولهم هي زيادة علم وانكشاف بحيث نعلم ضرورة ما كان يعلم نظراً وهذا الملحد نحا نحو هؤلاء الملاحدة بهذه التأويلات الباطلة الخارجة عن أقوال سلف الامة وأئمتها . واذا تبين ذلك فاضافة النظر الى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة الى الصريحة في نظر العين واخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقة موضوعة في ان الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه الى الرب جل جلاله فان النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديته بنفسه فان عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله (انظرونا نقتبس من نوركم) وان عدي بفي فمعناه التفكر والاعتبار كقوله (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض) وان عدي بالى فمعناه المعاينة بالابصار كقوله تعالى (انظروا الى ثمره اذا أثمر) فكيف اذا أضيف الى الوجه الذي هو محل البصر ؟ ويؤيد ذلك الحديث الذي في الصحيح قوله « انكم ترون ربكم عيانا » فأخبر انا نراه عيانا بأبصارنا ، وقد أخبرنا الله انه قد استوى على العرش فهذه النصوص يصدق بعضها بعضا والعقل أيضاً يوافقها ويدل على انه سبحانه مباين لمخلوقاته فوق سمواته . وان وجود موجود لا مباين للعالم ولا مجانس له محال في بديهة العقل فاذا كانت الرؤية مستلزمة لهذه المعاني فهذا حق واذا سميتم أنتم هذا قولا بالجهة وقولا بالتجسيم لم يكن هذا القول نافيا لما علم بالشرع والعقل إذ كان معنى هذا القول والحال هذه

ليس منتفيا لا بشرع ولا عقل فان تسميتكم ماسميتموه وجها وتجسيما اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وما أحسن ماقال عبد العزيز بن عبد الله ابن أبي سلمة الماجشون أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبي ذئب فقال رحمه الله في كلام له سنذكره إن شاء الله تعالى فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فقال لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر الى وجهه ونظرتهم إياه في مقعد صدق عند مليك مقتدر قد قضى انهم لا يموتون فهم بالنظر اليه ينظرون الى ان قال وقد عرف انه اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا قبل ذلك مؤمنين به وما كان له جاحداً انتهى

فصل

قال العراقي ثم قال — أي صاحب الدين الخالص — وان اردتم بالجسم مايشار اليه اشارة حسية فقد أشار أعرف الخلق بالله تعالى اليه بأصبعه رافعا لها الى السماء الى آخره — قال العراقي — فأقول ان بداهة العقل حاكمة بأن المشار اليه بالاشارة الحسية لابد أن يكون في جهة ومكان وان يكون مرئيا وكل ذلك مستحيل على الله تعالى لانه تعالى لو كان في مكان أو جهة لزم قدم المكان أو الجهة وقد قام البرهان على أن لاقديم سوى الله تعالى

والجواب ان يقال (أولا) أن بداهة العقل حاكمة بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به وحاكمة بان من رد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله أواتهمه فيما فعله وأمر به فهو كافر حلال المال والدم وقام البرهان من الكتاب والسنة على أن الله يرى في الآخرة عيانا كما ترى الشمس والقمر وهذا ليس بمستحيل في العقول الصحيحة الموافقة لصريح المنقول عن الرسول ونحن نعلم بضرورة العقل ان الرسل لا يخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاؤه بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته وقام البرهان من الكتاب والسنة على ان الله تعالى تقدس فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه فمن قال غير

هذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا

ويقال ثانيا لهؤلاء الملاحدة ماتعنون بان هذا اثبات للجهة والجهة فممتنعة ؟ أتعنون بالجهة امرا وجوديا او أمرا عدميا ؟ فان اردتم أمراً وجوديا وقد علم أنه ماثم موجود الا الخالق والمخلوق والله فوق سمواته بائن من مخلوقاته لم يكن والحالة هذه في جهة موجودة فقولكم إن المرئي لا بد أن يكون فى جهة موجودة قول باطل فان مسطح العالم مرئي وليس هو في عالم آخر وان فسرتم الجهة بامر عدمي كما تقولون ان الجسم فى حيز والحيز تقدير مكان وتجعلون ماوراء العالم حيزاً - فيقال لكم الجهة والحيز اذا كان امرا عدميا فهو لاشيء وما كان فى جهة عدمية او حيز عدمي فليس هو فى شيء ولا فرق بين قول القائل هذا ليس في شيء وبين قوله هو في العدم او أمر عدمي فاذا كان الخالق تعالى مباينا للمخلوقات عالياً عليها وما ثم موجود الا الخالق أو المخلوق لم يكن معه غيره من الموجودات فضلا عن أن يكون هو سبحانه في شيء موجود يحصره أو يحيط به فطريقة السلف والأئمة انما يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل ويراعون أيضاً الالفاظ الشرعية فيعتدون بها ماوجدوا اليها سبيلا ، ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقا وباطلاً نسبوه الى البدعة أيضا وقالوا انه قابل بدعة ببدعة ورد باطلا بباطل انتهى من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وقد تبين لكل من له أدنى مسكة من عقل ومعرفة ان ما الزم به هذا الملحد من هذه اللوازم من لفظ المكان والجهة وقوله لو كان في مكان لكان محتاجا الى مكانه الى آخر ما هذي به في كلامه انها من أقوال الجهمية والمعتزلة والفلاسفة والمتكلمين وقد تقدم الكلام عليها

وأما لفظ المكان فقال شيخ الاسلام رحمه الله وأما القائل الذي يقول ان الله تعالى لا ينحصر في جوف المخلوقات وانه لا يحتاج الى شيء منها فقد أصاب وان أراد أن الله سبحانه وتعالى ليس فوق السموات ولا هو مستو على العرش استواء لائقا بذاته وليس هناك إله يعبد ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يعرج به الى الله تعالى فهذا جهمي فرعوني معطل ومنشأ الضلال أن يظن الظان ان صفات

الرب سبحانه كصفات خلقه فيظن ان الله تعالى على عرشه كالملك المخلوق على سريره فهذا تمثيل وضلال، وذلك ان الملك مفتقر الى سريره ولو زال سريره لسقط والله عز وجل غني عن العرش وعن كل شيء وكل ماسواه محتاج اليه وهو حامل العرش وحملة العرش وعلوه عليه لايوجب افتقاره اليه فان الله تعالى قد جعل المخلوقات عاليا وسافلا وجعل العالي غنيا عن السافل كما جعل الهواء· فوق الارض وليس هو مفتقرا اليها وجعل السماء فوق الهواء وليست محتاجة اليه فالعلي· الأعلى رب السموات والارض وما فيهما اولى أن يكون غنيا عن العرش وسائر المخلوقات وان كان عالياً عليه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً

والاصل في هذا الباب ان كل ماثبت في كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وجب التصديق به مثل علو الرب واستوائه على عرشه ونحو ذلك وأما الالفاظ المبتدعة في النفي والاثبات مثل قول القائل هو في جهة أو ليس في جهة وهو متحيز أو ليس متحيزاً ونحو ذلك من الالفاظ التي تنازع فيها الناس وليس مع أحد منهم نص لا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة رضي الله عنهم ولا عن التابعين لهم باحسان ولا أئمة المسلمين هؤلاء لم يقل أحد منهم ان الله تعالى في جهة ولا قال ليس هو في جهة ولا قال هو متحيز ولا قال ليس بمتحيز بل ولا قال هو جسم أو جوهر ولا قال ليس بجسم ولا بجوهر فهذه الالفاظ ليست منصوصة في الكتاب ولا السنة ولا الاجماع الى آخر كلامه رحمه الله تعالى

(وأما قوله) وأيضاً لو جاز ان يشار اليه بالاشارة الحسية لجاز ان يشار اليه من كل نقطة من سطح الارض وحيث ان الارض كرية يلزم ان يكون سبحانه محيطا بها من جميع الجهات وإلا ماصحت الاشارة اليه ولما كان تعالى مستويا على عرشه ومستقرا عليه كما تزعمه الوهابية كان عرشه محيطا بالسموات السبع فيلزمه من نزوله الى السماء الدنيا وصعوده منها كما تقوله الوهابية ان يصغر جسمه تعالى عند النزول ويكبر عند الصعود فيكون متغيراً من حال الى حال تعالى الله عما يقول الجاهلون

فالجواب أن نقول قد أشار اليه بالاشارة الحسية اعرف الخلق به بأصبعه

رافعا بها الى السماء بمشهد الجمع الاعظم مشهداً له وهو سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام وهو أعلم الناس بربه وأعظم تنزيها له وتقديسا وتعظيما . ولما كان هذا العراقي جهميا معتزليًا واعتقد أن الارض اذا كانت كرية انه يلزم أن يكون الله سبحانه محيطًا بها من جميع الجهات والا ماصحت الاشارة اليه وكلام العراقي يقتضي أن يكون الله تعالى تحت بعض خلقه واذا كان ذلك من كلامه مفهومافقد قال شيخ الاسلام في بعض أجوبته : وقد يظن بعض الناس ان ماجاءت به الآثار النبوية من أن العرش سقف الجنة وان الله على عرشه مع مادلت عليه من أن الافلاك مستديرة متناقض أو مقتض أن يكون الله تعالى تحت بعض خلقه كما احتج بعض الجهمية على انكار ان يكون الله تعالى فرق العرش باستدارة الافلاك وان ذلك يستلزم كون الرب تعالى أسفل ، وهذا من غلطهم في تصور الامر ومن علم أن الاجسام المستديرة بان المحيط الذي هو السقف هو أعلا عليين وان المركز الذى هو باطن ذلك وجوفه وهو قعر الارض وهو سجين وأسفل سافلين علم بسبب مقابلة الله تعالى بين أعلا عليين وبين سجين مع أن المقابلة انما تكون في الظاهر بين العلو والسفول أو بين السعة والضيق وذلك أن العلو مستلزم للسعة والضيق مستلزم للسفول وعلم أن السماء فوق الارض مطلقا لا يتصور أن تكون تحتها قط وان كانت مستديرة محيطة وكذلك كلما علا كان ارفع واشمل وعلم أن الجهة قسمان قسم ذاتي وهو العلو والسفول فقط وقسم إضافي وهو ماينسب الى الحيوان بحسب حركته فما امامه يقال له امام وما خلفه يقال له خلف وما عن يمينه يقال له اليمين وما عن يساره يقال له اليسار وما فوق رأسه يقال له فوق وما تحت قدميه يقال له تحت وذاك امر اضافي أرأيت لو ان رجلا علق رجلاه الى السماء ورأسه الى الارض أليست السماء فوقه وان قابلها برجليه وكذلك النملة وغيرها لومشي تحت السقف مقابلا له برجليه وظهره الى الارض لكان العلو محاذيا لرجليه وان كان فوقه فاسفل سافلين ينتهي الى جوف الارض والكواكب التي في السماء وان كان بعضها محاذيا لرؤسنا وبعضها في النصف الاخر من الفلك فليس شيء منها تحت شيء بل جميعها فوقنا في السماء ولما كان الانسان اذا تصور هذا يبقى الي

وهمه السفل الاضافي كما احتج به الجهمي الذي أنكر علو الله على عرشه وخيل الى من لا يدري ان من قال ان الله فوق العرش فقد جعله تحت نصف المخلوقات أو جعله فلكا آخر تعالى الله عما يقول الجاهل انه لازم لأهل الاسلام من الامور التي لا تليق بالله تعالى ولا هي لازمة

وقال أيضاً : واعلم أن العرش إن كان هذا الفلك التاسع أو جسما محيطاً به ، أو كان فوقه من جهة وجه الارض محيطاً به ، أو قيل فيه غير ذلك فيجب أن يعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض » وفي الصحيحين عن عبدالله بن عمر عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « يطوى الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول انا الملك أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الارضين بشماله ، ثم يقول أين الملوك ، أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ » وفي لفظ ويتميل برسول الله صلى الله عليه وسلم على يمينه وعلى شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفله شيء . وفي رواية أخرى قال : قرأ على المنبر (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية . قال « مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة »

ففي هذه الاحاديث وغيرها المتفق على صحتها ما يعين أن السموات والارض وما بينهما بالنسبة إلى عظمته عز وجل أصغر من أن تكون مع قبضه لها إلا كالشيء الصغير في يد أحدنا حتى يدحوها كما تدحى الكرة ، ثم قال في الجواب فما وصف الله تعالى من نفسه وأسمائه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميناه كما سماه ولم نتكلف علم ماسواه فلا نجحد ماوصف ، ولا نتكلف معرفة مالم يصف ، واذا كان كذلك فهو قادر على أن يقبضها ويدحوها كالكرة ، وفي ذلك من الاحاطة بها ، مالا يخفى وإن شاء لم يفعل ، وبكل حال فهو مباين لها ليس بمحايث لها .

ومن المعلوم أن الواحد منا ولله المثل الأعلى اذا كان عنده خردلة إن شاء قبضها

فأحاطت بها قبضته وإن شاء لم يقبضها ، بل جعلها تحته فهو في الحالين مباين لها وسواء قدر أن العرش محيط بالمخلوقات كاحاطة الكرة بما فيها ، أم قيل أنه فوقها وليس محيطاً بها كوجه الارض الذي نحن عليها بالنسبة إلى جوفها ، أو كالقبة بالنسبة إلى ماتحتها أو غير ذلك فعلى التقديرين يكون العرش فوق المخلوقات والخالق سبحانه فوقه ، والعبد في توجهه اليه عز وجل يقصد العلوّ دون التحت ، ثم قال رحمه الله : وأما اذا قدر انه ليس بكرى الشكل ، بل هو فوق العالم من الجهة التي هي وجه الارض وأنه فوق الافلاك الكرية كما أن وجه الارض الموضوع للأنام فوق نصف الارض الكري أو غير ذلك من التقادير التي يقدر فيها أن العرش فوق ماسواه ، فعلى كل تقدير لايتوجه إلى الله تعالى إلا إلى العلوّ مع كونه على عرشه مبايناً لخلقه ، وعلى ماذكرنا لايلزم شيء من المحذور والتناقض وهذا يزيل كل شبهة نشأت من اعتقاد فاسد وهو أن يظن أن العرش اذا كان كريا والله تعالى فوقه كما تقتضيه ذاته سبحانه عن مشابهة المخلوقين وجب فيما عند الزاعم أن يكون سبحانه كريا ، ثم يعتقد أنه اذا كان كريا فيصح التوجه إلى ماهو كري كالفلك التاسع من جميع الجهات وهذا خطأ ، فان القول بأن العرش كري لايجوز أن يظن أنه مشابه للافلاك في أشكالها ، وفي أقدارها ، أو في صفاتها ، بل قد تبين أنه سبحانه أعظم وأكبر من أن تكون المخلوقات عنده أصغر من الحمصة مثلا في يد أحدنا ، فاذا كانت الحمصة مثلا في يد الانسان أو تحته أو نحو ذلك هل يتصور عاقل اذا استشعر على الانسان على ذلك وأحاطته به بان يكون الانسان كالفلك فالله تعالى وله المثل الاعلى أعظم من أن يظن به ذلك ، وانما يظنه الذين لم يقدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالي عما يشركون وإن لم يكن كريا فالأمر ظاهر مما تقدم انتهى

فصل

(وأما قول العراقي) ولما كان تعالى مستويا على عرشه ومستقراً عليه كما تزعمه الوهابية كان عرشه محيطاً بالسموات السبع فيلزم من نزوله إلى السماء وصعوده منها كما تقوله الوهابية أن يصغر جسمه تعالى عند النزول ويكبر عند الصعود فيكون متغيراً من حال إلى حال تعالى الله عما يقول الجاهلون

فالجواب أن يقال قد كان من المعلوم أن هـذا الجهمي لا يعرف من صفات الخالق إلا ما يعرف من صفات المخلوقين . انه ما عرف الله حق معرفته ، ولا قدره حق قدره ، ولا عظمه حق عظمته ، فلذلك نزهه عما يليق بجلاله وعظمته ، وألزم من أثبت ما وصف الله به نفسه ، وما وصفـه به رسوله باللوازم التي لا تليق إلا بالمخلوق ولا تليق بالخالق ، مما قد علم أهل العلم بالله أنها من اوضاع الجهمية والمعتزلة والفلاسفة والمتكلمين الذين هم ورثتهم ، وذلك أن في أصول ضلالهم ظنهم أن هذا تنزيه عن التشبيه وأنهم متى وصفوا بصفة اثبات أو نفي كان فيه تشبيه بذلك ولم يعلموا أن التشبيه المنفي عن الله ابعد مما كان وصفه بشيء من خصائص المخلوقين أو ان يجعل شيء من صفاته مثل صفات المخلوقين بحيث يجوز عليه ما يجوز عليهم أو يجب له ما يجب لهم ، او يمتنع عليه ما يمتنع عليهم مطلقاً ، فان هذا هو التمثيل الممتنع منه المنفي بالعقل مع الشرع فيمتنع عليه وصفه بشيء من النقائص ويمتنع مماثلة غيره له في شيء من صفات الكمال فهذان إجماع لما ينزه الرب تعالى عنه فاذا علمت ذلك فالوهابية لا يقولون بشيء من هذه الاقوال ولا يعتقدونها ، ولا يدينون الله بها ، فان جمهور أهل السنة يقولون أنه ينزل ولا يخلو من العرش كما نقل ذلك عن اسحاق ابن راهويه وحماد بن زيد وغيرهما ونقلوه عن احمد بن حنبل في رسالته ، وهم متفقون على أن الله ليس كمثله شيء ، وأنه لا يعلم كيف ينزل ، ولا تمثل صفته بصفات خلقـه فلا يلزم الوهابية شيء من هذه اللوازم الباطلة ، وقولهم واعتقادهم في ذلك قول أهل السنة والجماعة كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف لأن الله وصف نفسه فابلغ فقال (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ،

ولم يكن له كفواً أحد) فلاصفة ابلغ مما وصف به نفسه ، وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع كما شاء أن ينزل ، وكما شاء أن يباهي ، وكما شاء أن يطلع ، وكما شاء أن يضحك ، فليس لنا أن نتوهم فيه كيف وكيف ، واذا قال لك الجهمي انا اكفر برب يزول عن مكانه، فقل أنت انا اؤمن برب يفعل مايشاء

وقال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجشون وهو أحد الائمة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبي ذئب وقد سئل عما جحدت به الجهمية ، أما بعد فقد فهمت ماسألت فيما تتباعث الجهمية ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتدبير وكلت الألسن عن تفسير صفته وانحسرت العقول دون معرفة قدرته وردت عظمته العقول فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة وهي حسيرة وانما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير وإنما يقال لمن لم يكن مرة ثم كان ، فاما الذي لايحول ولايزول ولم يزل وليس له مثل فانه لايعلم كيف هو الاهو وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لم يمت ولايبلى وكيف يكون لصفة شيء منه حدا أو منتهى يعرفه عارف أو يحد قدره واصف على أنه الحق المبين لاحق أحق منه ولاشيء ابين منه الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه لاتكاد تراه صفراً يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل بك واخفى عليك فاظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة مالم يصف الرب من نفسه لعجزك عن معرفة قدر ماوصف منها إذ لم تعرف قدر ماوصف فما تكلفك علم مالم يصف هل تستدل بذلك على شيء من طاعته او تنزجر به عن شيء من معصيته فاما الذي جحد ماوصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا قد استهوته الشياطين في الأرض حيران فصار يستدل بزعمه على جحد ماوصف به الرب وسمى من نفسه بان قال لابد إن كان له كذا من أن يكون له كذا ، فعمي عن البين بالخفي ويجحد ما وصف الرب من نفسه بصمت الرب عما لم نسم منها فلم يزل يملي له الشيطان حتي جحد قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)

فقال لايراه أحد يوم القيامة فجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ، ونظرته اياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، قد قضى أنهم لايموتون فهم بالنظر اليه ينظرون الى أن قال ، وانما جحد رؤية الله يوم القيامة اقامة للحجة الضالة المضلة لانه قد عرف أنه اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ماكانوا قبل ذلك مؤمنين به وكان له جاحداً وقال المسلمون يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لا قال « فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا لا قال« فانكم ترون ربكم يومئذ كذلك» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتمتليء النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول ، قط قط وينزوي بعضها إلى بعض» وقال لثابت بن قيس« لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة » وقال فيما بلغنا « إن الله تعالى ليضحك من أزلكم وقنوطكم وسرعة اجابتكم» فقال له رجل من العرب: إن ربنا ليضحك؟ قال« نعم » قال لن نعدم من رب يضحك خيراً. في اشباه لهذا مما لانحصيه وقال تعالى (وهو السميع البصير *واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) وقال (ولتصنع على عيني) وقال تعالى (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال تعالى(والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) فوالله مادلهم على عظم ماوصف به نفسه وما تحيط به قبضته الاصغر نظرها منهم عندهم، ان ذلك الذي القى في روعهم، وخلق على معرفته قلوبهم ، فما وصف الله، من نفسه فسماه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميناه، ولم نتكلف منه صفة ماسواه، لهذا ولهذا لانجحد ماوصف، ولا نتكلف معرفة مالم يصف ، اعلم رحمك الله أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهى بك ولا تجاوز ماحد لك ، فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفة ، وسكنت اليه الافئدة ، وذكر أصله في الكتاب والسنة، وتوارثت علمه الأمة ، فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ماوصف من نفسه عيبا، ولا تكلفن لما وصف لك من ذلك قدرا ، وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ، ولا في حديث عن نبيك من ذكر صفة ربك، فلا تتكلفن

علمه بعقلك ، ولا تصفه بلسانك ، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه، فان تكلفك معرفة مالم يصف من نفسه كانكارك ماوصف منها، فكما أعظمت ماجحده الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظم تكلف ماوصف الواصفون مما لم يصف منها، فقد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف، وينكرون المنكر وبانكارهم ينكر، يسمعون ماوصف الله به نفسه من هذا في كتابه ومايبلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم، ولا يكلف صفة قدره ولاتسمية غيره من الرب مؤمن ، وما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سماه من صفة ربه ، فهو بمنزلة ماسمى ووصف الرب تعالى من نفسه، والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم ؛ الواصفون لربهم ماوصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها ، لاينكرون صفة ماسمي منها جحدا، ولا يتكلفون وصفه بمالم يسم تعمقا، لان الحق ترك ماترك وتسمية ماسمى (ومن يتبع[1] غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وهب الله لنا ولكم حكما والحقنا بالصالحين

قال شيخ الاسلام وهذا كله كلام ابن الماجشون الامام فتدبره وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية موافقا لغيره من الائمة ؟ وكيف أنكر على من نفى الصفات بانه يلزمهم من اثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية أنه يلزم أن يكون جسما أو عرضا فيكون محدثا انتهى فتحصل لنا مما ذكره ائمة الاسلام ، وقدوة الانام، أن هذا الملحد جهمي معتزلي وهذا يكفي العاقل من ضلاله وعتوه وخروجه عن الصراط المستقيم والحمد لله رب العالمين .

فصل

قال العراقي وأما ما تمسكت به الوهابية من النقول التي تثبت الاشارة اليه تعالي فهي ظواهر ظنية لاتعارض اليقينيات فتؤول اما اجمالا ويفوض تفصيلها إلى الله كما عليه أكثر السلف واما تفصيلا كما هو رأي الاكثرين فما ورد من

(١) نص الآية (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين) الخ

الاشارة اليه في السماء محمول على أنه تعالى خالق السماء وان السماء مظهر قدرته لما اشتملت عليه من العوالم العظيمة التي لم تكن أرضنا الحقيرة الاذرة بالنسبة اليها وكذلك العروج اليه تعالى هو بمعنى العروج إلى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه إلى غير ذلك من التأويلات .

فالجواب أن نقول قد كان من المعلوم أن طريقة الوهابية التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال سلف الامة وائمتها فيثبتون ما أثبته الله ورسوله وينفون ما نفاه الله ورسوله ولا يعتقدون صواب ماذهب اليه المتكلمون من تأويل آيات الصفات وأحاديثها حيث قالوا إن نصوص الكتاب والسنة ظواهر ظنية لاتعارض اليقينيات وما أشبه ذلك من التمويهات . وهذا الضرب من الناس هم الذين كثر في باب الدين اضطرابهم .وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وإذا كان أدلة الكتاب والسنة ظواهر ظنية لاتعارض العقليات اليقينية فهلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الدهر أو أحد من سلف الأمة إن هذه الآيات والأحاديث ظواهر ظنية فلا تعتقدوا ما دلت عليه ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه عقولكم ومقاييسكم أو أولوها بكذا وكذا فانه الحق وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره وانظروا بما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه لان العقل مقدم على النقل اذ هو أصله. ثم كيف يجوز أن يقال في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يعلم زيد وعمرو بعقله أنه باطل وأن يكون كل من اشتبه عليه شيء مما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قدم رأيه على نص الرسول صلى الله عليه وسلم في انباء الغيب وما اخبر به عن ربه وما وصف به من صفات كماله ونعوت جلاله ، بمجرد رأيه بدون الاستهداء بهدي الله ، والاستضاءة بنور الله الذي أرسل به رسله ، وأنزل به كتبه، مع علم كل أحد بقصوره ، وتقصيره في هـذا الباب ، وبما وقع فيه الاكثرون من الاضطراب ، ففي الجملة النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يعارضها معقول قط ، ولا يعارضها إلا مافيه اشتباه واضطراب ، وما علم انه حق لا يعارضه مافيه اضطراب واشتباه لم يعلم انه حق ، بل نقول قولا عاما كليا إن النصوص الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعارضها قط صريح معقول فضلا عن أن يكون مقدما عليها وانما

الذي يعارضها شبه وخيالات مبناها على معان متشابهة ، وألفاظ مجملة ، فمتى وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ماعارضها شبه سوفسطية ، لا براهين عقلية

ثم كيف تكون أدلة كتاب الله وسنة رسوله ظواهر ظنية وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن عمار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انها ستكون فتن » قلت فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال « كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم ، وخبر مابعدكم ، وحكم مابينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لاتزيغ به الأهواء ، ولا تلبس به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء » وفي رواية « ولا تختلف به الآراء هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى إلى صراط مستقيم » وهذا الملحد يقول ان أدلة الكتاب والسنة ظواهر ظنية لاتعارض اليقينيات ، واليقينيات عنده نحاتة أفكار الفلاسفة ، وفروخ اليونان ، وورثة المجوس ، وزبالة أذهانهم

فالحمد لله الذي أخذ بنواصي الوهابية فلم يسلكوا طريقة هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ، بل سلك بهم طريق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسلف الأمة وأئمتها ، فلله الحمد لا نحصي ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه ، وفوق مايثني عليه أحد من خلقه . قال شمس الدين بن القيم رحمه الله تعالى في اغاثة اللهفان: ومن حيله ومكايده الكلام الباطل ، والآراء المتهافتة ، والخيالات المتناقضة ، التي هي زبالة الاذهان ، ونحاتة الافكار ، والزبد الذي تقذف به القلوب المظلمة المتحيرة التي تعدل الحق بالباطل ، والخطأ بالصواب ، قد تقاذفت بها أمواج الشبهات ، ورانت عليها غيوم الخيالات ، فركبها القيل والقال ، والشك والتشكيك ، وكثرة الجدال ليس لها حاصل من اليقين يعول عليه ، ولا معتقد مطابق للحق يرجع اليه ، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ، فقد اتخذوا لأجله ذلك القرآن مهجوراً ، وقالوا من عند أنفسهم فقالوا منكراً من القول وزوراً ، فهم في شكهم يعمهون ، وفي حيرتهم

يترددون ، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون ، واتبعوا ماتلته الشياطين على ألسنة أسلافهم من أهل الضلال فهم اليه محاكمون ، وبه مخاصمون ، فارقوا الدليل (واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل)

ومن كيده بهم وتحيله على اخراجهم من العلم والدين أن ألقى على ألسنتهم أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لاتفيداليقين ، وأوحى اليهم أن القواطع العقلية ، والبراهين اليقينية ، في المناهج الفلسفية ، والطرق الكلامية ، فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن ، وأحالهم على منطق يونان ، وعلى ماعندهم من الدعاوي الكاذبة العرية عن البرهان ، وقال لهم تلك علوم قديمة صقلتها العقول والأذهان ، ومرت عليها القرون والأزمان ، فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الايمان كما أخرج الشعرة من العجين انتهى .

(وأما قوله) فتؤول اما اجمالا ويفوض تفصيلها إلى الله تعالى كما عليه أكثر السلف

فالجواب أن نقول : قد أجاب عن هذا الكلام شيخ الاسلام قدس الله روحه فقال : ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن تسطيره في هذه الفتوى وأضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ، ولايجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السابقين كما يقوله بعض الاغبياء ممن لايعرف قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن طريقة السلف اسلم ، وطريقة الخلف اعلم وأحكم ، فان هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف ، انما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم (ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أماني) وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المعروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التي مضمونها نبذ الاسلام وراء الظهر ، وقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال

بتصويب طريقة الخلف ، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها اخوانهم من الكافرين ، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الامر ، وكان مع ذلك لابدَّ للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الايمان باللفظ وتفويض المعنى وهي التي يسمونها طريقة السلف ، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع التكلف وهي التي يسمونها طريقة الخلف، فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والكفر بالسمع فان النفي انما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات ، والسمع حرفوا فيه الكلام عن مواضعه . فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين ، وكانت النتيجة استجهال السابقين ، واستبلاهم ، واعتقاد أنهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين العامة لم يتجردوا في حقائق العلم بالله ، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الالهي ، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله - إلى أن قال - ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف اذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة له خبر ، ولم يقفوا من ذلك على عين ولا أثر ، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون، الحيارى المتهوكون، اعلم بالله وأسمائه وصفاته ، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين ، والمهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان من ورثة الانبياء ، وخلفاء الرسل ، وأعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة مابرزوا به على سائر اتباع الانبياء فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ، وأحاطوا من حقائق المعارف ، وبواطن الحقائق ، بما لو جمعت حكمة غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة ؟ ثم كيف يكون خير قرون الامة انقص في العلم والحكمة - لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته - من هؤلاء الاصاغر بالنسبة اليهم ؟ ام كيف يكون افراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركين ، وضلال اليهود والنصارى والصابئين ، وأشكالهم وأشباههم ، اعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن . - وذكر كلاما طويلا إلى أن قال :

فان كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هـذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً فكيف يجوز على الله ، ثم على رسوله ، ثم على خير الامة ، أنهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط ، ولا يدلون عليـه لانصاً ولا ظاهراً ، حتى يجيء انباط فارس والروم وفروخ اليهود والنصـارى والفلاسفة يبينون للامة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو فاضل أن يعتقدها؟ لان كل مايقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا في معرفتـه على مجرد عقولهم ، وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم مادل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً لقد كان ترك الناس بلا كتاب. ولا سـنة أهدى لهم وانفع على هذا التقدير ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين ، فان حقيقة الامر على مايقوله هؤلاء أنكم يامعشر العباد لاتطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفياً واثباتاً من الكتاب ، ولامن السنة ، ولامن طريق سلف الامة ، ولكن انظروا انتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن موجوداً ، ومالم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به ،

ثم هم ههنا فريقان أكثرهم يقولون : مالم تثبته عقولكم فانفوه ، ومنهم من يقول : بل توقفوا فيه ، ومانفاه قياس عقولكم الذي انتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافا أكثر من جميع اختلاف على وجه الارض فانفوه ، واليه عند التنازع فارجعوا ، فانه الحق الذي تعبدتكم به ، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبته مالم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا أني امتحنتكم لا لتعلموا بتنزيله ، ولا لتأخذوا الهدى منه ، لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ، ووحشي الالفاظ ، وغرائب الكلام ، وأن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالته على شيء من الصفات . هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين : إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى

وقال أيضاً في موافقة العقل الصحيح للنقل الصريح : وهؤلاء الذين يعارضون الكتاب والسنة بأقوالهم بنوا أمرهم على أصل فاسد وهو أنهم جعلوا أقوالهم التي ابتدعوها هي الاقوال المحكمة التي جعلوها أصول دينهم وجعلوا قول الله ورسوله من المجمل الذي لا يستفاد منه علم ولا هدى ، فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم والمحكم من كلام الله ورسوله هو المتشابه كما جعل الجهمية من المتفلسفة والمعتزلة ونحوهم ما أحدثوه من الاقوال التي نفوا بها صفات الله ، ونفوا بها رؤيته في الآخرة وعلوه على خلقه ، وكون القرآن كلامه ونحو ذلك جعلوا تلك الاقوال محكمة ، وجعلوا قول الله ورسوله مؤولا أو مردوداً ، أو غير ملتفت اليه ولا متلقي للهدي منه ، فتجدهم يقولون : ليس بجسم ، ولا جوهر ، ولا عرض ، ولا له كم ولا كيف ، ولا تحله الاعراض والحوادث ، ونحو ذلك ، وليس بمباين للعالم ، ولا خارج عنه — إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى

وسيأتي الكلام على مسألة التفويض وبطلان قول من زعم أن هذه طريقة السلف . وبما ذكرناه هنا من كلام أهل العلم يتبين لكل منصف بطلان تأويل هذا الملحد بقوله فما ورد من الاشارة اليه في السماء محمول على انه تعالى خالق السماء أو ان السماء مظهر قدرته لما اشتملت عليه من العوالم العظيمة التي لم تكن أرضنا الحقيرة الاذرة بالنسبة اليها ، وكذلك العروج اليه تعالى هو بمعنى العروج الى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه الى غير ذلك من التأويلات ، وانه بهذا التأويل قد خرج عن سبيل المؤمنين ، وانتحل طريقة المتكلمين الذين ليس لهم قدم صدق في العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

ثم من العجب انه يدعي تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرمي الوهابية المعظمين له في الحقيقة بالتنقص للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قد تنقص رسول الله صلى الله عليه وسلم وهضمه أعظم الهضم وأشد التنقص بزعمه انه لم يعرج برسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله بذاته الى أن وصل فوق السماء السابعة ورأى من آيات ربه الكبرى ما رأى وانه ما زاغ منه البصر وما طغى لكماله عليه الصلاة

والسلام ، فلله الحمد على ما منّ به من الايمان وبما أخبر به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم على ما يليق بالله وبنعوت جلاله وعظمته

فصل

قال العراقي الوهابية ونبذها للعقل لما كان صريح العقل وصحيح النظر مصادما كل المصادمة لما اعتقدته الوهابية اضطروا الى نبذهم العقل جانبا وأخذهم بظواهر النقل. فقطوا ان نتج منه المحال ونجم عنه الغي والضلال فاعتقدوا متمسكين بظواهر الآيات ان الله تعالى ثبت على عرشه وعلاه علواً حقيقياً وان له تعالى وجها ويدين وانه ينزل الى السماء الدنيا ويصعد نزولا وصعوداً حقيقيين وانه يشار اليه في السماء اشارة حسية بالأصبع الى غير ذلك مما يؤل الى التجسيم البحت (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا) فالوهابية التي تسمى زائري القبور عباد الأوثان انما هي قد عبدت الوثن حيث انها جعلت معبودها جسما كالحيوان جالسا على عرشه ينزل ويصعد نزولا وصعوداً حقيقيين وله وجه ، ويد ، ورجل ، وأصابع حقيقة مما يتنزه عنه المعبود الحق ، واذا رد عليهم بالبراهين العقلية وأثبت لهم أن ذلك مناف للألوهية عند العقل قالوا في الجواب لامجال للعقل الحقير البشري في مثل هذه الأمور التي طورها فوق طور العقل فاشبهوا في ذلك النصارى في دعوى التثليث فانك اذا سألتهم قائلا كيف يكون الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة قالوا ان معرفة هذا فوق طور العقل ولا يجوز إعمال الفكر في ذلك

والجواب أن يقال نعم لما كان صريح العقل من هؤلاء الملاحدة وصحيح النظر منهم على مازعموه مصادما كل المصادمة لما اعتقدته الوهابية من التمسك بصريح الكتاب وصحيح السنة وصريحها والسلوك على طريقة سلف الأمة وأئمتها نبذوا ماجاءت به عقول هؤلاء الملاحدة من نحاتة الأفكار وزبالة الاذهان وريح المقاعد وراء ظهورهم، ولم يلفتوا الى ماموهوا به من هذه الشبهات التي زعموا أنها عقليات ويقينيات فاعتقدوا متمسكين بنصوص الكتاب والسنة ان الله تعالى على عرشه وعلا عليه علوا حقيقياً وأن الله تعالى له وجه ويدان ، وانه

ينزل الى السماء الدنيا ويصعد نزولا وصعوداً حقيقين على ما يليق بعظمته وجلاله وعظيم سلطانه كما يشاء أن ينزل وكما يشاء أن يصعد وانه يشار اليه في السماء اشارة حسية بالأصبع كما أشار اليه أعرف الخلق به بأصبعه رافعا الى السماء بمشهد الجمع الأعظم مستشهداً له لا للقبلة الى غير ذلك مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله لأن ذلك ليس بمستحيل في العقول الصحيحة الموافقة لصريح المنقول عن الرسول ونحن نعلم بضروره العقل ان الرسل لا يخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاده بل يخبرون بمعجز العقل عن معرفته

(وأما قوله) مما يؤل الى التجسيم البحت

(فنقول) ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، وأما من أثبت لله ما أثبته لنفسه فذلك لا يؤل الى التجسيم فان القرآن قد دل على أنه ليس بجسم لانه احد، والأحد الذي لا ينقسم، وهو واحد والواحد لا ينقسم، وهو صمد والصمد الذي لا جوف له فلا يتخلله غيره ، وانما يؤل إلى التجسيم ، من قال إن له وجها كوجهي ويدين كيدي مما يماثل صفات المخلوقين أو يشبهها بصفاتهم . بل نحن على مذهب السلف أهل السنة المحضة ، ونقول إن الله تعالى فوق عرشه حقيقة مع نفي اللوازم التي يلزم بها أعداء الله ورسوله أهل الحق وهي لا تلزم لا بعقل ولا بنقل ، وقد تقدم الكلام على ذلك

(وأما قوله) فاما الوهابية التي تسمى زائري القبور عباد الأوثان انما هي عبدة الوثن حيث أنها جعلت معبودها جسما كالحيوان جالسا على عرشه ينزل ويصعد نزولا وصعوداً حقيقيين وله وجه ويد ورجل وأصابع حقيقة مما ينزه عنه المعبود الحق .

(فنقول) ماجعلت الوهابية زائري القبور مطلقا عباد الأوثان ومعاذ الله من ذلك وانما جعلت الوهابية من أشرك بالله في عبادته غيره عابداً للوثن سواء زار القبور أو قعد في بيت أمه . وذلك بان يدعوه مع الله أو يرجوه أو يخافه أو يحبه كمحبة الله أو يستغيث به أو يلتجيء اليه في رفع كربة أو كشف ملمة أو يطلب منه جلب منفعة أو يذبح له أو ينذر له الى غير ذلك من أنواع العبادة التي هي

مختصة بالله فمن أشرك بالله فيها احداً من خلقه نبيا أو ملكا أو وليًا أو صالحا أو شجراً أو حجراً فهو مشرك بالله في عبادته غيره

(وقوله) انما هي قد عبدت الوثن حيث أنها جعلت معبودها جسما الى آخره

(فاقول) قد تقدم نفي الجسمة عن الله تعالى والوهابية ما عبدت إلا إلهاً واحداً أحداً أصمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)ولا تعقل إلهاً أحداً أصمداً ليس على السماء فوق العرش بائنا من خلقه لاوجه له ولايدين ولا ينزل إلى سماء الدنيا ولا يصعد ولا يشار اليه في السماء وانما تعقل إلهاً موجوداً واحداً فوق سماواته بجميع أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وأنتم إنما معبودكم العدم المحض ولا تثبتون الا إلهاً مقدراً في الاذهان لاحقيقة له في الخارج فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً

(وأما كونه) جالساً على عرشه فقد جاء الخبر بذلك ، قال الامام عبد الله ابن الامام أحمد في كتاب السنة في الرد على الجهمية: قال حدثني أبي وعبد الاعلى ابن حماد النرسي ، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان عن أبي اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه قال ، إذا جلس ربنا تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد ، وقد تقدم بيان ذلك فنصدق بما قاله الله ورسوله ، وبما قاله الصحابة والتابعون لهم باحسان وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم باحسان ، وأهل السنة والجماعة من أهل الحديث وغيرهم من الائمة المقتدين والسادة المعظمين قد وصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، فهم عند هذا الملحد الضال قد عبدوا وثنا بهذه اللوازم التي ابتدعها قدماء الفلاسفة وورثهم من المتكلمين الخارجين عن سبيل المؤمنين فلعنة الله على الظالمين

(ثم قال الملحد) وإذا رد عليهم بالبراهين العقلية وأثبت لهم أن ذلك مناف للألوهية عند العقل قالوا في الجواب ، لامجال للعقل الحقير البشري في مثل هذه الأمور التي طورها فوق طور العقل فاشبهوا في ذلك النصارى في دعوى التثليث إلى آخره .

(والجواب أن يقال) إن هذه البراهين التي تزعمون أنها عقلية انما هي شبه

خيالية مبناها على معان متشابهة والفاظ مجملة، فمتى وقع الاستفسار والبيان ظهر أنها شبه سوفسطائية لابراهين يقينية عقلية، ودعواه أن من نفاها قد شابه في ذلك النصارى. والنصارى عليهم لعنة الله، انما نزعوا الى مانزعوا اليه من أمر التثليث انما هو بمجرد عقولهم ونتائج قياساتهم وتركهم ماأنزله الله في كتبه على ألسنة رسله وبغلوهم في أنبيائهم كما غلوتم أنتم في الانبياء والأولياء والصالحين فانتم الذين أشبهتم النصارى في دعوى التثليث فانهم انما أثبتوا ذلك بمجرد معقولاتهم ونتائج قياساتهم وقدموا حكم العقل على النقل الذي أنزله الله في كتبه وعلى ألسنة رسله وأنتم نفيتم ماوصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من اثبات صفات كماله ونعوت جلاله بمجرد معقولاتكم ونتائج قياساتكم ونبذتم كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهوركم وزعمتم أن نصوص الكتاب والسنة ظواهر لاتفيد اليقين وانما يفيد اليقين نتائج عقول الملاحدة التي هي نحاتة الافكار وزبالة الأذهان وريح المقاعد فمن اشباه النصارى حينئذ إن كنتم تعلمون؟

فصل

(ثم قال العراقي) لا ريب أنه إذا تعارض العقل والنقل أول النقل بالعقل اذ لا يمكن حينئذ الحكم بثبوت مقتضى كل منهما لما يلزم عنه من اجتماع النقيضين ولا بانتفاء ذلك لاستلزامه ارتفاع النقيضين لكن بقي أن يقدم النقل على العقل أو العقل على النقل والأول باطل لانه أبطال للأصل بالفرع، وإيضاحه أن النقل لايمكن اثباته إلا بالعقل وذلك لان اثبات الصانع ومعرفة النبوة وسائر مايتوقف صحة النقل عليه لا يتم الا بطريق العقل فهو أصل للنقل الذي تتوقف صحته عليه، فاذا قدم على العقل وحكم بثبوت مقتضاه وجده فقد أبطل الأصل بالفرع ويلزم منه ابطال الفرع أيضاً إذ تكون حينئذ صحة النقل متفرعة على حكم العقل الذي يجوز فساده وبطلانه فلا يقطع بصحة النقل فلزم من تصحيح النقل بتقديمه على العقل عدم صحته واذا كان تصحيح الشيء منجزاً الى افساده كان مناقضا لنفسه

فكان باطلا فاذا لم يمكن تقديم النقل على العقل بالدليل السابق فقد يعين تقديم العقل على النقل وهو المطلوب

(والجواب أن نقول)إذا تعارض النقل والعقل وجب تقديم النقل لان العقل مصدق للنقل في كل ماأخبر به والنقل لم يصدق العقل في كل ماأخبر به ولا العلم بصدقه موقوف على كل مايخبر به العقل فالواجب رد ماأثبته الى نصوص الكتاب والسنة ولا يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة أو بقول من يقول العقل يشهد بضد مادل عليه النقل والعقل أصل النقل فاذا عارضه قدمنا العقل، وهذا لايكون قط لكن إذا جاء مايوهم مثل ذلك فان كان النقل صحيحاً فذلك الذي يدعى أنه معقول انما هو مجهول ، ولو حقق النظر لظهر ذلك وان كان النقل غير صحيح فلا يصلح للمعارضة فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح ابداً وتعارض كلام من يقول ذلك بنظره

فيقال اذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل لان الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين ورفعهما رفع للنقيضين وتقديم العقل ممتنع لان العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل لان ما ليس بدليل لايصلح لمعارضة شيء من الاشياء فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه وهذا بين واضح فان العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته وان خبره مطابق لمخبره فان جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لايكون العقل دليلا صحيحاً واذا لم يكن دليلا صحيحا لم يلزم أن يتبع بحال فضلا عن أن يقدم فصار تقديم العقل على النقل قدحا في العقل فالواجب كمال التسليم للرسول صلى الله عليه وسلم والانقياد لامره وتلقى خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولا أو نحمله بشبهة أو شك أو نقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل وهو أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد بل هو دون ذلك بكثير فان العامي يمكنه أن يصير عالما ولا يمكن العالم أن يصير نبيا رسولا

فاذا عرف العامي المقلد عالما فدل عليه عاميا آخر ثم اختلف المفتي والدال فان المستفتي يجب عليه قبول قول المفتي دون الدال فلو قال الدال الصواب معي دون المفتي لاني أنا الأصل في علمك بأنه مفت فاذا قدمت قوله على قولي قدحت في الأصل الذي به عرفت أنه مفت فلزم القدح في فرعه فيقول له المستفتي أنت لما شهدت له بأنه مفت ودللت عليه شهدت له بوجوب تقليده دونك فموافقتي لك في هذا العلم المعين لايستلزم موافقتك في كل مسألة وخطأك فيما خالفت فيه المفتي الذي هو أعلم منك لايستلزم خطأك في علمك لانه مفت هذا مع علمه ان ذلك المفتي قد يخطأ والعقل يعلم أن الرسول معصوم في خبره عن الله تعالى لا يجوز عليه الخطأ فيجب عليه التسليم له والانقياد لأمره وقد علمنا بالاضطرار من دين الاسلام أن الرجل لو قال للرسول هذا القرآن الذي تلقيه علينا والحكمة التي جئتنا بها قد تضمنت كل منهما أشياء كثيرة تناقض ما علمناه بعقولنا ونحن انما علمنا صدقك بعقولنا فلو قبلنا جميع ماتقوله مع ان عقولنا تناقض ذلك لكان ذلك قدحا فيما علمنا به صدقك فنحن نعتقد موجب الاقوال المناقضة لما ظهر من كلامك وكلامك نعرض عنه لانتلقى منه هديا ولا علما لم يكن مثل هذا الرجل مؤمنا بما جاء به الرسول ولم يرض منه الرسول بهذا بل يعلم أن هذا لوساغ لأمكن كل أحد أن لايؤمن بشيء مما جاء به الرسول إذ العقول متفاوتة والشبهات كثيرة والشياطين لاتزال تلقي الوسواس في النفوس فيمكن كل أحد ان يقول مثل هذا في كل ما أخبر به الرسول وما أمر به وقد قال تعالى (ما على الرسول الا البلاغ) وقال(فهل على الرسول الا البلاغ المبين) وقال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ـ حم ، والكتاب المبين ـ تلك آيات الكتاب المبين ـ ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ـ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) ونظائر ذلك كثيرة في القرآن فأمر الايمان بالله واليوم الآخر اما أن يكون الرسول تكلم فيه بما يدل على الحق أم لا (الثاني) باطل وان كان قد تكلم على الحق بالفاظ مجملة

محتملة فبلغ البلاغ المبين وقد شهد له خير القرون بالبلاغ وأشهد الله عليهم بالموقف الاعظم فمن يدعي أنه في أصول الدين لم يبلغ البلاغ المبين فقد افترى عليه صلى الله عليه وسلم وفي المعلوم بالاضطرار ان عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل عقول أهل الارض على الاطلاق فلو وزن عقله بعقولهم لرجحها وقد أخبر الله أنه قبل الوحي لم يكن يدر الايمان كما لم يكن يدري الكتاب فقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا) وقال تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) وتفسير هذه الآية بالآية التي في آخر سورة الشورى فاذا كان أعقل الخلق على الاطلاق انما حصل له الهدى بالوحي كما قال تعالى (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحى الي ربي انه سميع قريب) فكيف يحصل لسفهاء العقول واخفاء الاحلام الاهتداء الى حقائق الايمان بمجرد عقولهم دون نصوص الوحي حتى اهتدوا بتلك الهداية الى المعارضة بين العقل ونصوص الانبيا (لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً) وقد سئل شيخ الاسلام عن مثل ما أورده هذا الملحد فقال قول السائل اذا تعارضت الادلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل أو الظواهر النقلية والقواطع العلقيه أو نحو ذلك من العبارات فاما أن يجمع بينهما وهو محال لانه جمع بين النقيضين واما ان يردا جميعا واما ان يقدم السمع وهو محال لان العقل اصل النقل فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحا في العقل الذى هو اصل النقل والقدح في اصل الشيء قدح فيه فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا فوجب تقديم العقل ثم النقل اما ان يتأول واما ان يفوض واما اذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما قال رحمه الله تعالى وهذا الكلام قد جعله الرازي واتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله وكلام انبيائه ومالا يستدل به ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الانبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم في صفات الله تعالى وغير ذلك من الامور التى أنبأوا بها وظن هؤلاء أن العقل يعارضها

وقد يضم بعضهم الى ذلك ان الادلة السمعية لاتفيد اليقين الى ان قال ومثل هذا القانون الذي وضعه هؤلاء يضع كل فريق لانفسهم قانونا فيما جاءت به الانبياء عن الله فيجعلون الاصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا انعقولهم عرفته ويجعلون ما جاءت به الانبياء تبعا فما وافق قانونهم قبلوه وما خالفه لم يتبعوه وهذا يشبه ما وضعه النصارى من أمانتهم التى جعلوها عقيدة ايمانهم وردوا التوراة والانجيل اليها لكن تلك الامانة اعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الانبياء أو ما بلغهم عنهم وغلطوا في الفهم أو في تصديق الناقل كسائر الغالطين فمن يحتج بالسمعيات فان غلطه اما في الاسناد واما في المتن وأما هؤلاء فقد وضعوا قوانينهم على ما رواه بعقولهم وقد غلطوا في الرأي والعقل فالنصارى أقرب الى تعظيم الانبياء والرسل من هؤلاء لكن النصارى يشبههم من ابتدع بدعة بفهمه الفاسد من النصوص أو بتصديقه النقل الكاذب عن الرسول كالخوارج والوعيدية والمرجئة والامامية وغيرهم بخلاف بدعة الجهمية والفلاسفة فانها مبنية على ما يقرون هم بأنه مخالف للمعروف من كلام الانبياء ثم ذكر طريقة أهل التبديل وطريقة أهل التجهيل وطريقة أهل التحريف والتأويل وقد تقدم منه طرفا الى أن قال وجماع الامر ان الادلة نوعان شرعية وعقلية فالمدعون لمعرفة الآلهيات بعقولهم من المنتسبين الى الحكمة والكلام والعقليات يقول من يخالف نصوص الانبياء منهم ان الانبياء لم يعرفوا الحق الذي عرفناه أو يقولون عرفوه ولم يبينوه للخلق كما بيناه بل تكلموا بما يخالفه من غير بيان منهم والمدعون للسنة والشريعة واتباع السلف الجهال بمعاني النصوص يقولون أن الانبياء والسلف الذين اتبعوا الانبياء لم يعرفوا معاني هذه النصوص التي قالوها والتي بلغوها عن الله أو الانبياء عرفوا معانيها ولم يبينوا مرادهم للناس فهؤلاء الطوائف قد يقولون نحن عرفنا الحق بعقولنا ثم اجتهدنا في حمل كلام الانبياء على مايوافق مدلول العقل وفائدة انزال هذه المتشابهات المشكلات اجتهاد الناس في أن يعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدون في تأويل كلام الانبياء الذين لم يبينوا به مرادهم أوانا عرفنا الحق بعقولنا وهذه النصوص لم تعرف الانبياء معناها كما لم يعرفوا وقت الساعة ولكن أمرنا

بتلاوتها من غير تدبر لها ولا فهم لمعانيها أو يقولون هذه الامور لاتعرف بعقل ولا نقل بل نحن منهيون عن معرفة العقليات وعن فهم السمعيات وان الانبياء وأتباعهم لايعرفون العقليات ولا يفهمون السمعيات ثم ذكر كلاما طويلالايحتمله هذا الموضع ثم قال

والمقصود هنا الكلام على قول القائل اذا تعارضت الادلةالسمعية والعقلية الى آخره كماتقدم والكلام على هذه الجملة بني على مافي مقدمتها من التلبيس فانهامبنية على مقدمات أولها ثبوت تعارضهما والثانية انحصار التقسيم فيما ذكره من الاقسام الاربعة والثالثة بطلان الاقسام الثلاثة والمقدمات الثلاث باطلة وبيان ذلك بتقديم أصل وهو ان يقال اذا قيل تعارض دليلان سواء كانا سمعيين أو عقليين أو أحدهما سمعياً والآخر عقلياً فالواجب أن يقال لايخلوا إما أن يكونا قطعيين أو يكونا ظنيين وإما أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً فاما القطعيان فلا يجوز تعارضهما سواء كانا عقليين أو سمعيين أو أحدهما عقلياً والآخر سمعياً وهذامتفق عليه بين العقلاء لان الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله ولا يمكن أن تكون دلالته باطلة وحينئذ فلو تعارض دليلان قطعيان وأحدهما يناقض مدلول الآخر لزم الجمع بين النقيضين وهو محال بل كل ما يعتقد تعارضه من الدلائل التي يعتقد أنها قطعية فلا بد من أن يكون الدليلان أو أحدهما غير قطعي أو أن لايكون مدلولهما متناقضين فامامع تناقض المدلولين المعلومين فيمتنع تعارض الدليلين وان كان أحد الدليلين المتعارضين قطعياً دون الآخر فانه يجب تقديمه باتفاق العقلاء سواء كان هو السمعي أوالعقلي فان الظن لايدفع اليقين

وإما إن كانا جميعاً ظنيين فانه يصار الى طلب ترجيح أحدهما فايهما ترجح كان هو المقدم سواء كان سمعياً أو عقلياً . ولا جواب عن هذا إلا أن يقال الدليل السمعي لايكون قطعياً وحينئذ فيقال هذا مع كونه باطلاً فانه لاينفع فانه على هذا التقدير يجب تقديم القطعي لكونه قطعياً لا لكونه عقلياً ولا لكونه أصلا للسمع وهؤلاء جعلوا عمدتهم في التقديم كون العقل هو الأصل للسمع وهذا باطل كما سيأتي بيانه إن شاء الله . واذا قدر انه لم يتعارض قطعي وظني لم

ينازع عاقل في تقديم القطعي لكن كون السمعي لا يكون قطعياً دونه خرط القتاد

وأيضاً فان الناس متفقون على أن كثيراً مما جاء به الرسول معلوم بالاضطرار من دينه كايجاب العبادات وتحريم الفواحش والظلم وتوحيد الصانع وإثبات المعاد وغير ذلك وحينئذ فلو قال قائل اذا قام الدليل القطعي على مناقضة هذا فلا بد من تقديم أحدهما فلو قدم هذا السمعي قدح في أصله وإن قدم العقلي لزم تكذيب الرسول فيما علم بالاضطرار انه جاء به ، وهذا هو الكفر الصريح . فلا بد لهم من جواب عن هذا والجواب عنه انه يمتنع أن يقوم عقلي قطعي يناقض هذا فتبين ان ما ... عليه دليل قطعي سمعي يمتنع أن يعارضه قطعي عقلي ومثل هذا اللفظ ... كثير من الناس يقدرون تقديراً يلزم منه لوازم فيثبتون تلك اللوازم ولا ... لكون ذلك التقدير ممتنعاً والتقديم الممتنع قد يلزمه لوازم ممتنعة كما في ... تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) ثم ذكر كلاما الى أن قال وبه ... أن أثبات التعارض بين الدليل العقليّ والسمعي والجزم بتقديم العقلي معلوم الفساد بالضرورة وهو خلاف ما اتفق عليه العقلاء

وحينئذ فنقول الجواب من وجوه (أحدها) أن قوله اذا تعارض النقل والعقل اما أن يريد به القطعيين فلا نسلم امكان التعارض حينئذ واما ان يريد به الظنيين فالمقدم هو الراجح مطلقا واما أن يريد به ما احدهما قطعي فالقطعي هو المقدم مطلقا واذا قدر أن العقلي هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعيا لا لكونه عقلياً فعلم ان تقديم العقلي مطلقا خطأ كما أن جعل جهة الترجيح كونه عقلياً خطأ

(الوجه الثاني) ان يقال لا نسلم انحصار القسمة فيما ذكرته من الاقسام الاربعة إذ من الممكن ان يقال يقدم العقلي تارة والسمعي أخرى فأيما كان قطعياً قدم وان كانا جميعا قطعيين فيمتنع التعارض وان كانا ظنيين فالراجح هو المقدم فدعوى المدعي انه لا بد من تقديم العقلي مطلقا والسمعي مطلقا أو الجمع بين النقيضين أو رفع النقيضين دعوى باطلة . بل هنا قسم ليس من هذه الاقسام كما ذكرناه بل هو الحق الذي لا ريب فيه .

(الوجه الثالث) قوله ان قدمنا النقل كان ذلك طعنا في أصله الذي هو

العقل فيكون طعنه فيه غير مسلم وذلك لان قوله ان العقل أصل للنقل اما أن يراد به انه أصل في ثبوته في نفس الأمر أو أصل في علمنا بصحته والاول لا يقوله عاقل فاما هو ثابت في نفس الأمر بالسمع أو بغيره هو ثابت سواء علمنا بالعقل أو بغير العقل ثبوته أو لم نعلم ثبوته لا بعقل ولا بغيره إذ عدم العلم ليس علما بالعدم وعدم علمنا بالحقائق لا ينفي ثبوتها في أنفسها فما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم هو ثابت في نفس الامر سواء علمنا صدقه أو لم ... من أرسله الله تعالى الى الناس فهو رسوله سواء علم الناس أنه رسول ... يعلموا وما أخبر به فهو حق وان لم يصدقه الناس وما أمر به عن الله ... أمر به وان لم يطعه الناس فثبوت الرسالة في نفسها وثبوت صدق الرسول ... وت ما أخبر به في نفس الامر فليس موقوفا على عقولنا أو على الادلة التي ... علمها بعقولنا وهذا كما أن وجود الرب تعالى وما يستحقه من الاسماء والصفات ... بت في نفس الامر سواء علمناه أو لم نعلمه فتبين بذلك أن العقل ليس أصلا لثبوت الشرع في نفسه ولا معطياً له صفة لم تكن له ولا مفيداً له صفة كمال إذ العلم مطابق للمعلوم المستغني عن العلم تابع له ليس مؤثراً فيه فان العلم نوعان (أحدهما) العملي وهو ما كان شرطا في حصول المعلوم كتصور أحدنا لما نريد أن نفعله فالمعلوم هنا متوقف على العلم به محتاج اليه (والثاني) الخبري النظري وهو ما كان المعلوم غير مفتقر في وجوده الى العلم به كعلمنا بوحدانية الله تعالى وأسمائه وصفاته وصدق رسله وملائكته وكتبه وغير ذلك فان هذه المعلومات ثابتة سواء علمناها أو لم نعلمها فهى مستغنية عن علمنا بها والشرع مع العقل هو من هذا الباب فان الشرع المنزل من عند الله ثابت في نفسه سواء علمناه بعقولنا أو لم نعلمه وهو مستغن فى نفسه عن علمنا وعقلنا ولكن نحن محتاجون اليه والى أن نعلمه بعقولنا فان العقل اذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالماً به وبما تضمنه من الامور التى يحتاج اليها في دنياه وآخرته وانتفع بعلمه به وأعطاه ذلك صفة لم تكن له قبل ذلك ولو لم يعلمه لكان جاهلا ناقصاً ثم ذكر كلاما طويلا

ثم قال رحمه الله (فان قيل) فهب ان تقديم الشرع عليها لا يكون

قدحا في أصله لكن يكون تقديما له على أدلة عقلية فلا بد من بيان الموجب لتقديم الشرع (قيل) الجواب من وجوه (أحدها) أن المقصود هنا بيان أن تقديم الشرع على ما عارضه من مثل هذه العقليات المحدثة في الاسلام ليس تقديما له على أصله الذى يتوقف العلم لصحة الشرع عليه وقد حصل فانا ذكرنا في هذا المقام بيان بطلان من يزعم أنه يقدم العقل على الشرع المعارض له وذكرنا أن الواجب تقديم ماقام به الدليل على صحته مطلقا (الجواب الثاني) أن نقول الشرع قول المعصوم الذى قام الدليل على صحته وهذه الطرق لم يقم دليل علي صحتها فلا يعارض ما علمت صحته بما لم تعلم صحته (الجواب الثالث) ان نقول بل هذه الطرق المعارضة للشرع كلها باطلة في العقل وصحة الشرع مبنية على ابطالها لاعلى صحتها فهي باطلة بالعقل وبالشرع والقائل بها مخالف للعقل والشرع من جنس أهل النار الذين قالوا (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وهكذا شأن جميع بدع المخالفين لنصوص الانبياء فانها مخالفة للسمع والعقل فكيف ببدع الجهمية المعطلة التى هي في الاصل من كلام المكذبين للرسل والكلام على ابطال هذه الوجوه على التفصيل وأن الشرع لايتم الابابطالها مبسوط في غير هذا الموضع انتهى

والمقصود ان ما ذكره هذا العراقى الملحد فى أوراقه هو كلام الرازي وكتاب موافقة العقل الصحيح النقل الصريح من أوله الى آخره فى بطلان هذه المقدمات التى ذكرها وبيان مخالفتها للشرع فالمصير اليها والاعتماد عليها اعتماد ومصير الى مذهب الجهمية فاذا تبين لك ماتقدم علمت أن هذا الملحد قد عزل كتاب الله وسنة رسوله ونبذهما وراءه ظهريا لاعتقاده ان ما عارضهما بالعقل كان واجبا وقولا جليا . واذ انكشفت الحقائق علمت من هو خير مقاما وأحسن نديا ، فمن أراد الوقوف على التفصيل فكلام الشيخ في العقل والنقل في ذلك مبسوط موضح بأدلته العقلية والنقلية إذ المقام لايحتمل ماذكره الشيخ هنا لاني انما قصدت الاختصار والاقتصار

(وأما قوله) إما تأويلا اجماليا ويفوض تفصيله إلى الله تعالى كما هو مذهب أكثر السلف

فأقول : قال شيخ الاسلام الوجه السادس أن يقال غاية ماينتهي اليه هؤلاء المعارضون لكلام الله ورسوله بآرائهم من المشهورين بالاسلام هو التأويل أو التفويض ، فأما الذين ينتهون إلى أن يقولوا الانبياء أوهموا وخيلوا ما لا حقيقة له في نفس الأمر فهؤلاء معروفون عند المسلمين بالالحاد والزندقة ، والتأويل المقبول هو ما دل عليه مراد المتكلم والتأويلات التي يذكرونها لايعلم أن الرسول أرادها ، بل يعلم بالاضطرار في عامة النصوص أن المراد منها نقيض ماقالوه كما يعلم مثل ذلك في تأويلات القرامطة والباطنية من غير أن يحتاج ذلك إلى دليل خاص ، وحينئذ فالمتأول إن لم يكن مقصوده معرفة مراد المتكلم كان تأويله للفظ بما يحتمله من حيث الجملة في كلام من تكلم بمثله من العرب هو من باب التحريف والالحاد ، لامن باب التفسير وبيان المراد

(وأما التفويض) فمن المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه ، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الاعراض عن فهمه ، ومعرفته وعقله ، وأيضاً فالخطاب الذي أريد به هدانا ، والبيان لنا ، واخراجنا من الظلمات إلى النور ، اذا كان ماذكر فيه من النصوص ظاهره باطل وكفر ، ولم يرد منا أن نعرف لاظاهره ولا باطنه ، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك ، فعلى التقديرين لم يخاطب بما بين فيه الحق ، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر ، وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا أنه لم يبين الحق ولا أوضحه مع أمره لنا أن نعتقده ، وأن ماخاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد اليه لم يبين به الحق ولا كشفه ، بل دل ظاهره على الكفر والباطل ، وأراد منا أن لانفهم منه شيئاً ، أو ان نفهم منه مالا دليل عليه فيه ، وهذا كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه ، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والالحاد.

ثم ذكر كلاما إلى أن قال : فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من أشر أقوال أهل البدع والالحاد انتهى

فاذا تبين لك هذا فاعلم أن التأويل والتفويض ليس هو مذهب السلف لا أكثرهم ولا أقلهم ، ونسبة ذلك إلى السلف خطأ ، وضلال ، وتلبيس ، وانما

قال بذلك من يزعم أنه متبع للسنة والسلف وهم على خلاف السنة وأقوال السلف في هذه المسائل ، وهذا كلام أئمة الحديث وأهل السنة المحضة ليس فيها شيء من هذا الكلام المحدث المبتدع الملعون

(وقوله) واما تفصيلياً كما هو مذهب أكثر الخلف ...

فأقول : قد تبين لك مما تقدم أن هؤلاء هم الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية أقدامهم بما انتهى اليه مرامهم، وهو أبو المعالي الجويني

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كفّ حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوا متمثلين به ، أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم وهو ابو عبد الله محمد بن عمرو الرازي

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وغاية دنيانا اذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

فكم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلا ، ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى * اليه يصعد الكلم الطيب) واقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) (ولا يحيطون به علماً) ومن جرب مثل تجربتي ،عرف مثل معرفتي . ويقول الآخر منهم : لقد خضت البحر الخضم ، وتركت أهل الاسلام وعلومهم ، وخضت في الذى نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني برحمته فالويل لفلان وهاانا أموت على عقيدة أمي . ويقول الآخر منهم : أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام . فاذا كان هذا حال أئمة المتكلمين كيف يسوغ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يوجب على الناس اعتقاد ماكان عليه هؤلاء المحجوبون ، المنقوصون المسبوقون ،

الحيارى والمتهوكون ، وقد علم بالاضطرار أن هؤلاء هم ورثة افراخ الفلاسفة وأتباع الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركين ، وضلال اليهود والنصارى والصابئين ، وأن يتأول ماتأولته الجهمية والمعتزلة ، ومن نحا نحوهم من المتكلمين كقول هذا الملحد: فالاستواء على العرش في قوله (الرحمن على العرش استوى) هو الاستيلاء ويؤيده قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وجوابه فيما ادعى من أن معنى الاستواء انه بمعنى الاستيلاء ، وأنه ليس في لغة العرب مايفيد ذلك (أن نقول) قال الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء) قال الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه منها انتهاء شباب الرجل وقوته فيقال اذا صار ذلك قد استوى الرجل ، ومنها استقامة ماكان فيه أود من الامور والاسباب يقال منه استوى لفلان أمر اذا استقام له بعد أود . ومنه قول الطرماح بن حكيم

طال على رسم مهده ابده وقد عفى واستوى به بلده

أى استقام به ، ومنها الاقبال على الشيء بالفعل كما يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الاحسان اليه ، ومنها الاحتياز والاحتواء كقولهم استوى فلان على المملكة بمعني احتوى عليها وحازها ، ومنها العلو والارتفاع كقول القائل : استوي فلان على سريره يعني به علوه عليه ، وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه (ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته ، وخلقهن سبع سموات ، والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله تعالى (ثم استوى إلى السماء) الذي هو بمعنى العلو والارتفاع هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه اذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون انما علا وارتفع بعد ان كان تحتها إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستكره ، ثم لم ينج مما هرب منه ، فيقال زعمت أن تأويل قوله سبحانه استوى اقبل . أو كان مدبراً عن السماء فأقبل اليها ؟ فان زعم أن ذلك ليس باقبال فعل ولكنه اقبال تدبير قيل له فكذلك قيل علا عليها علو ملك وسلطان لاعلو

انتقال وزوال ، ثم لن يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله ، ولولا انا كرهنا اطالة الكتاب بما ليس من جنسه لأثبتنا عند فساد قول كل قائل في ذلك قولا لأهل الحق فيه مخالفا ، وفيما بينا منه مايشرف بذي الفهم على ما فيه الكفاية ان شاء الله تعالى انتهى

فقول الشاعر * قد استوى بشر على العراق * أي ملكها واحتوى عليها وحازها ، ولو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الاشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الارض ، وعلى السماء ، وعلى الحشوش والاقذار لأنه قادر على الاشياء ، مستول عليها ، واذا كان قادر على الاشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول إن الله مستو على الحشوش والأخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الاشياء كلها ، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الاشياء كلها فيكون استواءه على العرش علوه عليه وارتفاعه كما هو مذهب سلف الأمة وأئمتها ، وقد تقدم بيان ذلك

ثم قال العراقي : وقوله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) أي جاء أمره ، وقوله اليه يصعد الكلم الطيب أي يرتضيه ، فان الكلم عرض يمتنع عليه الانتقال بنفسه ، وقوله سبحانه (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) أي يأتي عذابه ، وقوله تعالى (ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أودنى) أي قرب رسوله اليه بالطاعة والتقدير بقاب قوسين أو أدنى تصوير للمعقول بالمحسوس ، وقوله صلى الله عليه وسلم « إنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا في كل ليلة فيقول : هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فاغفر له ؟ » معناه تنزل رحمته ، وخص بالليل لأنه مظنة الخلوات ، وأنواع الخضوع والعبادات ، إلى غير ذلك من الآيات والاحاديث انتهى كلامه

(وقد علمت مما تقدم) بطلان هذه التأويلات وأنها تأويلات الجهمية والمعتزلة الخارجين عن طريقة أهل السنة والجماعة ، وانما ذكرناها هنا من كلامه ليعرف المسلم قدر نعمة الله عليه بالاسلام ، وسلوكه طريقة سلف الأمة وأئمتها ،

ويشكر الله عليها ويحمده فان من انعم الله عليه بالسلامة من سلوك طريقة هؤلاء الضلال فقد أوتي خيراً كثيراً ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، فان الرسول قد بلغ البلاغ المبين ، ونصح الأمة ، وأدى الامانة ، وقامت حجة الله على خلقه ، و« من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) .

فصل

قال العراقي : الوهابية ونفيها الاجماع حيث كان ما انطوت عليه العقيدة الوهابية مبايناً لما أجمع عليه الصحابة الكرام والمجتهدون العظام وكافة علماء الاسلام لم ير أصحاب تلك العقيدة بدأ من انكار الاجماع ونفي كونه حجة يعمل بها فهم كفروا كل مسلم عداهم ممن قال لا إله الا الله محمد رسول الله بسبب زيارته لقبور الأنبياء والأولياء والتوسل بهم الى الله

والجواب أن نقول نسبة نفي الاجماع الى الوهابية كذب وبهتان ، بل هذا توصل منه الى القدح فيهم بغير حجة ولا برهان ، والا فالوهابية يعلمون أن الاجماع حجة ويعتقدون أن الامة لا تجتمع على ضلالة وهو الاصل الثالث عندهم وعقيدة الوهابية لا تخالف ما أجمع عليه الصحابة الكرام والأئمة المجتهدون العظام وكافة علماء الاسلام ومن تدبر أقوالهم ومصنفاتهم علم علما يقيناً انهم كانوا على ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المعتقد وسائر أحكام الاسلام وأن هذا الملحد الضال ومن نحا نحوه على طريقته هم المخالفون لما أجمع عليه الصحابة ومن تبعهم باحسان ومخالفون لعقيدة السلف الصالح والصدر الاول وما كان عليه الأئمة الاربعة المقلدون والأئمة المجتهدون من أهل السنة المحضة ومن تمسك بهديهم وعلى طريقتهم يعرف ذلك من كلامه وضلالاته التي ذكرناها عنه فيما سبق وفيما يأتي بعد

وقوله فهم قد كفروا كل مسلم عداهم ممن قال لا إله الا الله محمد رسول الله بسبب زيارتهم لقبور الانبياء والاولياء والتوسل بهم الى الله مع ان الامة قد

أجمعت على أن من نطق بالشهادتين أجريت عليه أحكام الاسلام الى آخره

فأقول هذا كذب على الوهابية فانهم ما كفروا كل مسلم عدامم ولا كفروا بمجرد الزيارة لقبور الانبياء والاولياء وانما كفروا من أشرك بالله في عبادة غيره حيث نطق القرآن بتكفيره وجاءت الاخبار الصحيحة عن رسول الله بتكفير من فعل ذلك سواء زار القبور أو لم يزر

وأما دعواه اجماع الامة على أن من نطق بالشهادتين أجريت عليه أحكام الاسلام فهذه دعوى كاذبة خاطئة فان الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على قتال من منع الزكاة وسموهم أهل الردة وقاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله لكن لما أشركوا مسيلمة الكذاب فى النبوة وصدقوه أنه قد أشرك في النبوة مع النبي صلى الله عليه وسلم كفروهم فاذا كان من أشرك مسيلمة الكذاب في النبوة يكون كافراً فكيف لا يكفر من أشرك مخلوقاً في عبادة الخالق سبحانه وجعله نداً لله يستغيث به كما يستغيث بالله ويدعوه مع الله ويرجوه ويلجأ اليه في جميع مهماته ويذبح له وينذر له مع الله، فقد كفر الصحابة هؤلاء وهم يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وكفر الله تعالى ورسوله المنافقين وهم يشهدون ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله كما قال تعالى (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) وقال تعالى (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) وكذلك لا خلاف بين العلماء كلهم ان الانسان اذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء وكذبه في شيء لم يدخل في الاسلام وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالصلاة وجحد الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج ولما لم ينقد أناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى الحج أنزل الله في حقهم (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع وحل دمه وماله كما قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون

حقاً) وكذلك بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الاسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين - الى أمثال هذا مما لا يحصى ولا يستقصى

وأما قوله وقال ابن القيم أجمع المسلمون على أن الكافر اذا قال لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله فقد دخل في الاسلام الى آخره ﴿فأقول﴾ هذا حق اذا صدر من الكافر الاصلي ولكن اذا أتى بناقض من نواقض الاسلام كفر ولو أقر بالشهادتين وكذلك من عمل بجميع الاركان ممن ولد في الاسلام لكنه مع ذلك قد جحد شيئاً مما جاء به الرسول وابتدع في الاسلام بدعة تخرجه منه كفر وابن القيم الذي حكيت عنه اجماع المسلمين على أن من أقر بالشهادتين فقد دخل في الاسلام قد حكا اجماع أهل الحجة من أهل الاسلام على تكفير الجهمية كما قال في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الامام حكاه عنهم بل قد حكاه قبله الطبراني

وذكر في كتاب الصلاة له تكفير من أمر بالصلاة فامتنع حتى يخرج وقتها وأنه يستتاب فان تاب والا قتل

وأما قوله ولذلك انعقد الاجماع على أن المرتد اذا كانت ردته بالشرك فان توبته بالشهادتين

فأقول هذا غير مسلم ودعوى انعقاد الاجماع على ذلك دعوى مجردة بل من كانت ردته بالشرك بالله فتوبته الاقلاع عن هذا الشرك فان كثيراً من المشركين اليوم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله كالرافضة فانهم يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وهم مع ذلك يدعون الحسن والحسين مع الله وكذلك عباد القبور يشهدون ان لا إله الا الله وأن محمد رسول الله ومع ذلك يدعون عبد القادر وأحمد البدوى وغيرهما ويستغيثون بهم في الشدائد والملمات،

ويرغبون اليهم في جميع الحاجات وكشف الكربات واغاثة اللهفات، وقد انعقد الاجماع على أن من أشرك بالله في عبادته غيره كان مشركا وان تلفظ بالشهادتين كما هو مذكور في كتب الفقه في باب حكم المرتد

(قوله) ثم إن الوهابية عدوا الاستشفاع الى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته كفراً مع أن الاجماع منعقد على جوازه

. فاقول ان كان أراد بالاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم ، كأن يقول القائل: اللهم اني أسألك بجاه محمد أو بحقه أو حرمته ، فهذا القول بدعة محدثة محرمة ولا يكفر الوهابيـة أحداً بهذا وأن أراد بالاستشفاع بالنبي بان يدعوه ويستغيث به كأن يقول يارسول الله أغثني وادركني وأنا في حسبك ، أو يسأله أو يطلب منه مالا يقدر عليه الا الله ويتوكل عليه ويلجأ اليه في جميع مهماته وطلباته ويجعله واسطة في جلب منفعة أو دفع مضرة ، فان كان أراد هذا فقد ذكر في الاقناع من كتب الحنابلة أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم كفر اجماعا وكذلك ذكر فيه عن شيخ الاسلام تقي الدين ، أن من دعا علي بن أبي طالب فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر ، والوهابية على مذهب أحمد رحمه الله ، وأما دعوى انعقاد الاجماع على جوازه فدعوى مجردة ، اللهم الا اجماع عباد القبور وأولئك ليسوا من أهل الاسلام فضلا عن أن يجمعوا على الاحكام

(وأما قوله) وهم لم يجوزوا لأحد أن يقلد مجتهداً من أئمة المسلمين

(فاقول) هذا كذب على الوهابية ، وان وجد هذا في بعض الكتب لمن هو على مذهب الوهابية في تجريد التوحيد واخلاص العبادة لله ممن ينسبه هؤلاء الى الوهابية فنسبته الى الشيخ محمد وأتباعه من الكذب عليهم وكذلك قوله: (وجوزوا لكل أحد أن يستنبط من القرآن ما استطاع أن يستنبط) الى آخره فهذه كلها من الاوضاع المكذوبة على الوهابيه

ثم ذكر الاجماع وأنه اتفاق المجتهدين وأن الاجماع ينعقد في كل عصر لأن الحوادث تحدث في كل يوم بالأمور التي لم يصرح بحكمها الكتاب والسنة وهذا مما يعلم كل أحد غلطه في ذلك وتخبيطه فيه فلا فائدة في الجواب عنه

ثم قال العراقي الوهابية ونفيها للقياس : ان الوهابية كما أنكروا الاجماع كذلك أنكروا القياس الى آخر ماقال

(فأقول) وهذا أيضاً من نمط ماقبله من الكذب والزور فان الوهابية لاينكرون القياس مطلقا وفيه تفصيل لكن ذكر صاحب الدين الخالص من ذلك ماأوجب لهؤلاء أن ينسبوا الى الوهابية مايقوله صديق وليس ما قاله مطلقا يقول به الوهابية بل لهم فيه تفصيل ليس هذا موضع ذكره اذ المقصود نفي مايدعيه من الكذب على الوهابية

(ثم قال ومن العجب) أن الوهابية لأجل تخطئة المجتهدين في تبوِلهم القياس جعلت تعبث بكلام الله تعالى ، فتصرف الآيات القرآنية عن معانيها الصحيحة مؤولة اياها بما يوافق هواها مع أنها لاتأول من الآيات مايلزم من ظاهره النقص على الله تعالى والمحال كآية الاستواء واليدين والوجه وتقول أن المجتهدين عاملون بآرائهم ، مع أنها تجوز حتى للجهلة الرعاع من ذوي نحلتها أن يفسروا كلام الله بحسب افهامهم القاصرة

والجواب أن نقول : هذا كذب على الوهابية فانهم من أعظم الناس تعظيما لكتاب الله وسنة رسوله فبهتهم بالعبث بكتاب الله ظلم وعدوان والى الله المرجع واليه التحاكم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) بل الوهابية يضعون الآيات القرآنية في معانيها الصحيحة ، ويسيرون على منهاج أئمة التفسير ولايؤولونها على مايوافق أهواءهم بل ليستدلوا بالآيات النازلة في المشركين على تكفير من فعل كما يفعله الكفار من الاشراك بالله والكفر به لأن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب

(وأما قوله) مع أنها لاتؤول من الآيات مايلزم من ظاهره النقص علي الله تعالى والمحال كآية الاستواء واليد والوجه

(فأقول) نعم لايتأولون الآيات والاحاديث النبوية فيصرفونها عن ظاهرها عما اقتضته من أثبات صفات الكمال ونعوت الجلال لأجل ما يزعمه أعداء الله من أنه يلزم من ظاهرها النقص على الله والمحال ، فان ماأثبته الله ورسوله من

الاستواء والوجه واليدين وغير ذلك من الصفات — وصف كمال ونعوت جلال لا وصف نقص ، بل من أثبت ذاتا مجردة عن أوصاف الكمال فقد تنقصه غاية التنقص وشبهه بالجمادات ومثله بأنقص المعقولات الذهنية وجعله دون الموجودات الخارجية، واثبات الصفات لا يلزم منها مماثلة الله بخلق ولا تشبيههم به ، لأن الله تعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ماوصف الله به نفسه ووصفه به رسوله فقد كفر وقد تقدم بيان ذلك مراراً عديدة

(وأما قوله) وتقول ان المجتهدين عاملون بآرائهم

(فأقول) هذا كذب عليهم وما علمنا أحدا قال بهذا من الوهابية كما أنا لا نعلم أن أحدا منهم أجاز للجهلة الرعاع، كما تزعمونه أن يفسر كلام الله بحسب مفهومه القاصر ونعوذ بالله من ذلك

(ثم ذكر القياس) وزعم ان الوهابية ينكرونه وقد قدمنا ان الوهابية لا ينكرون القياس مطلقا ولا يثبتونه مطلقا ، لأن القياس ينقسم إلى حق وباطل وممدوح ومذموم ، ولهذا لم يجيء في القرآن مدحه ولا ذمه ولا الأمر به ولا النهي عنه فانه مورد تقسيم الى صحيح وفاسد فالصحيح هو الميزان الذي انزله مع كتابه في قوله(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) والفاسد ما يضاده كقياس الذين قاسوا البيع على الربا بجامع ما يشتركان فيه من التراضي بالمعاوضة المالية ، ولهذا تجد في كلام السلف ذم القياس وأنه ليس من الدين وتجد في كلامهم استعماله ، والاستدلال به وهذا حق والحاصل أن الناس فيه طرفان ووسط ، فأحد الطرفين من ينفي العلل والمعاني والاوصاف المؤثرة ويجوز ورود الشريعة بالفرق بين المتساويين ، والجمع بين المختلفين، ولا يثبت أن الله سبحانه شرع الاحكام لعلل ومصالح ، وربطها بأوصاف مؤثرة فيها مقتضية لها طرداً وعكساً ، وأنه قد يوجب الشيء ويحرم نظيره من وجه ويأمر به لا لمصلحة بل لمحض المشيئة المجردة من المصلحة والحكمة ، وبأزاء هؤلاء قوم أفرطوا فيه وتوسعوا جدا وجمعوا بين الشيئين الذين فرق الله بينهما بادنى جامع

من شبه أو طرد أو وصف يتخيلونه علة يمكن ان يكون علته وأن لا يكون، فيجعلونه هو السبب الذي علق الله ورسوله عليه الحكم بالخرص والظن، وهذا هو الذي اجمع السلف على ذمه، والنبي صلى الله عليه وسلم يذكر في الاحكام العلل والاوصاف المؤثرة فيها طرداً وعكساً، وكان الصحابة رضي الله عنهم يجتهدون في النوازل ويقيسون بعض الاحكام على بعض، ويعتبرون النظير بنظيره. والمقصود أن من زعم أن الوهابية ينفون القياس مطلقاً فقد كذب عليهم وافترى

(وأما قوله) فقول الوهابية ان النصوص تستوعب جميع الحوادث بدون استنباط أو قياس غير مسلم، فان استيعابها جميع الحوادث لا يتم إلا بطريقهما

فالجواب أن نقول: قد ذكر ابن القيم في أعلام الموقعين أن الناس انقسموا في هذا الموضع إلى ثلاث فرق، فرقة قالت: ان النصوص لا تحيط بأحكام الحوادث، وغلا بعض هؤلاء حتى قال: ولا بعشر معشارها. وذكر حجتهم وأبطلها بثلاثة وجوه أجاد فيها وأفاد، ثم قال: لما ذكر أقوال الطائفتين المنحرفتين عن الوسط قول المعتزلة المكذبين بالقدر، وقول الجهمية المنكرين للحكم، والأسباب، والرحمة، والتعليل. قال: والمقصود أنهم كما انقسموا إلى ثلاث فرق في الاصل انقسموا في فروعه وهو القياس إلى ثلاث فرق، فرقة أنكرته بالكلية، وفرقة قالت به وأنكرت الحكم والتعليل والمناسبات، والفرقتان أخلت النصوص عن تناولها لجميع أحكام المكلفين، وأنها أحالت على القياس، ثم غلاتهم أحالت عليه أكثر الاحكام. وقال متوسطهم: بل أحالت عليه كثيراً من الأحكام لا سبيل إلى اثباتها إلا به، والصواب وراء ما عليه الفرق الثلاث وهو أن النصوص محيطة بأحكام الحوادث، ولم يحلنا الله ورسوله على رأي ولا قياس بل قد بين الاحكام كلها والنصوص كافية وافية بها، والقياس الصحيح حق مطابق للنصوص فهما دليلان: الكتاب والميزان، وقد تخفى دلالة النص، ولا يبلغ العالم فيعدل إلى القياس، ثم قد يظهر موافقاً للنص فيكون قياساً صحيحاً، وقد يظهر مخالفا له فيكون فاسداً، وفي نفس الامر لابد من موافقته أو مخالفته ولكن عند المجتهد قد تخفى موافقته أو مخالفته إلى آخر كلامه رحمه الله

وقال شيخ الاسلام بعد أن ذكر هذه المسألة وقررها أحسن تقرير ، وبالجملة الامر نوعان ، كلية عامة ، وجزئية خاصة ، فأما الجزئيات الخاصة كالجزء الذي يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه من ميراث هذا الميت وعدل هذا الشاهد ونفقة هذه الزوجة ، ووقوع الطلاق بهذا الزوج ، واقامة الحد على هذا المفسد وأمثال ذلك ، فهذا مما لا يمكنه لانبياً ولا امام ولا أحد من الخلق أن ينص على كل فرد فرد منه لأن أفعال بني آدم وأعيانهم يعجز عن معرفة أعيانها الجزئية واحد من البشر وعبارته : لا يمكن بشر أن يعلم ذلك كله بخطاب الله له ، وانما الغاية الممكنة ذكر الامور الكلية العامة كما قال صلى الله عليه وسلم « بعثت بجوامع الكلم » .

فصل

(قال العراقي) الوهابية وتكفيرها من قلد المجتهدين

لما كانت اقوال المجتهدين السالفين رحمهم الله تعالى وما وصلوا اليه باجتهادهم من الاحكام المقررة الدينية تصادم ما ابتدعته الفئة المارقة الوهابية لم تر هذه الفئة بداً من انكارها صحة اجتهادهم ، وتخطئة آرائهم ، وتكفير من قلدهم ، حتى يخلو لها الجو فتبيض ، وتصفر ، وتلعب بالدين كما شاء هواها ، ويتمهد لها الطريق الا تأسيس قواعد ضلالها المبين ، اذهي لو لم تنف اجتهادهم لما تم لها أن تصرف بحسب هواها الآيات النازلة فى المشركين الى المسلمين الذين يتوسلون الى الله تعالى بجاه رسوله وكرامة اوليائه لان هذا الصرف مما لم يقل به مجتهد ، ولم يرض به احد من ائمة الدين

والجواب أن نقول : أما دعوى تكفير المجتهدين فمن الكذب الواضح ، والافك الفاضح ، وأما ما تخرق به من انا مصادمون لما اجتهد الائمة فيه من الاحكام الدينية ، وانا انكرنا اجتهادهم ليخلو لنا الجو ، كما زعمه هذا البو" ، فما ذاك إلا من فيض كلب العداوة في الدين لانه جهمي معتزلي مشرك ونحن ولله الحمد

على طريقة السلف وأئمة الدين في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته . وفي باب العمل والعبادة فلا نشرك بربنا أحداً ، ولا نتخذ من دونه أولياء ، ومن تأمل كلامه علم انه هو المارق المبتدع ، وانه من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ، بل هو بريء من الائمة المجتهدين وهم براء منه ، فان عقيدته مخالفة لعقائدهم فهو إلى طريقة الفلاسفة والملاحدة ومن نحا نحوهم من المتكلمين، أقرب منهم إلى الائمة المجتهدين . وهذا العراقي متبع لهواه ، عابد لما يهواه ، قد اتخذ الكذب ديدانه ، والزور والفجور ميزانه ، ودخل من الكذب في ظلمات بعضها فوق بعض ، حتى آل به زوره وفجوره إلى أن زعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان كثير الميل إلى الاطلاع على أخبار من ادعى النبوة كمسيلمة الكذاب ، والاسود العنسي ، وانه كان يضمر في نفسه أن يؤسس ديناً يحذو به حذو أولئك الكذابين - إلى غير ذلك من مفترياته ، ورعونات جهالاته وخزعبلاته ، فالموعد الرحمن واليه التحاكم وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ثم لو استهواه الشيطان ، وحكى مايقوله أهل البغي والعدوان ، كيف ساغ له أن يحكي عما في ضميره لو كان ، وحاشا لله أن يكون ذلك في الامكان

(وأما زعمه) أن الشيخ يدعي الاجتهاد المطلق ، فمن نمط ماقبله من المفتريات فانه لايدعي ذلك ، وقد نفاه في بعض رسائله ومن طالع كتب الشيخ وتصانيفه ورسائله علم محله من العلم والفقه والمتانة في الدين ورسوخه فيه ، وقد شهد له علماء وقته بذلك كما مضى بيانه

(وأما قوله) وقال ابن القيم في أعلام الموقعين لايجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة مالم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم

فأقول : هذا لسان جاهل ، وتركيب نبطي لايدري شيئاً من صناعة العلم ، وابن القيم ينزه عن هذا اللفظ وهذا التركيب ، ولا يقول مالم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم ، وإن البحث ماهكذا ايراده ولا تقريره ، والعلوم فيها مالا دخل له هنا ولا اعتبار كعلم الطب ، والهندسة ، والانشاء ، وقريض الشعر وميزانه ، والعلم بالرسم واتقانه ، ومعرفة التاريخ . واما بالنظر للمعنى فابن القيم

رحمه الله قد تشن الغارة على من لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة مالم تجتمع فيه شروط الاجتهاد ، وشنع على قائله تجهيلا وتخطئة وقال : هذا سد لباب أخذ العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله . وذكر في هذا المبحث من النصوص والآثار والمناظرة بين المجتهد والمقلد مالا تتسع له هذه الرسالة ، وذكر هذه العبارة راداً لها مجهلا لقائلها ، بل ذكر فيه عن الامام احمد انه لا يجوز الافتاء إلا لرجل عالم بالكتاب والسنة ، ثم ذكر بعد ذلك فصولا في تحريم الافتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص ، والرأي الذي لم تشهد له النصوص بالقبول . وقال أيضاً في الاعلام لما ذكر القياس قال : ونحن نقول قولا ندين الله به ، ونحمد الله على توفيقنا له ، ونسأله الثبات عليه ، ان الشريعة لم تحوجنا إلى قياس قط ، وأن فيها غنية وكفاية عن كل رأي وقياس وسياسة واستحسان ولكن ذلك مشروط بفهم يؤتيه الله عبده فيها ، وقد قال تعالى (ففهمناها سليمان) وقال علي رضي الله عنه : الا فهما يؤتيه الله عبده في كتابه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عباس « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » وقال ابو سعيد كان ابو بكر أعلمنا برسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عمر لأبي موسى الفهم الفهم انتهى . والذي غر هؤلاء الجهلة أنهم ظنوا أن الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله هو مرتبة الاجتهاد ، أو من تجوز له الفتيا فى الحلال والحرام ، وما علموا أن الاجتهاد هو النظر في الادلة اذا تعارضت ، وفيما يخفى دليله ، وهذا لا يتهيأ إلا لمن كملت فيه شروط الاجتهاد ، أو اجتمعت فيه أدوات الفتيا ، وأما اتباع كلام الله ورسوله والاخذ بما فيهما فهو فرض واجب على المجتهد والمقلد والعالم والمتعلم ، والآيات والاحاديث في ذلك معروفة مشهورة مبسوطة ذكرها ابن القيم في الاعلام . وقال ابن عباس رضي الله عنه لمن ناظره في متعة الحج : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال ابو بكر وعمر ، وقال الامام احمد : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) أتدري ما الفتنة ، الفتنة الشرك لعله اذا رد بعض

قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك . وقال ابن القيم رحمه الله في الاعلام قال ابو بكر بن ابي شيبة : حدثنا صالح بن عبد الله حدثنا سفيان بن عامر عن عتاب بن منصور قال : قال عمر بن عبد العزيز : لارأى لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الشافعي : أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها . وقال : لاقول لأحد مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال شداد بن حكيم عن زفر بن الهذيل انما نأخذ بالرأى مالم يجيء الأثر ، فاذا جاء الاثر تركنا الرأي وأخذنا بالاثر

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة الملقب بامام الائمة لاقول لأحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا صح الخبر عنه وقال الأصم ، سمعت الربيع يقول ، سمعت الشافعي يقول اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ماقلت ، وقال أحمد بن علي بن عيسى بن ماهان الرازي ، سمعت الربيع يقول ، سمعت الشافعي يقول كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن رسول الله عند أهل النقل بخلاف ماقلت فاني راجع عنها في حياتي وبعد موتي ، وقال الربيع قال الشافعي ،لم اسمع أحداً نسبه عامة أو نسب نفسه الى علم يخالف في أن فرض الله اتباع أمر رسوله صلى الله عليه وسلم والتسليم لحكمه ، فان الله لم يجعل لاحد بعده الا اتباعه ، وأنه لايلزم قول رجل قال الا بكتاب الله او سنة رسوله وان ماسواهما تبع لهما ،وان فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد لايختلف فيه الغرض ، وواجب قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الا فرقة سأصف قولها ان شاء الله وذكر كلاما طويلا عن الشافعي رحمه الله وغيره تركناه طلبا للاختصار ،

والمقصود أنه كذب على ابن القيم في دعواه أنه لايجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة مالم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم ، ولا عجب من هذا فقد كذب على السلف رحمهم الله في أن مذهبهم في آيات الصفات وأحاديثها أنها تؤول اما تفصيلا وإما اجمالا أو يفوض تفصيلها الى الله ،

ثم ذكر العراقي كلاما زعم فيه أن الوهابية تخذته ذرائع لتأسيس بدعتها ، وقد تقدم الكلام عليه ، ولكن أعاده ليكبر حجم كتابه ، وليزداد ان شاء الله بذكره مقتاً من الله وغضباً وزيادة في عقابه

(ثم ذكر) أن تكفير المسلم أمر غير هين وأنه قد أجمع العلماء منهم الشيخ ابن تيمية وابن القيم على أن الجاهل والمخطيء من هذه الأمة ولو عمل ما يجعل صاحبه مشركا أو كافراً يعذر بالجهل والخطأ ، حتى تبين له الحجة بيانا واضحا لا يلتبس على مثله .

(فيقال) في جوابه اما تكفير المسلم فقد قدمنا أن الوهابية لا يكفرون المسلمين والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من أعظم الناس توقفاً واحجاما عن اطلاق الكفر حتى إنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم اذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر تاركها قال في بعض رسائله وان كنا لا نكفر من عبد قبة الكواز لجهلهم وعدم من ينبههم فكيف من لم يهاجر الينا ، وقال وقد سئل عن مثل هؤلاء الجهال فقرر أن من قامت عليه الحجة وتأهل لمعرفتها يكفر بعبادة القبور ، وأما من أخلد الى الأرض واتبع هواه فلا أدري ماحاله

(وأما نقله) عن شيخ الاسلام وابن القيم على أن الجاهل والمخطيء الى آخره فالجواب : أن يقال كلام الشيخين انما هو في المسائل النظرية والاجتهادية التي قد يخفى الدليل فيها واما عباد القبور فهم عند السلف وأهل العلم يسمون الغالية لان فعلهم غلو يشبه غلو النصارى في الأنبياء والصالحين وعبادتهم ، وأيضاً فان هذا النقل فيه تكفير من قامت عليه الحجة ولو في المسائل الخفية ، فبطلت الشبهة العراقية ، ومسألة توحيد الله واخلاص العبادة له لم ينازع في وجوبها أحد من أهل الاسلام لا أهل الاهواء ولا غيرهم ، وهي معلومة من الدين بالضرورة ، كل من بلغته الرسالة وتصورها على ما هي عليه عرف أن هذا زبدتها وحاصلها وسائر الاحكام تدور عليه ، وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الاسلام كثيراً ، قال وهذا ان كان

في المقالات الخفية ، فقد يقال فيها إنه مخطيء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها لكن هذا يصدر منهم في أمور يعلمها الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها ، مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم ، فان هذه أظهر شعائر الاسلام ومثل ايجابه للصلوات الخمس وتعظيم شأنها ، ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ، ثم تجد كثيراً من رءوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين ، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين كما فعل أبو عبد الله الرازي ، قال وهذه ردة صريحة انتهى .

فاذا علمت هذا فمن بلغته رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة فلا يعذر في عدم الايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر فلا عذر له بعد ذلك بالجهل ، وقد أخبر الله سبحانه بجهل كثير من الكفار مع تصريحه بكفرهم ، ونقطع أن اليهود والنصارى اليوم جهال مقلدون ، ونعتقد كفرهم وكفر من شك في كفرهم ، وقد دل القرآن على أن الشك في أصول الدين كفر ، والشك هو التردد بين شيئين كالذي لا يجزم بصدق الرسول ولا كذبه ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه ، ونحو ذلك كالذي لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها ، أو لا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه ، وهذا كفر باجماع العلماء ، ولا عذر لمن حاله هكذا بكونه لم يفهم حجج الله وبيناته لأنه لا عذر له بعد بلوغها ، وان لم يفهمها ، وقد أخبر الله عن الكفار أنهم لم يفهموا فقال ، (وجعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) والآيات في هذا المعنى كثيرة والله أعلم

(وأما قول هذا العراقي) حتى تتبين له الحجة بياناً واضحاً لا يلتبس على مثله

(فأقول) هذا تحريف لكلام الشيخ فان الشيخ لم يقل حتى تتبين له الحجة إلى آخره وانما هي زيادة عراقية ، وانما قال الشيخ ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم حتى يبين لهم ماجاء به الرسول ، فقوله حتى تتبين له الحجة بيانا واضحا لا يلتبس على مثله انما هو فهم الحجة ، وفرق بعيد

بين قيام الحجة وفهم الحجة[١] فان من بلغته دعوة الرسل فقدقامت عليه الحجة اذا كان على وجه يمكن معه العلم. ولا يشترط في قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله مايفهمه أهل الايمان والقبول والانقياد لما جاء به الرسول قال تعالى (أم تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون انهم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وقال (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وقال تعالى (وجعلنا على على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) الى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى ،

ويقال أيضاً فرض كلام شيخ الاسلام وتقديره في الأمور التي قد يخفى دليلها مما ليس هو من ضروريات الدين ، ولا هو من الأمور الجلية بل هو في الأمور النظرية الاجتهادية والله أعلم .

(وأما قوله) والمسلم قد يجتمع فيه الكفر والاسلام والشرك والايمان ولا يكفر كفراً ينقله عن الملة .

(فأقول) نعم هذا فيما دون الشرك والكفر الذي يخرج من الملة فاما مالا يخرج عن الملة كالشرك الاصغر ، كيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول

---

(١) ان قيام الحجة مدلوله اللفظي غير مدلول فهم الحجة فحجة الله قائمة فى كل حال ،ولكن لايقال ان الحجة قامت على من لم يفهمها وقد قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) فاشترط ان يتبين له الهدى لا ان يبين له وإن لم يفهمه . وقال تعالى لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى) فعلل نفي الاكراه بتبين الرشد لا ببيانه وحده وما التبيين إلا ثمرة البيان ، وقال تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) وأما قول المؤلف أدام الله النفع به انه لايشترط في قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الايمان الخ فهو حق ولكن فرقا بين فهم من يدعى الى الحق لما يدعى اليه وفهم الحجة عليه و بين فهم المؤمنين المذعنين المتقين . وفهم هؤلاء يتفاوت تفاوتا عظيما . فأين فهم آحاد الصحابة من فهم الخلفاء الراشدين وفهم ابن مسعود وابن عباس الخ وأما من ختم الله على قلوبهم الخ فأعرضوا عن آياته فقد قامت الحجة عليهم بها اذفهموها فهما لم يستطيعوا معه نقضها فجحدوها عناداً ولكن لم يفقهوها فقه اعتبار واهتداء لفساد فطرهم واتباع أهوائهم كما بيناه فى التفسير . وكتبه محمد رشيد رضا

الرجل ماشاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وما أشبه ذلك ، والكفر كقوله صلى الله عليه وسلم « لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » وقوله صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك » وفي لفظ « فقد كفر » وغير ذلك مما جاء في الحديث بلفظ الكفر مما لاينقل عن الملة من الكفر الاصغر

(وأما ماذكر) في الخوارج فانما هو لاجل ماقام بهم من الشبهة المانعة من من تكفيرهم والشيخ محمد بن عبد الوهاب لايكفر الخوارج كما أن اكثر أهل العلم لايكفرونهم وقد سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الخوارج أكفار هم؟ فقال من الكفر فروا ، فقالوا منافقون ؟ فقال المنافقون لايذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا أو كلاما نحو هذا ، بقول العراقي : ومع كفرهم لم يكفرهم الصحابة ولا التابعون ، جهل عريض وتناقض بين ، وعدم معرفة بمقادير الصحابة وأهل العلم فانهم لو كانوا عند الصحابة كفاراً كفرا يخرج من الملة لكفرهم الصحابة والتابعون فلما قام المانع من تكفيرهم أمسكوا عنه وهم أعلم الأمة وأعرفهم بالله وبدينه وأخشاهم له فهذا الكلام ونحوه . انما هو في أهل الاهواء والبدع كالخوارج وأشباههم من أهل البدع التي لم تخرجهم بدعتهم من الاسلام

وأما مسئلة عبادة القبور ودعائها مع الله فهي مسئلة وفاقية التحريم ، اجماعية المنع والتأثيم ، فلم يدخل عباد القبور في كلام الشيخين لظهور برهانها ووضوح أدلتها وعدم اعتبار الشبهة فيها هذا وجه الاخراج والاستدراج ومراد هذا الملحد أن عباد القبور لايكفرون لأن الصحابة والتابعين لم يكفروا الخوارج فبعداً للقوم الظالمين

وأما ما ذكره من قتال أهل الردة فليس الامر كما زعم من التفريق وان كان قد قال به بعض العلماء فالحق والصواب ما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم فانهم لم يفرقوا بين من ارتد وصدق مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وطليحة الاسدي وسجاح وبين من منع الزكاة ، بل قاتلوهم كلهم واستحلوا دماءهم وأموالهم وسبيهم وسموهم كلهم أهل الردة ولم يقولوا لمانع الزكاة أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها ؟ هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة بل قال الصديق رضي الله

عنه لعمر رضي الله عنه والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لاجحد الوجوب وقد رؤى أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب لكن بخلوا بها ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة وهي قتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم. والشهادة على قتلاهم بالنار وسموهم جميعهم أهل الردة وكان من أعظم فضائل الصديق رضي الله عنه أن ثبته الله عند قتالهم ولم يتوقف كما توقف غيره فناظرهم حتى رجعوا الى قوله كما بينه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فاذا علمت ذلك فمن المحال أن يكون الحق والصواب مع من قال بخلاف ما قاله أصحاب رسول الله صلى الله علية وسلم الذين هم أفضل الامة وأن يكون الحق والصواب مع من بعدهم ممن لايساويهم ولا يقاربهم في العلم والفضل والمعرفة وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين نحواً من خمسة وأربعين وجهاً تدل على ان ما قاله الصحابة رضي الله عنهم هو الحق والصواب الذي لا شك فيه

فصل

ثم ذكر العراقي فرق أهل الضلال من أهل الأهواء والبدع الذين فارقوا الجماعة كالقدرية والمعتزلة والمرجئة والجهمية والرافضة ولم يذكر من فرق أهل الأهواء إلا هؤلاء ثم قال ومذهب السلف الذين تتستر به الوهابية هو عدم القول بتكفير طوائف المارقين الذين ذكرناهم والعجب كل العجب أن هذا العراقي يقر ان هؤلاء الطوائف هم المارقون المفارقون للجماعة وهو يقول باقوالهم في نفي الصفات

﴿والجواب﴾ أن نقول هـذا كذب على السلف رضوان الله عليهم فانهم كفروا غلاة الرافضة كالذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنـه وكذلك كفروا غلاة القدرية وغلاة المرجئة والمعتزلة وغلاة الجهمية وقد حكى شيخ الاسلام تكفير من قام به الكفر من أهل الاهواء قال واضطرب الناس في ذلك فمنهم من يحكى عن مالك فيه قولين وعن الشافعي كذلك وعن أحمد روايتين وأبو الحسن الاشعري وأصحابه لهم فيه قولان قال وحقيقة الامر أن القول قد

يكون كفراً فيطلق القول بتكفير قائله ويقال لمن قال هذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قال لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها انتهى وحيث كان الحال هكذا في الخوارج قد اختلف الناس في تكفيرهم والغلاة في علي لم يختلف أحد في تكفيرهم وكذلك من سجد لغير الله أو ذبح لغير الله أو دعاه مع الله رغباً أو رهباً كل هؤلاء اتفق السلف والخلف على كفرهم كما ذكره. أهل المذاهب الأربعة ولا يمكن أحد أن ينقل عنهم قولا ثانياً وبهذا تعلم أن النزاع. وكلام شيخ الاسلام ابن تيمية وأمثاله في غير عباد القبور والمشركين فرضه وموضوعه في أهل البدع المخالفين للسنة والجماعة وهذا يعرف من كلام الشيخ فاذا عرفت ان كلام الشيخ ابن تيمية في أهل الاهواء كالقدرية والخوارج والمرجئة ونحوهم ما خلا غلاتهم تبين لك أن عباد القبور والجهمية خارجون من هذه الاصناف وأما كلامه في عدم تكفير المعين فالمقصود به في مسائل مخصوصة قد يخفى دليلها على بعض الناس كما في مسائل القدر والأرجاء ونحو ذلك مما قاله أهل الاهواء فان بعض أقوالهم تتضمن أموراً كفرية من رد أدلة الكتاب والسنة المتواترة فيكون القول المتضمن لرد بعض النصوص كفراً ولا يحكم على قائله بالكفر لاحتمال وجود مانع كالجهل وعدم العلم بنفس النص أو بدلالته في أن الشرائع لا تلزم الا بعد بلوغها ولذلك ذكر هذا في الكلام على بدع أهل الاهواء وقد نص على هذا فقال في تكفير أناس من أعيان المتكلمين بعد أن قرر هذه المسألة قال وهذا اذا كان في المسائل الخفية فقد يقال بعدم التكفير وأما ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية أو ما يعلم من الدين بالضرورة فهذا لا يتوقف في تكفير قائله وبهذا تعلم غلط هذا العراقي وكذبه على شيخ الاسلام وعلى الصحابة والتابعين في عدم تكفير غلاة القدرية وغلاة المعتزلة وغلاة المرجئة وغلاة الجهمية والرافضة فان الصادر من هؤلاء كان في مسائل ظاهرة جلية وفيما يعلم بالضرورة من الدين وأما من دخل عليه من أهل السنة بعض أقوال هؤلاء وخاض فيما خاضوا فيه من المسائل التي قد يخفى دليلها على بعض الناس أو ممن كان من أهل الاهواء من غير غلاتهم بل من قلدهم وحسن الظن باقوالهم من غير نظر ولا بحث.

فهؤلاء هم الذين توقف السلف والأئمة في تكفيرهم لاحتمال وجود مانع كالجهل وعدم العلم بنفس النص أو بدلالته قبل قيام الحجة عليهم وأما اذا قامت الحجة عليهم فهذا لايتوقف في كفر قائله

(وأما قوله) قال شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية لم يكفر الامام احمد الخوارج ولا المرجئة ولا اعيان الجهمية بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا الناس الى قولهم وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الشديدة

فالجواب أن يقال قد تقدم عدم تكفير الخوارج والمرجئة غير الغالية منهم وأما الجهمية فيقال لو سلم هذا فجوابه من أوضح الواضحات عند أهل العلم والأثر وذلك ان الامام أحمد وأمثاله من أهل العلم والحديث لايختلفون في تكفير الجهمية وانهم ضلال زنادقة وقد ذكر من صنف في السنة تكفيرهم عن عامة أهل العلم والأثر وعد اللالكائي الامام رحمه الله تعالى منهم عدداً يتعذر ذكرهم في هذا الجواب وكذلك ابن الامام أحمد في كتاب السنة والخلال في كتاب السنة وابن أبي مليكة في كتاب السنة وامام الأئمة ابن خزيمة قرر كفرهم ونقله عن أساطين الأئمة وقد حكى كفرهم شمس الدين بن القيم في كافيته عن خمسمائة من أئمة المسلمين وعلمائهم والصلاة خلفهم لاتنافي القول بتكفيرهم لكن تجب الاعادة حيث لاتمكن الصلاة خلف غيرهم والرواية المشهورة عن الامام أحمد هي المنع من الصلاة خلفهم وقد يفرق بين من قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها وبين من لا شعور له بذلك وهذا القول يميل اليه شيخ الاسلام في المسائل التى قد يخفى دليلها على بعض الناس كما تقدم ذكره وعلى هذا القول فالجهمية في هذه الازمنة قد بلغتهم الحجة وظهر الدليل وعرفوا ما عليه أهل السنة واشتهرت الاحاديث النبوية وظهرت ظهوراً ليس بعده الا المكابرة والعناد ، وهذا حقيقة الكفر والالحاد، كيف لا وقولهم يقتضي من تعطيل الذات والصفات والكفر بما اتفقت عليه الرسالة والنبوات وشهدت به الفطر السليمات مالايبقى معه من حقيقة الربوبية والالهية ولا وجود للذات المقدسة المتصفة بجميل الصفات وهم انما يعبدون

عدما لا حقيقة لوجوده ويعتمدون من الخيالات والشبه ما يعلم فساده بضرورة العقل وبالضرورة من دين الاسلام عند من عرفه وعرف ما جاءت به الرسل من الاثبات . ولبشر المريسي وأمثاله من الشبه والكلام في نفي الصفات ما هو من جنس هذا المذكور عند الجهمية المتأخرين بل كلامه أخف إلحاداً من بعض هؤلاء الضلال ومع ذلك فأهل العلم متفقون على تكفيره وعلى أن الصلاة لا تصح خلف كافر جهمي أو غيره وقد صرح الامام أحمد فيما نقل عنه ابنه عبدالله وغيره أنه كان يعيد صلاة الجمعة وغيرها وقد يفعله المؤمن مع غيرهم من المرتدين اذا كانت لهم شوكة ودولة والنصوص في ذلك معروفة مشهورة من طلبها وجدها انتهى وقد تقدم كلام أبي حنيفة وتصريحه بكفر من قال لا أدري العرش في السماء أم في الارض قال لانه أنكر انه في السماء لان الله في أعلى عليين وانه يدعى من أعلا لا من أسفل وقال الامام الشافعي رحمه الله لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر ، واما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل ونثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفي عن نفسه فقال (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) انتهى

وقال شيخ الاسلام رحمه الله بعد كلام سبق : والبدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة فان عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط وغيرهما قالوا أصول الأثنتين وسبعين فرقة هي أربع الخوارج والروافض والمرجئة والقدرية قيل لابن المبارك فالجهمية قال ليست من أمة محمد صلى الله عليه وسلم والجهمية نفاة الصفات الذين يقولون القرآن مخلوق وإن الله لا يرى في الآخرة وإن محمداً لم يعرج به الى الله وإن الله لا علم له ولا قدرة ولا حياة ونحو ذلك كما يقوله المعتزلة والمتفلسفة ومن اتبعهم وقد قال عبد الرحمن بن مهدي هما صنفان فاحذرهما الجهمية والرافضة فهذان الصنفان شرار أهل البدع ومنهم دخلت القرامطة الباطنية كالنصيرية والاسماعيلية ومنهم اتصلت الاتحادية فانهم من جنس الطائفة الفرعونية والرافضة في هذه الازمان مع الرفض

جهمية قدرية فانهم ضموا الى الرفض مذهب المعتزلة ثم يخرجون الى مذهب الاسماعيلية ونحوهم من أهل الزندقة والاتحاد انتهى كلامه رحمه الله وهذا العراقي الملحد ضم الى معتقده في عبادة القبور مذهب الجهمية والمعتزلة وقول الرافضة في الرؤية والقدرية (١)

﴿ وأما قوله ﴾ عن شيخ الاسلام وقال أيضاً ما محصله إن من البدع المنكرة تكفير طائفة من المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم إذ لعل تلك الطائفة ليس فيها من البدعة ما في الطائفة المنكرة لها ولو فرض أن تلك الطائفة قد ابتدعت لم يجز للطائفة التي على السنة أن تكفرها لما عسى أن تكون بدعتها ناشئة عن خطأ الى آخره

﴿ فالجواب ﴾ أن نقول ليس هذا مما نحن فيه في شيء فان من أهل البدع من لم تخرجه بدعته من الاسلام وليس الكلام في هؤلاء وفرض كلام الشيخ فيمن لم تكن بدعته تخرجه من الاسلام وانما الكلام في غلاة هؤلاء الطوائف وبهذا يعلم كل من له ادنى مسكة من عقل وأقل معرفة من علم أن عباد القبور والجهمية لا يدخلون في أهل البدع والاهواء الذين تقدم كلام الشيخ فيهم والشيخ محمد رحمه الله لا يكفر أحداً من هذا الجنس ولا من هؤلاء النوع وانما يكفر من نطق بتكفيره الكتاب العزيز وجاءت به السنة الصحيحة واجتمعت على تكفيره الأمة كمن بدل دينه وفعل فعل الجاهلية الذين يعبدون الملائكة والانبياء والصالحين ويدعونهم مع الله فان الله كفرهم واباح دماءهم وأموالهم كما دل عليه الكتاب العزيز والسنة المستفيضة

---

(١) هذا ما يؤخذ من كتابه المذكور وقد صرح بعد تاليف هذا الكتاب فى أشعاره ومقالاته فى الجرائد بالكفر والتعطيل والاعتراض على القرآن وكتبه محمد رشيد رضا

فصل

اذا تبين لك هذا فمن عجيب أمر هـذا العراقى وشدة غباوته ، وانه انمـا دهي من عجمته ، وعدم معرفته وتلقي العلوم الشرعية من مظانها تناقضه كما قال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) فمن ذلك انه ذكر فيما تقدم في غير موضع أن الوهابية قد خبطت كل الخبط في تنزيهه تعالى حيث ابت إلا جعـل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشـه ، واستقراراً وعلواً فوقه ، وأثبتت له الوجه واليدين ، وبعضته سبحانه فجعلته ماسكا بالسموات على أصبع والارض على أصبع ، والشجر على أصبع ، والملك على أصبع ، ثم أثبتت له تعالى الجهة فقالت : هو فوق السموات ثابت على العرش يشار اليه بالاصابع إلى فوق اشارة حسية ، وينزل إلى السماء ويصعد ، ثم نفى الرؤية في مواضع أخر وأولهـا بنوع من الانكشاف والتجلي من غير حاجة للباصرة ، ولا محاذاة لها . وفي موضع آخر قال : فاعتقدوا متمسكين بظواهر الآيات أن الله تعالى على عرشه وعلاه علواً حقيقياً ، وأن له تعالى وجهاً ويدين ، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا ، ويصعد نزولا وصعوداً حقيقيين ، وأنه يشار اليه في السماء بالأصبع ، ثم نكس على رأسه فقال لما أتى على فرق أهل الاهواء قال :

ثم فارقت الجهمية الجماعة فقالوا : ليس على العرش إله يعبد ، ولا لله فى الارض من كلام ، وانكروا صفات الله التي اثبتها لنفسه في كتابه المبين ، وأثبتها رسوله الصادق الأمين ، وأجمع على القول بها الصحابة ، وكـذلك أنكروا رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة الى غير ذلك من اقوالهم ومعتقداتهم الكفرية

هذا لفظه بحروفه فنقض ماتقدم من قوله فى الوهابية بما قاله هاهنا من أن الجهمية فارقوا الجماعة وقالوا : إنه ليس على العرش إله يعبد ، وأنهم أنكروا الصفات التي أثبتها لنفسه ، وأثبتها له رسوله ، وأجمع على القول بها الصحابة ،

وكذلك قال فى رؤية الله تعالى وصرح أن هذا وغيره من معتقداتهم الكفرية ،
وكذلك قال فى سائر الفرق أنهم فارقوا الجماعة ، وأن أهل السنة لم يكفروهم
بهذه الكفريات وهكذا يكون كلام من اتبع هواه وأضله الله على علم وختم على
سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله والا فكيف
يعتقد أن الله ينزه عن اثبات صفات كماله ونعوت جلاله ، ثم يحكم على أن القائل
بها مفارق للجماعة مخالف لما اجمع عليه الصحابة ، وأن اعتقاد هذا من العقائد
الكفرية ثم يقول ، ومع تماديهم في ضلالهم واستمرارهم على عنادهم ، بعد أن
بين أهل الحق لهم خطأ مذهبهم لم يكفروهم ، بل جعلوا الأخوة الايمانية ثابتة
لهم ولمن قبلهم من أهل البدع ، هـذا قوله في المرجئة والمعتزلة والقدرية ، وأما
الجهمية فقال ومع ذلك فقد رد عليهم الائمة وبينوا ضلالهم حتى إنهم قتلوا بعض
دعاتهم كجهم بن صفوان والجعد بن درهم ، وبعد أن قتلوهم غسلوهم وصلوا عليهم
ودفنوهم في مقابر المسلمين ، ولم يجروا عليهم أحكام أهل الردة ، وقال في الرافضة
ومع ذلك فلم يكفرهم أحد من العلماء ولا منعوهم عن التوارث ولا التناكح وأجروا
عليهم أحكام المسلمين ، ويكفي مجرد حكاية ضلاله عن التكلف في رده ، اذ من
المعلوم بالضرورة أن هذا الكلام بكلام المجاذيب الذين ينطقون بما لا يعقلون
أشبه به من نسبته الى أحد من أهل العلم والله المستعان

(ثم ذكر) انعقاد الاجماع على أن من أقر بما جاء به الرسول وان كانت فيه
خصلة من الكفر أو الشرك لايكفر حتى تقام عليه الحجة إلى آخر ما ذكره مما
قد بينا فيما تقدم جوابه وكلام العلماء فيه

(ثم قال) فى آخره فقد تبين ما للوهابية فى تكفيرها المسلمين من
البدعة والمخالفة لما جاء به كتاب الله وسنة رسوله ولاقوال أئمة الدين
والعلماء المجتهدين

والجواب : أن يقال قد بينا فيما تقدم أن الوهابية لايكفرون المسلمين
ولايكفرون أيضاً أهل الاهواء مطلقا إلا بعد بلوغ الحجة على من قام به مكفر

من المكفرات وناقض من النواقض ، ولم نكفر الا من نطق كتاب الله وسنة رسوله بتكفيره وخالف أئمة الدين والعلماء المجتهدين وأجمعت الامة على تكفيره كمن بدل دينه وفعل فعل الجاهلية الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين ويدعونهم مع الله فان الله كفرهم وأباح دماءهم وأموالهم فلايهولنك سفسطة هذا العراقي وتمويهه بهذه العبارة ، فانه أول من خالفها كيف وقد قال فيما مضى من كلامه إن أدلة نصوص الكتاب والسنة ظواهر ظنية لاتعارض اليقينيات يعني باليقينيات معقولات الفلاسفة واليونان وانباط فارس وفروخ الجهمية وورثة المجوس والصابئين من المتكلمين الخارجين عن سبيل المؤمنين

فصل

قال العراقي: الوهابية ونفيها التوسل: ذكرنا فيما سبق تكفير الوهابية لمن خالف بدعتها من جميع المسلمين ونسبتها اياهم الى الشرك الاكبر ، وقد آن لنا أن نذكرها هنا ما اتخذته ذريعة لتكفيرهم من الأمور فمنها الاستغاثة بالانبياء والاولياء والتوسل بهم إلى الله تعالى وزيارتهم قبورهم فهي قد نفت ذلك وحرمته وشددت النكير على المستغيثين والمتوسلين والزائرين فكفرتهم وعدتهم مشركين كعباد الاوثان بل جعلتهم اسوأ حالا منهم حيث قالت إن المشركين السابقين كانوا مشركين في الألوهية فقط ، وأما مشركوا المسلمين تعني بهم من خالفها منهم فقد أشركوا في الالوهية والربوبية ، وقالت أيضاً ان الكفار فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايشركون دائما بل تارة يشركون وتارة يوحدون الله ويتركون دعاء الانبياء والصالحين ، وذلك أنهم إذا كانوا في السراء دعوهم واعتقدوا بهم واذا أصابهم الضر والشدائد تركوهم وأخلصوا لله الدين وعرفوا أن الانبياء والصالحين لايملكون ضراً ولا نفعا

والجواب على سبيل النقض — وسيأتي الجواب على ما يجيب به عما قالت الوهابية — أن نقول : أما الاستغاثة بالأنبياء والأولياء فهي من الشرك الأكبر

لان الاستغاثة طلب الغوث ، ومن طلب من ميت أو غائب مالا يقدر عليه الا الله كان مشركا لأن الاستغاثة من أنواع العبادة فصرفها لغيره شرك ، قال شيخ الاسلام ومن أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت أو غائب كما ذكره السائل ويستغيث به عند المصائب ياسيدي فلان كانه يطلب منه ازالة ضره أو جلب نفعه وهذا حال النصارى في المسيح وأمه واحبارهم ورهبانهم ، ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعلم الناس بقدره وحقه أصحابه ولم يكونوا يفعلون شيئا من ذلك في مغيبه ولا بعد مماته الى آخر كلامه رحمه الله تعالى ، وأما التوسل بهم إلى الله كأن يسأل الله تعالى بجاههم أو بحرمتهم ، فهذا ليس بشرك بل هو من البدع المحرمة والذرائع المفضية إلى ماهو أكبر من ذلك ، وأما زيارة قبورهم على الوجه الشرعي فلا مانع منه ونسبته إلى الوهابية كذب عليهم ، وأما مع شد الرحل فبدعة محرمة ، فان تضمنت زيارتهم دعاءهم والاستغاثة بهم والالتجاء اليهم فهو الشرك الأكبر المخرج عن الملة ، وأدلة ذلك الآيات التي ذكرها فيما يأتي ،

وأما كون مشركي أهل هذه الازمان أسوء حالا من مشركي الجاهلية فنعم لان الكفار الاولين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية فيقرون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر النافع الضار إلى غير ذلك مما ذكره الله عنهم ولم يدخلهم ذلك في الاسلام ، وانما كان شركهم في الالوهية ، فان الاله هو الذي تألهه القلوب محبة واجلالا وتعظيما ، ومن أنواع ذلك الدعاء والخوف والرجاء والحب والتعظيم والاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر والتوكل والالتجاء والرغبة والرهبة والخضوع والخشوع والانابة إلى غير ذلك من أنواع العبادة وهذه حال عباد القبور في هذه الازمان

وأما كون الكفار في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايشركون دائما بل تارة يشركون وتارة يوحدون ويتركون دعاء الانبياء والصالحين وذلك أنهم إذا كانوا في السراء دعوهم واعتقدوا بهم وإذا أصابهم الضر والشدائد تركوهم وأخلصوا لله الدين وعرفوا أن الانبياء والصالحين لايملكون ضرا ولا نفعا — فهذا ليس هو قول الوهابية بل هو نص كتاب الله تعالى (فاذا ركبوا

في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذاهم يشركون* ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون) إلى غير ذلك من الآيات ، وأما مشركو أهل هذه الأزمان فانه لايشتد شركهم إلا اذا وقعت بهم الشدائد فانهم ينسون الله ولايدعون إلامعبودهم ، فشركهم دائم في الرخاء والشدة ، وهذا أمر معلوم مشاهد لاينكره الا مكابر في الحسيات مباهت في الضروريات .

(قال العراقي)حملت الوهابية جميع الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الموحدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتمسكت بها في تكفيرهم منها قوله تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا)وقوله تعالى(ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقوله تعالى (ولا تدع من دون الله مالاينفعك ولايضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين) وقوله تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبؤك مثل خبير) وقوله (ولاتدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين) وقوله تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه ومادعاء الكافرين الافي ضلال) وقوله تعالى(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا* أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) إلى غير ذلك من الآيات النازلة في المشركين ، فزعم ابن عبد الوهاب أن كل من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ وتوسل به أو بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين أو ناداهم أو سأله الشفاعة أو زار قبره يكون في عداد هؤلاء المشركين داخلا في عموم هذه الآيات وشبهته في ذلك أن هذه الآيات وان كانت نازلة في المشركين الا أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب انتهى .

فكل ماذكره عن الوهابية حق وبه نقول إلا ماكان من لفظ التوسل أو

زيارة القبور فقد تقدم في الفصل الاول الجواب عن ذلك وانا لانكفر بهما ، ثم انظر ماذا يجيب به من المخرقة السامجة المارجة الساذجة

قال والجواب انا لاننكر أن العبرة هي لعموم اللفظ لالخصوص السبب ، ولكن نقول إن هذه الآيات لاتشمل من زعمت الوهابية أنها شاملة لهم لما انه ليس من أحوال الكفار الذين نزلت هذه الآيات فيهم شيء عند المتوسلين والمستغيثين ، فان الدعاء يأتي لمعان شتى كما سنذكره قريباً وهو في هذه الآيات كلها بمعنى العبادة ، والمسلمون لايعبدون إلا الله تعالى وليس فيهم من اتخذ الانبياء والاولياء آلهة وجعلهم شركاء لله تعالى حتى تعمهم هذه الآيات ، ولا اعتقدوا أنهم يستحقون العبادة ، ولا أنهم يخلقون شيئاً ، ولا أنهم يملكون ضراً ولا نفعاً ، بل انما اعتقدوا انهم عبيد الله مخلوقون له ، وماقصدوا بزيارة قبورهم والتوسل بهم إلى الله تعالى الا التبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم فببركتهم يرحم عباده

قالت الوهابية : ان اعتذاركم هو عين اعتذار المشركين عن عبادة الاصنام فقد قال تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الاصنام (مانعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفى) فالمشركون مااعتقدوا في الاصنام أنها تخلق شيئاً ، بل اعتقدوا أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) فانما حكم الله تعالى عليهم بالكفر لقولهم (ليقربونا الى الله زلفى) قالت : وهكذا المتوسلون بالانبياء والصالحين يقولون ماهو بمعنى قول المشركين ليقربونا الى الله زلفى

قال العراقي : والجواب من وجوه الاول أن المشركين جعلوا الاصنام آلهة والمسلمون مااعتقدوا الا إلها واحداً فعندهم أن الانبياء أنبياء والاولياء أولياء ليس الا فلم يتخذوهم آلهة مثل المشركين

(والجواب عن أجوبة هذا الملحد) أن نقول ماذكره العراقي ليس هو حاصل ماتجيب به الوهابية من أشرك بالله غيره واتخذ معه آلهة من دونه ، فان عندهم من الادلة والاجوبه مالم تحط به علماً ، ولا تقدر على نقضه وابطاله كما قال تعالى (ولا

يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) فانهم هم أتباع رسول الله على الحقيقة لاعلى الدعوى والانتساب ، ولكنا في هذا المقام انما نجيب على أجوبته بما يبين بطلانها ، ويهدم أركانها ، ويهدّ بنيانها ، وإن كان ماأجابهم به أوهن من خيط العنكبوت فنقول : قد كان من المعلوم عند من له معرفة بالعلوم الشرعية أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من يعبد الاصنام المصورة على صور الصالحين ودوسواع ويغوث ويعوق ونسر ، ومنهم من يعبد الملائكة والانبياء والصالحين ويجعلونهم وسائط بينهم وبين الله ، ويقولون نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم ، ومنهم من يعتقد في الاشجار والاحجار يرجون بركتها وغير ذلك . ومع ذلك كانوا يعلمون أن الانبياء أنبياء ، وأن الاولياء أولياء ، وأن الاشجار كالعزى شجرة ، وأن مناة أكمة يذبحون لآلهتهم عندها يرجون بركتها ، وكذلك اللات يعلمون انها صخرة كان يلت عليها السويق للحاج فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم ابراهيم ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لايصلح منه شيء لالملك مقرب ، ولانبي مرسل فضلا عن غيرهما ، وهؤلاء المشركون لم يعتقدوا في آلهتهم التي يدعونها من دون الله من الاصنام ، والملائكة ، والانبياء والاولياء والصالحين ، انهم يستحقون العبادة[1] ولا انهم يخلقون شيئاً ، ولا انهم يملكون ضراً ولانفعاً ، ويعلمون أن الله هو الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المدبر لجميع الامور ، ولكن لم يدخلهم ذلك في التوحيد الذي دعاهم اليه رسول الله صلى الله علية وسلم من اخلاص العبادة لله وحده لاشريك له ، وأن يكون الدين كله لله ، والنذر كله لله ، والذبح كله لله والاستغاثة كلها بالله ، والالتجاء اليه وحده ، والتوكل عليه ، والخوف والرجاء منه ، والدعاء كله لله ، وجميع أنواع العبادة كلها لله . فاذا عرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وأن قصدهم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بهم ، ويتبركون بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم الله واجتباهم ، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم . عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت

---

(١) أي لذاتهم وانما يستحقونها لانهم وسطاء وشفعاء عند الله تعالى

اليه الرسل ، وابى عن الاقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله ، فان الاله هو الذي تأله القلوب ، ويقصد لأجل هذه الامور سواء، كان ملكا ، أو نبيا ، أو وليا ، أو شجرة ، أو قبراً ، أو جنيا . لم يريدوا أن الاله هو الخالق الرازق المدبر ، فمن صرف من هذه العبادة المتقدم ذكرها شيئاً لغير الله فقد اتخذه إلها لانه صرف خالص حق الله لغيره ، وأشركه معه في عبادته ، ومن أشرك بالله أحداً في عبادته كان مشركا سواء كان المدعو المستغاث به ملكا أو نبيا ، أو وليا ، أو صنما، فقول هذا العراقي إن المشركين جعلوا الاصنام آلهة والمسلمون مااعتقدوا إلا إلها واحداً ، جهل عظيم وغباوة مفرطة ، فان المشركين عبدوا الملائكة ، وعيسى ، واللات ، وهو قبر رجل صالح مع الاصنام المصورة وصرفوا لهم خالص حق الله كما تقدم ذكره . وأيضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم « قولوا لا إله الا الله » قالوا : — اجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا لشيء عجاب — فالكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو افراد الله تعالى بالتعلق والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه ، وأن يكون الدين كله لله ، فاذا صرف المشركون لمن يعتقدون فيه شيئاً من هذه العبادة كانوا بذلك مشركين ، فكذلك من يزعم أنه مسلم ويتلفظ بالشهادتين ويقر بسائر الاركان اذا صرف من هذه العبادة شيئاً لغير الله كان مشركا ، ولا ينفعه اعتقاده أن الله إله واحد[1] وهو يعبد معه غيره ، ولا تنفعه معرفته أن الانبياء أنبياء ، والاولياء أولياء وهو يشركهم في عبادة الله

---

(١) بل هو لا يعتقد ان الاله واحد وانما يقول بلسانه ما يجهل معناه لظنه ان لفظ الاله معناه الرب الخالق للخلق وانما معناه المعبود بالدعاء وغير الدعاء وهو يدعو غير الله و يجهل ان هذا عبادة له لجهله بمعنى العبادة و بمعنى الاله وانه المعبود فمشركوا الجاهلية كانوا يصرحون بأن دعاءهم لغير الله وذبائحهم ونذوره عبادة لأنهم أهل اللغة . والقبوريون جهلوا الدين وجهلوا لغته فسموا العبادة بغير اسمها لتصريح القرآن بأن عبادة غير الله كفر . ولكنهم غفلوا عن تصريحه بان الدعاء عبادة وكتبه محمد رشيد رضا

فصل

قال العراقي : الثاني أن المشركين اعتقدوا أن تلك الالهة تستحق العبادة بخلاف المسلمين فانهم لم يعتقدوا أن أحداً من المتوسلين بهم مستحق لاقل عبادة وليس عندهم المستحق للعبادة الا الله وحده

والجواب أن نقول : هذه العبادة التي صرفها المشركون الاولون لآلهتهم هي مايفعله المشركون من عباد القبور في هذه الازمان سواء بسواء وان زعموا أن هذا توسل ، فالعبرة بالحقائق لا بالاسماء ، فان المشركين الاولين مازعموا أن آلهتهم التي عبدوها من دون الله من الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض ، أو استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات ، ولا أنهم مستحقون للعبادة ، وانما كانوا يدعونهم ويلتجئون اليهم ، ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم الى الله زلفى .

ويقال لهذا الملحد أيضاً لايخلو معتقد هذه الافعال عن أحد ثلاثة أمور ، اما ان يعتقد أنهم مستحقون للعبادة من دون الله أو مع الله ، واما أن لايعتقد ذلك لكن ليقربوهم الى الله زلفى ، واما أن لاتكون هذه الافعال عبادة ، فان كان أراد أن هذه ليست بعبادة فقد كابر العقل والشرع وباهت في الضروريات ، وان كان أراد بها ليقربوهم الى الله زلفى مع اعتقادهم أن الله هو النافع الضار المدبر لجميع الامور ، وأنه لاخالق الا الله فهذا هو شرك الجاهلية ، وان أراد أنهم مستحقون للعبادة من دون الله أو مع الله كان هذا أعظم من شرك الجاهلية فان هذا شرك في الربوبية والالوهية معاً .

فاذا عرفت أن هذا الشرك الذي يسميه هؤلاء توسلا وتشفعاً بجاه النبي أو بحقه وغير ذلك من الالفاظ ، أو بجاه غير النبي كالملائكة والاولياء والصالحين وهو ان يعتقد أحدهم في غير الله انه بذاته يقدر على جلب منفعة لمن دعاه أو استغاث به ،

أو دفع مضرة، أو أن هذا يحصل ببركته وشفاعته كان هذا هو العبادة التي لايستحقها الا الله فان العبادة التي لايستحقها الا الله مع الاقرار بتوحيد الربوبية هي أفعال العبد الصادرة منه كالدعاء، والحب، والخوف، والرجاء، والخضوع، والخشوع، والانابة والتوكل والمحبة والتعظيم، والاستغاثة والدعاء، والالتجاء، والاستعانة، والاستعاذة، والذبح والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي اختص بها دون من سواه وهو المستحق لها دون من عداه، فمن صرف منها شيئا لغير الله كان مشركا سواء اعتقد التأثير فيما يدعوه ويستغيث به، أو أنه مستحق لذلك أو غير مستحق، أو لم يعتقد ذلك وان فر من تسمية فعله شركا وتألها وعبادة، فانه من المعلوم عند كل عاقل أن حقائق الاشياء لاتتغير بتغير أسمائها فلا تزول هذه المفاسد بتغير أسمائها كتسمية عبادة غير الله توسلا وتشفعا، أو تبركا وتعظيما للصالحين وتوقيراً، فان الاعتبار بحقائق الامور لابالاسماء والاصطلاحات، والحكم يدور مع الحقيقة وجوداً وعدما لامع الاسماء. فقوله عن مشركي هذا الزمان أنهم لايعتقدون أن أحداً منهم بتوسله يزعم انهم مستحقون لأقل عبادة تمويه وسفسطه من هذا العراقي لأن المستحق للعبادة هو الذي تألهه القلوب محبة واجلالا وتعظيما فمن تأله غير الله فقد اعتقد انه مستحق للعبادة بتألهه اياه بأنواع هذه العبادة شاء أم ابى، ولا ينفعه اقراره أن المستحق للعبادة هو الله وحده وهو يشرك به غيره

(وأما قوله) الثالث أن المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل كما قال تعالى حكاية عنهم (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والمسلمون ماعبدوا الانبياء والصالحين في توسلهم إلى الله تعالى

﴿ فالجواب ﴾ أن يقال إن المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل الصادر منهم كالدعاء والحب والخوف والتعظيم والرجاء والاستغاثة والاستعاذة والذبح لهم والنذر والالتجاء اليهم فصرفوا لهم هذه العبادة ليشفعوا لهم عند الله وليقربوهم الى الله زلفى وهكذا حال مشركي هذه الازمان انما عبدوهم بالفعل والاعتقاد فيهم وتوسلوا بهم وقصدوهم لأجل التبرك بهم والاستشفاع بجاههم لا لأجل أنهم مستحقون للعبادة ولا أنهم مستقلون بالخلق والايجاد والنفع والضر وايضاً

فان مجرد ارتكاب فعل أو قول أو اعتقاد لغير الله مما يعد من العبادة من الدعاء والذبح وما تقدم ذكره موقع في الاشراك سواء وجد معه اعتقاد الوهية غير الله أم لا

﴿ وأما قوله ﴾ الرابع أن المشركين قصدوا بعبادة أصنامهم التقرب الى الله تعالى كما حكى الله وأما المسلمون فلم يقصدوا بتوسلهم بالانبياء وغيرهم التقرب الى الله تعالى لما أن التقرب اليه لا يكون الا بالعبادة ولذلك قال الله حكاية عن المشركين (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) بل المسلمون قصدوا التبرك والاستشفاع بهم والتبرك بالشيء غير التقرب به كما لا يخفى

﴿ فالجواب ﴾ أن نقول وهكذا حال مشركي العرب مع أوثانهم انما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها والاستغاثة بها والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها ويؤملونه ببركتها وشفاعتها وغير ذلك فالتبرك بالصالحين أو بقبورهم كالتبرك باللات وبالاشجار والاحجار كالعزى ومناة من جملة فعل أولئك المشركين مع تلك الاوثان فمن فعل مثل ذلك واعتقد في قبر أو صاحبه أو حجر أو شجر فقد ضاهأ عبادة هذه الاوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك على أن الواقع من هؤلاء المشركين في هذه الازمان مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك فمن دعا غير الله واستغاث به ولجأ اليه وصرف له شيئاً من خالص حق الله كان هذا الفعل منه بهذا القصد شركا بدليل ما رواه الترمذي وصححه عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله اكبر انها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون) لتتبعن سنن من كان قبلكم » فقوله وينوطون بها أسلحتهم أي يعلقونها للبركة ففي هذا بيان ان عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك وبهذه الامور الثلاثة عبدت الاشجار ونحوها فظنوا أن هذا الامر محبوب عند الله فقصدوا التقرب به فاقسم صلى الله عليه وسلم ان طلبتهم كطلبة بني اسرائيل

بجامع أن كلا طلبه ان يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله وأن اختلف اللفظان فالمعنى واحد فتغير الاسم لايغير الحقيقة ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن طلبتهم من النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم ذات أنواط يتبركون بها كطلبة بني اسرائيل من موسى ان يجعل لهم إلهاً فأقسم صلى الله عليه وسلم ان مقالة هؤلاء كمقالة أولئك سواء بسواء واذا كان القصد من الشرك بالشيء كالتبرك مثلا هو القصد من التأله به كان الكل عبادة يتقرب بها الى الله فالفرق بين العبادتين لاختلاف اللفظين تحكم بغير دليل فقد اتضح عدم الفرق في هذه القضية فانجلت الشبهة العراقية

﴿ وأما قوله ﴾ الخامس ان المشركين لما كانوا يقصدون أن الله تعالى جسم في السماء أرادوا بقولهم ليقربونا الى الله زلفى التقرب الحقيقي ويدل عليه تأكيده بقولهم زلفى إذ تأكيد الشيء بما ظاهره معناه يدل في الاكثر على أن المقصود به هو المعنى الحقيقي دون المجازي فاذا قلنا قتله قتلا تبادر القتل الحقيقي الى الفهم لا الضرب الشديد بخلاف ما لو قلنا قتله فقط فانه قد يراد به الضرب الشديد وأما المسلمون فحيث لم يقصدوا أن الله جسم في السماء بعد منهم أن يطلبوا التقرب الحقيقي اليه بالتوسل فلا ينطبق عليهم حكم الآية

نعم ان الوهابية لما اعتقدت أن الله تعالى جسم استوى على عرشه في السماء لم تجد للتبرك الذي قصده المسلمون بتوسلهم معنى غير التقرب الذي يكون الى الاجسام ولذلك جعلت هذه الآية منطبقة عليهم

﴿ فالجواب ﴾ أن يقال قد كان من المعلوم أن مشركي الجاهلية لايعرفون من لفظ الجسم ما أحدثه هؤلاء المتأخرون من أنه مركب اما من المادة والصورة أو من الجواهر المنفردة أو ما تركب من أجزاء متفرقة ولاكانوا يعرفون ما أحدثه هؤلاء من لفظ الاعراض والاغراض والابعاض والحين والجهة وانما يعرف هذا عن ورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وأما العرب الذين نزل القرآن بلغتهم فان الجسم معناه في لغتهم البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسم سواه فلا يقال للهواء جسم لغة

ولا للنار ولا للماء واذا كان ذلك كذلك كان هذا المعنى منفياً عن الله تعالى عقلاً وسمعاً وكذلك ما يعني هؤلاء الملاحدة بالجسم أنه مركب إما من المادة والصورة والهيولي أو من الجواهر الفردة أو من الاجزاء المتفرقة — منفي عن الله تعالى باتفاق من أثبته ومن نفاه من العقلاء حتى في الممكنات. فاذا تمهد هذا فالكفار الجهال كانوا أصح عقولاً وأسلم فطراً من ورثة المتفلسفة والصابئين وأنباط فارس والروم فانهم كانوا يعلمون بفطرهم التي فطروا عليها أن الله الذي خلقهم وأوجدهم. فوق السماء كما قال صلى الله عليه وسلم لحصين الخزاعي « كم كنت تعبد ؟ » قال سبعة ستة في الارض وواحد في السماء قال « من كنت تعد لرغبتك ورهبتك ؟ » قال الذي في السماء . وكانوا اذا لجئوا الى الله ودعوه رفعوا أبصارهم وأيديهم الى السماء ومن أشعارهم قول أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم فاستحسنه وقال « آمن شعره وكفر قلبه » قال :

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سبق النا س وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا ما يناله بصر العـ ين ترى دونه الملائك صورا

وقول عبدالله بن رواحة رضي الله عنه حين قال :

شهدت بأن وعد الله حق وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

واذا كان العرب يعرفون بفطرهم ان الله فوق السماء ولا كانوا يعرفون ما أحدثه هؤلاء من لفظ الجسم على اصطلاحهم الحادث الملعون واختلافهم في ذلك كان تفريعاً باطلاً على تأصيل باطل مخترع ، وكان من المعلوم ان المشركين انما اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم انما هو بطلب القربة والمنزلة عند الله بشفاعة من يعبدونه والقربى هي المنزلة فكان من المعلوم انهم ما طلبوا منزلة مجازية لا حقيقة لها في الخارج .

قال البغوي رحمه الله في تفسير هذه الآية (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يعني الاصنام (ما نعبدهم) أي قالوا ما نعبدهم (إلا ليقربونا إلى الله زلفى)

وكذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس . قال قتادة : وذلك انهم كانوا إذا قيل لهم: من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والأرض ؟ قالوا الله ، فيقال لهم : فما معنى عبادتكم الاوثان؟ قالوا : ليقربونا الي الله زلفى . أي قربى وهو اسم أقيم مقام المصدر كأنه قال : الا ليقربونا الى الله تقريباً ويشفعوا لنا عند الله ، وبهذا يندفع توهم هذا العراقي ان التقرب بالمعنى المجازي لا على المعنى الحقيقي لانه لا يعتقد ان الله على عرشه بائن من خلقه ، فلذلك ظن ان المشركين كانوا يعتقدون ان الله في السماء على عرشه فوق خلقه ، واذا كان على عرشه فوق خلقه كان جسما ، وقد بينا فيما تقدم بطلان ماتوهمه من اللوازم التي أحدثوها ما أنزل الله بها من سلطان (ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)

واذا تبين لك ماقدمناه كان حكم الآية منطبقاً على هؤلاء المشركين الذي يزعم هذا الملحد انهم مسلمون ، وأيضاً فان هذا الملحد ومن نحا نحوه من المشركين حيث أنكروا التقرب الحقيقي فمرادهم أنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله ولا يشار اليه بالاصابع الى فوق إشارة حسية كما أشار اليه أعلم الخلق به ولا ينزل منه شيء ولا يصعد اليه شيء ولا تعرج الملائكة والروح اليه ولا رفع المسيح اليه ولا عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم اليه حقيقة ولا يتقرب اليه بشيء ولا يقرب منه أحد لأنه يلزم على هذا عندهم أن يكون جسما وقد علم بالاضطرار أن الله لا سمي له ولا كفو له ولا مثل له فانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فلا ننفي عن الله ما أثبته لنفسه لتسمية الملاحدة أعداء الله ورسوله للموصوف بها جسما وهؤلاء الضلال قد جمعوا بين الشرك في الآلهية وبين تعطيل الرب عن صفات كماله ونعوت جلاله فكان المشركون الاولون أخف شركا منهم لانهم ما أنكروا علو الله على عرشه ولا عطلوه من صفات كماله

فصل

﴿ قال الملحد ﴾ ويجدر بنا أن نبين هنا أنواع الشرك فنقول منها ما يقال له شرك الاستقلال وهو إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس ومنها شرك التبعيض وهو تركيب الاله من عدة آلهة كشرك النصارى ومنها شرك التقريب وهو عبادة غير الله تعالى ليقرب الى الله زلفى كشرك الجاهلية والشرك الذي جعلته الوهابية أصلا لشرك المستغيث والمتوسل وبنت عليه قاعدتها هو شرك التقريب الذي دانت به الجاهلية

﴿ والجواب ﴾ أن نقول هذا التقسيم بهذا اللفظ لم أجده في شيء من كتب أهل الاسلام الذين هم الأسوة وبهم القدوة ولم ينسبه الى عالم من علماء الاسلام وانما هو تنويع عراقي وفيه من التقصير والقصور مالا يخفى واذا كان هذا مبلغ علمه ومحصول ما لديه تعين ان نذكر من أقوال أهل العلم ما يبين تخليط هذا العراقي وتخبيطه حيث اعتقد إنما يفعله المشركون في هذه الازمان ليس من الشرك فنقول اعلم أن ضد التوحيد الشرك وهو ثلاثة أنواع شرك أكبر وشرك أصغر وشرك خفي والدليل على الشرك الا كبر قوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً) وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) وهو أربعة أنواع شرك الدعوة والدليل على ذلك قوله تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) النوع الثاني شرك النية والأرادة والقصد والدليل قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) النوع الثالث شرك الطاعة والدليل قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا

إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية لادعاؤهم اياهم كما فسرها النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لما سأله قال لسنا نعبدهم فذكر أن عبادتهم طاعتهم في المعصية[١]

النوع الرابع شرك المحبة والدليل قوله تعالى (ومن الناس من يتخذمن دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله)

﴿ وأما النوع الثاني ﴾ فهو الشرك الاصغر وهو الرياء والدليل قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاصالحاًولا يشرك بعبادة ربه أحداً)وهو أنواع

﴿ والنوع الثالث ﴾ الشرك الخفي والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « الشرك في هذه الامة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل » وكفارته قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم اني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم »

﴿ وقال ابن القيم ﴾ رحمه الله تعالى الشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله وشرك في عبادته ومعاملته وان كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لاشريك له في ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله والشرك الاول نوعان أحدهما شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال وما رب العالمين؟ وقال تعالى مخبرا عنه انه قال(وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الاسباب * أسباب السموات فأطلع الى إله موسى واني لأظنه كاذباً) فالشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لايستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته ولكن عطل حق التوحيد

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ومن هذا الشرك شرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق ولا

(١) نص الحديث طاعتهم فيما يحلونه وما يحرمونه عليهم .

ها هنا شيئان بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه، ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته وانه لم يكن معدوماً أصلا بل لم يزل ولن يزال. والحوادث بأسرها مستندة عندهم الى أسباب ووسائط اقتضت ايجادها يسمونها العقول والنفوس. ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله من غلاة الجهمية والقرامطة فلم يثبتوا له اسما ولا صفة بل جعلوا المخلوق أكمل منه إذ كمال الذات باسمائها وصفاتها .

فصل

(النوع الثاني) شرك من جعل معه الها آخر ، ولم يعطل أسماءه وربوبيته كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة فجعلوا المسيح إلها وأمه إلهاً ، ومن هذا شرك المجوس القائلين باسناد حوادث الخير إلى النور ، وحوادث الشر الى الظلمة ، قلت فانظر إلى كلام شمس الدين بن القيم والى كلام هذا الملحد حيث قال : منها شرك الاستقلال وهو اثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس ومنها شرك التبعيض وهو تركيب الاله من عدة الهة كشرك النصارى وبهذا تعرف أنه ما عرف أنواع الشرك ولا اقسامه

ثم قال ابن القيم ومن هذا شرك القدرية القائلين بان الحيوان هو الذي يخلق أفعال نفسه وانها تحدث بدون مشيئة الله وتقديره وارادته ولهذا كانوا من اشباه المجوس ، ومن هذا شرك الذي حاج ابراهيم في ربه (إذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت ، قال أنا أحيي وأميت) فهذا جعل نفسه مثلا لله يحيي ويميت بزعمه كما يحيي الله ويميت ، فألزمه ابراهيم عليه السلام ورحمة الله وبركاته ، أن طرد قولك أن تقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها ، وليس هذا انتقالا كما زعمه بعض أهل الجدل بل الزاما على طرد الدليل ان كان حقا ، ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها أربابا مدبرة لأمر هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم ، ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم ، ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده هو الالهة على الحقيقة ومنهم من يزعم

أنه اكثر الآلهة ومنهم من يزعم أنه إله من جملة الآلهة ، وأنه إذا خصه بعبادته والتبتل اليه والانقطاع اليه اقبل عليه واعتنى به ، ومنهم من يزعم أن معبوده الادنى يقربه إلى المعبود الذي فوقه والفوقاني يقربه الى من فوقه حتى تقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه ، فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل

ثم ذكر الشرك في العبادة وأنواعه ، وهو الشرك الخفي ، وذكر أن منه ماينقسم الى كبير واكبر وليس منه شيء مغفور ، كالشرك بالله في المحبة .

ثم ذكر الشرك بالله سبحانه في الاقوال والافعال والارادات والنيات وان منه ماهو اكبر وأصغر ، تركنا ذكر ذلك طلبا للاختصار فمن أراد الوقوف عليه فهو في الجواب الكافي والدواء الشافي ، وبما ذكرناه يتبين لكل منصف أن هذا العراقي مزجى البضاعة من العلوم النبوية والعقائد السلفية ، وأنه لادراية له ولا روية

وحيث إنه ماعرف من الشرك إلا ماذكره من هذه الأنواع التي خبط فيها خبط عشواء صار ماعداها عنده ليس من الشرك ، وإن ما عداها من الأمور الشركية - المخرجة من الملة التي هي أعظم وأدهى - لاتخرج من الملة لكونه قد تلبس بها وتضمخ بوضرها ، فلذلك كان يسمى أهلها هم المسلمون عنده

فمن تلك الامور التي ماذكرها ولاعرف أنها من الكفر المخرج من الملة الشرك الذي يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله كتعطيله سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وافعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ، ومنها الشرك بالله في المحبة والتعظيم بان يحب مخلوقا كما يحب الله ، فهذا من الشرك الاكبر الذي لايغفره الله وغير ذلك من الأمور الشركية التي تقدم ذكرها ، فاذا عرفت ذلك تبين لك ضلال هؤلاء الملاحدة الذين أشربت قلوبهم عداوة أهل التوحيد ولقبوهم بالالقاب الشنيعة ورموهم بالعظائم التي لاترام ولا تطاق وحسبنا الله ونعم الوكيل

فصل

(قال العراقي) والأمر الذي حمل الجاهلية على شركها هذا هو تسويل الشيطان لها أن عبادة غير الله تعالى على ماهي عليه من غاية الضعف والعجز وتركها التقرب اليه بعبارة من هو أعلى منها عنده وأشرف وأقوى ، كنحو الملائكة انما هو سوء أدب ، ولكن لما رأت غيبة من عبدته عنها دائما أو بعض الأوقات صنعت الأصنام امثلة لما غاب عنها من معبوداتها فعبدتها اه

والجواب : أن نقول ليس الأمر كما زعمت ، ولا ماالیه ذهبت ، وانما الامر الذى حمل الجاهلية على شركها هو الغلو في الصالحين كما قال تعالى (ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم) الآية ، والغلو هو الافراط في التعظيم بالقول والاعتقاد ، أي لاترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله فتنزلوه المنزلة التي لاتنبغي الا لله

والخطاب وان كان لأهل الكتاب فانه عام يتناول جميع الأمة تحذيراً لهم أن يفعلوا بنبيهم صلى الله عليه وسلم فعل النصارى في عيسى واليهود في العزير كما قال تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولا سواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد ، اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبا ، وأمايعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع . (هذه) أسماء رجال صالحين في قوم نوح ، فلماهلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون اليها أنصابا وسموها باسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت

قال ابن جرير رحمه الله حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن

موسى بن محمد بن قيس أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بني آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم: لو صورنا صورهم كان أشوق لنا الى العبادة فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم انتهى

. فالشيطان هو الذي زين لهم عبادة الأصنام وأمرهم بها فصار هو معبودهم في الحقيقة كما قال تعالى (ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون) وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك وان كان القصد بها حسنا فان الشيطان أدخل اولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين والافراط في محبتهم كما قد وقع مثل ذلك في هذه الامة أظهر لهم الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله ، وفي رواية أنهم قالوا ماعظم أولنا هؤلاء الاوهم يرجون شفاعتهم عند الله أي يرجون شفاعة أولئك الصالحين الذين صوروا تلك الاصنام على صورهم وسموها باسمائهم ومن هنا يعلم أن اتخاذ الشفعاء ورجاء شفاعتهم بطلبها منهم شرك بالله قال ابن القيم رحمه الله وما زال الشيطان يوحي الى عباد القبور ويلقي ان البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الانبياء والصالحين وأن الدعا عندها مستجاب ثم ينقلهم من هذه المرتبة الى الدعاء بها والاقسام على الله بها فان شاء الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسئل باحد من خلقه :

فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله واتخاذ قبره وثنا تعلق عليه القناديل والستور ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج اليه ويذبح عنده ، فاذا تقرر هذا عندهم نقلهم منه الى دعاء الناس الى عبادته واتخاذه عيداً ومنسكا ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم وكل هذا مما قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من تجريد التوحيد وأن لا يعبد الا الله

فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل

الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم ، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر ، وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام وكثير ممن ينتسب الى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم ووالوا أهل الشرك وعظموهم وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله ، ويأبي الله (وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون) انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى

فاذا عرفت ماتقدم من ان سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين لا كما يزعمه هذا الضال تبين لك ان حال مشركي الجاهلية منطبق على حال هؤلاء المشركين في هذه الازمان والواقع شاهد بذلك كما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى

ثم قال العراقي : اذا تحققت هذا اتضح لك أن حال مشركي الجاهلية لا ينطبق بوجه من الوجوه على المسلمين المتوسلين إلى الله بالأنبياء الصالحين

فأقول قد تقدم جواب هذا

(وقوله) فأولئك اتخذوا الاصنام آلهة والاله معناه المستحق للعبادة فهم اعتقدوا استحقاق الاصنام للعبادة ، واعتقدوا أولا انها تضر وتنفع فعبدوها

فأقول : أن أولئك اتخذوا الاصنام والملائكة والانبياء والاولياء والصالحين آلهة يعبدونها من دون الله ، والاله معناه الذي تألهه القلوب بالمحبة والخضوع والخوف والرجاء ، وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة والتوكل والاستغاثة والدعاء والذبح والنذر والسجود وجميع أنواع العبادة الباطنة والظاهرة ، فهو إله بمعنى مألوه أي معبود ، واجمع أهل اللغة أن هذا معنى الاله قال الجوهري أله بالفتح إلاهة أي عبد عبادة ، قال : ومنه قولنا الله وأصله إلاه على فعال بمعنى مفعول لانه مألوه بمعنى معبود كقولنا امام فعال بمعنى مفعول لانه مؤتم به . قال : والتأليه التعبيد ، والتأله التنسك والتعبد . قال روبة

سبحن واسترجعن من تأله * انتهى . وقال في القاموس : أله ، إلهة ، وألوهة عبد

عبادة ومنه لفظ الجلالة واختلف فيه على عشرين قولا يعنى في لفظ الجلالة . قال: وأصله إآه بمعنى مألوه ، وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه. قال : والتأله التنسك والتعبد انتهى . وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الاله بانه المعبود ، فاذا كان هـذا هو معنى الاله في اللغة والشرع فهو المستحق للعبادة المتقدم ذكرها دون من سواه ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك ذلك الغير في عبادة الله . وأما كون المشركين اعتقدوا أن آلهتهم تنفع وتضر فغير مسلم ، فانهم قد اعترفوا أن الله هو النافع الضار ،وأنه المستحق للعبادة ، ولكنهم ماأرادوا ممن عبدوه إلا الجاه والشفاعة وليقربوهم إلى الله زلفى كما هو قول المشركين في هذه الازمان سواء بسواء . وقد قال صلى الله عليه وسلم « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو كان فيهم من أتى أمه علانية لكان في هذه الامة من يفعله » وفي لفظ « حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فمن »؟

(وقوله) فاعتقادهم هذا وعبادتهم اياها أوقعتهم في الشرك ، فلما أقيمت عليهم الحجة بانها لاتملك نفعاً ولا ضراً (قالوا مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى)

فأقول : لما أقام الله عليهم الحجة باقرارهم أن الله هو المحيي المميت المدبر لجميع الامور ، وأن الله هو النافع الضار ، وأن آلهتهم لاتملك لهم نفعاً ولا ضراً ، ولا حياة ، ولا نشوراً واعترفوا بذلك ، قال الله تعالى (افلا تتقون) أي تتقون الشرك في العبادة ، فان الفاعل لهذه الاشياء هو الذي يستحق العبادة دون من سواه ، فقول الكفار (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) كقول مشركي هذه الازمان لسنا نعبد الا الله [1] ولكن ماقصدنا بزيارة قبورهم الا التوسل بهم

---

(١) هذا خلاف منطوق الآية فهي مصرحة عنهم بأنهم يعبدونهم لكن لا لذواتهم وقدرتهم على النفع والضر بل ليقربوهم الى الله ويشفعوا لهم عنده ، وهذا التوسل الذي يقوله عباد القبور ولكنه يسمى في اللغة عبادة فجرى على هذه التسمية مشركو الجاهلية لان اللغة فطرية لهم وأنكرها الآخرون لما تقدم بيانه في تعليق آخر. وكتبه محمد رشيد رضا

الى الله تعالى والتبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم

وقوله : فكيف يجوز للوهابية أن يجعل المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين

فأقول : ماجعلت الوهابية المؤمنين الموحدين مثل المشركين ، وانما جعلت من فعل فعل المشركين مشركا لكونه حذا حذو أولئك في صرف خاص حق الله تعالى ، ويزعم أنه ماأراد الا الجاه والشفاعة منهم لانهم مقربون عند الله .

(وقوله) اذ لاشك أن المشركين انما كفروا بسبب عبادتهم تماثيل الانبياء والملائكة والاولياء التي صوروها على صورهم ، وسجدوا لها وذبحوا ، وسبب اعتقادهم في الملائكة والانبياء والاولياء أنهم آلهة مع الله يضرون وينفعون بذواتهم

فأقول : وهؤلاء المشركون في هذه الازمان انما كفروا بسبب غلوهم في الانبياء والاولياء والصالحين ، والعكوف على قبورهم ، واستغاثتهم بهم ، والالتجاء اليهم ، ودعائهم ، والذبح لهم ، والنذر لهم ، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي يفعلونها في هذه الازمان عند ضرائح الاولياء والصالحين ، فان من صرف من هذه العبادة شيئا لغير الله كان مشركا ، وإن اعتقد أن من يدعوه ويستغيث به ، ويرجوه ، ويذبح له ، ويلجأ اليه ، ويعلق آماله به ، لا يضر ولا ينفع وأنه ليس إلها ، ولا يستحق العبادة

وقوله : ولذلك احتج الله تعالى على ابطال قولهم وضرب الامثال للرد على معتقدهم في كثير من الآيات بأن الاله المستحق للعبادة يجب أن يكون قادراً على كشف الضر وايصال النفع لمن عبده ، وبأن ماعبدوه من جملة المحدثات المنافية للربوبية

(فأقول وهذا هو الحق) ولكنه مع كونه منافياً للربوبية فهو مناف للألوهية فكيف اذا عرفت أن هذا مناف للربوبية لأي شيء صرفك عن كونه منافيا لتوحيد الالهية لأن توحيد الربوبية هو الاقرار والاعتراف بان الله هو الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المدبر لجميع الامور ، وأنه النافع الضار ، وأنه رب كل شيء ومليكه ، وأنه المتفرد بالايجاد والاعدام إلى غير ذلك من أفعال الرب . وأما توحيد الالهية فهو أن يوحد العبد ربه بأفعاله الصادرة منه كالدعاء ، والخوف

والرجاء ، والحب والتعظيم ، والاستغاثة والاستعاذة والاستعانة ، والتوكل والذبح والنذر والرغبة ، والرهبة والخضوع ، والخشوع والالتجاء ، وغير ذلك من أنواع العبادة التي صرفها المشركون الاولون والاخرون لغير الله

(واما قوله) وأما المستغيث والمتوسل فهو براء من هذه العبادة وهذا الاعتقاد

فأقول : المستغيث والمتوسل على لغة هؤلاء المشركين ليس هو بريئاً من هذه العبادة وهذا الاعتقاد لان الاستغاثة هي طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار طلب النصر ، والاستعانة طلب العون ، قاله شيخ الاسلام ابن تيمية ومن المعلوم بالضرورة أن الله تعالى هو الذي يزيل الشدات ، ويغيث اللهفات ويفرج الكربات ، فمن زعم أن الاستغاثة ليست من العبادات فهو مكابر للحسيات، مباهت في الضروريات [1] وفي الدعاء المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في دعائه « اللهم أنت المستعان ، وبك المستغاث ، واليك المشتكى » الحديث . ودعاء المسلمين ياغياث المستغيثين ، وقد قال تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) فعدم ادخالها في جملة العبادة هو التحكم والمكابرة من غير دليل عقلي ، ولا نص شرعي.

وقوله : إذ الآيات التي استدلت بها الوهابية انما نزلت جميعاً في الكفار الذين عبدوا غير الله وإن قصدوا بعبادتهم ذلك الغير التقرب اليه تعالى ، وفي الذين اعتقدوا أن مع الله الها آخر ، وأن له ولداً وزوجة ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً

(فأقول)قد تقدم الجواب عن هذا وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

---

(١) الاستعانة والاستغاثة قسمان الاول عادي وهو ماكان في دائرة الاسباب وهو طلب العون والمساعدة على رفع حمل أو وضعه مثلا ومنه (وتعاونوا على البر والتقوى) وطلب الغوث للانقاذ من سبع أو عدو ومنه (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) والثاني ما كان فيما وراء الاسباب مما لا يقدر عليه إلا الله ولا يطلب من غيره كتسخير القلوب وشفاء الامراض بغير التداوي والنصر على الاعداء بغير المساعدة في الحرب والانقاذ من النار والادخال في الجنة ـ فكل هذا خاص بالله تعالى كغيره من أنواع الدعاء وهو عبادة يشرك بالله من وجهها لغيره . وكتبه محمد رشيد

(وقوله) وليس في الآيات النازلة في الكفار دلالة على كون الاستغاثة بنبي أو ولي مع الايمان بالله تعالى هي عبادة لغير الله

فأقول : بل فيها الدلالة الواضحة على أن من صرف لغير الله شيئاً من العبادة التي لا يستحقها إلا الله فهو مشرك ، فان صرفها لغير الله مناف للايمان بالله تعالى [١]

فصل

ثم قال العراقي : قالت الوهابية إن الاستغاثة من نوع الدعاء ، وقد ورد في الحديث أن الدعاء هو العبادة ، فالذي يستغيث بنبي أو ولي فهو انما يعبده بتلك الاستغاثة ، وحيث إن العبادة لا تصلح إلا لله وحده ، وإن عبادة غيره شرك كان المستغيث به مشركا

ثم قال : فالجواب على هذا أن ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر كما ذكره صاحب المفتاح وعليه الجمهور ، فقولنا الله هو الرزاق مثلا معناه لا رازق سواه وعلى هذا فقوله عليه الصلاة والسلام « الدعاء هو العبادة » دال على أن العبادة مقصورة على الدعاء فيكون المراد من الحديث أن العبادة ليست غير الدعاء ويؤيده قوله تعالى (قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم) أي ما يصنع بكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان بعبادته ، وكرامته بمعرفته وطاعته والا فلا فضل له على البهائم ، والحج والصلاة والزكاة والصيام والشهادة كلها دعاء وكذلك التلاوة والأذكار والطاعة فانحصرت العبادة في الدعاء اذا تقرر هذا فلا حجة في الحديث إذ على تقدير كون الاستغاثة من نوع الدعاء كما قالته الوهابية لا يلزم ان تكون عبادة لما أن الدعاء قد لا يكون عبادة كما هو ظاهر . الى آخر كلامه

والجواب أن نقول الاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون كما تقدم ذكره عن شيخ الاسلام رحمه الله

(١) يعني للايمان الصحيح المنجي في الآخرة لا لأصل الايمان بوجود الله وربوبيته فان الله يقول (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وكتبه محمد رشيد رضا

وقال غيره : الفرق بين الاستغاثة والدعاء أن الاستغاثة لاتكون الا من المكروب والدعاء أعم من الاستغاثة لانه يكون من المكروب وغير المكروب فعطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاصّ فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة وينفرد الدعاء عنها في مادة فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة فاذا تبين لك أن بينهما عموما وخصوصا مطلقا وان كل استغاثة دعاء وقد علمت ان الدعاء هو العبادة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أن الدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسئلة ويراد به في القرآن هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما فدعاء المسئلة هو طلب ماينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر ولهذا أنكر الله على من يدعو أحداً من دونه ممن لايملك ضراً ولا نفعا كقوله تعالى (قل أتعبدون من دون مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم وقوله (قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله) الآيات وقال (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذاً من الظالمين) قال شيخ الاسلام رحمه الله فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسئلة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة قال الله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية أنه لايحب المعتدين) وقال تعالى (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ؟ * بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه إن شاء الله وتنسون ماتشركون) وقال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (له دعوة الحق) الآية وأمثال هذا في القرآن في دعاء المسألة اكثر من أن يحصر ، وهو يتضمن دعاء العبادة لأن السائل اخلص سؤاله لله وذلك من أفضل العبادات ، وكذلك الذاكر لله والتالي لكتابه ونحوه طالب من الله في المعنى فيكون داعياً عابداً . فتبين بهذا من قول شيخ الاسلام أن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة

وقد قال تعالى عن خليله (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا اكون بدعاء ربي شقيا * فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) الآية فصار الدعاء من أنواع العبادة فان قوله (وادعو ربي عسى أن لا اكون بدعاء ربي

شقيا) كقول زكريا (رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقياً) وقد أمر الله تعالى به في مواضع من كتابه كقوله (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) إلى قوله (وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين) وهذا هو دعاء المسألة المتضمن للعبادة فان الداعي يرغب إلى المدعو ويخضع له ويتذلل ، وضابط هذا أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به ففعله لله عبادة فاذا صرف من تلك العبادة شيئا لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله (قل الله أعبد مخلصاً له ديني)

فاذا ثبت أن الاستغاثة من أنواع الدعاء وأن كل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة وتقرر أن الدعاء نوعان دعاء مسألة ودعاء عبادة وأن كل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة ، تبين لك أن الاستغاثة من أنواع العبادة ، وكيف لا تكون من أنواع العبادة وقد قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) وقوله صلى الله عليه وسلم في الدعاء المشهور « اللهم أنت المستعان وبك المستغاث واليك المشتكى » الحديث وقول المسلمين ياغياث المستغيثين فان لم يكن هذا من العبادة فلا ندري ما العبادة ، ولا ما دعاء المسألة المتضمن لدعاء العبادة ، وقد قال شيخ الاسلام رحمه الله : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة [1] فاذا تمهد هذا واتضح فقول

« ١ » هذا تعريف للعبادة الشرعية بأنواعها . وأما العبادة المطلقة فكل قول أو فعل يوجه مع التعظيم إلى من يعتقد أن له سلطة غيبية وراء الاسباب المشتركة بين الخلق يقدر بها أن ينفع أو يضر بذاته وهو الرب أو بتأثيره وجاهه بحمل الرب على ما يريد منه كاعتقاد المشركين فيمن عبدوهم ودعوهم مع الله ليقربوهم منه ويشفعوا لهم عنده . فعبادة هؤلاء فاسدة تغضب الله تعالى . والدعاء قسمان كما قلنا في الاستعانة والاستغاثة دعاء عادة وهو الطلب المطلق والنداء كمن يدعو آخر لعمل عادي أو طعام ومنه قوله تعالى (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) وقوله (ان أبي يدعوك ليجزيك) الخ . وحديث مسلم « من دعي الى عرس فليجب » - ودعاء عبادة وهو ما يطلب ممن يعتقد أن له سلطة وراء الاسباب كما تقدم أن يعطيه أمراً من غير طريق الاسباب أو يسهل له ما لا يقدر عليه منها بذاته أو بتأثيره عند الرب تعالى . وأما حديث « الدعاء هو العبادة » فهو كحديث « الحج عرفة » فالقصر فيه اضافي لا حقيقي . وكتبه محمد رشيد

هذا الملحد ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند عليه وكذا تعريف الخبر كما ذكره صاحب المفتاح وعليه الجمهور فقولنا : الله هو الرزاق مثلا معناه لارازق الخ سواه ، فيقال لهذا الملحد نعم اذا كان الحصر أو القصر حقيقياً فانه من المعلوم انه اذا قلنا الله هو الرزاق فمعناه حقيقة لارازق سواه ، وعلى هذا فقوله عليه السلام « الدعاء هو العبادة » دال على أن العبادة مقصورة على الدعاء فيكون المراد من الحديث أن العبادة ليست غير الدعاء الخ .

(فنقول) ليس الأمر كما توهمت وانما الحصر والقصر في هذا الحديث الدعائي كما يستفاد من ضمير الفصل المقحم بين المبتدإ والخبر والحصر وان كان ادعائيا فهو يدل على أن الدعاء هو معظم العبادة ومخها وخالصها وأجلها وأشرفها ومثل هذا الحديث الحديث الذي رواه أبو داود في سننه والامام أحمد في المسند من حديث ابن بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين » - وفي رواية المسلمين - فاذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء عراض الوجوه صغار الأعين حتى ينزلوا على شط النهر فيفترق أهلها ثلاث فرق فرقة يأخذون أذناب البقر والبرية وهلكوا ، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا ، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلونهم وأولئك هم الشهداء » فاخبر في هذا الحديث أن أولئك هم الشهداء وأنهم مخصوصون بالشهادة دون سائر الشهداء كما يستفاد من الجملة الاسمية المعرفة الطرفين ومن ضمير الفصل المقحم بين المبتدإ والخبر ، والحصر وإن كان ادعائياً فهو يدل على شرف الصنف وفضيلته انتهى

وكذلك قوله تعالى في المنافقين (هم العدو فاحذرهم) فهذا يدل على شدة عداوتهم من بين سائر الكفار لا على أنه لاعدو سواهم وكذلك قوله (أولئك هم الكاذبون - أولئك هم الظالمون) وهذا بين بحمد الله لاخفاء به ، مع أنه ورد في حديث آخر «الدعاء مخ العبادة» من حديث أنس ، مع أن الحصر أو القصر في قوله صلى الله عليه وسلم « الدعاء هو العبادة » كما قال بعض شراح الحديث أن حصر أحد الجزئين في الاخر يفيدان الدعاء لبها وخالصها وركنها الاعظم وبحديث

أنس « الدعاء مخ العبادة » يظهر معنى القصر في حديث النعمان المتقدم فاندفع الاشكال عما ذكره العراقي

﴿ وأما قوله ﴾ اذا تقرر هذا فلا حجة في الحديث إذ على تقدير كون الاستغاثة من نوع الدعاء كما قالته الوهابية لا يلزم أن تكون عبادة لما ان الدعاء قد لا يكون عبادة كما هو الظاهر .

﴿ فالجواب ﴾ أنا قد بينا فيما تقدم ما يبطل دعواه الكاذبة الخاطئة وبينا ان العبادة ليست منحصرة في الدعاء بل الدعاء من انواع العبادة والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والافعال الظاهرة والباطنة فالدعاء هو مخ العبادة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستغاثة من اخص انواع العبادة واشرفها إذ هي دعاء مسألة متضمنة لدعاء العبادة فاذا تبين لك ماذكرناه فالدعاء الذي جاء في قوله (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) وفي قوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) وما اشبه ذلك مما هو بمعنى النداء المجرد عن معنى العبادة إذ الدعاء كونه في الاصل بمعنى النداء والطلب مما لا مرية فيه كما قال الراغب الدعاء والنداء واحد لكن قد يتجرد النداء عن الاسم والدعاء لا يكاد يتجرد فلا يدخل في دعاء العبادة المستلزم لدعاء المسألة كما انه يدخل في دعاء المسألة المتضمنة للعبادة وهذا لا يروج الا على طغام العراق الذين هم كالانباط او البربر او الزنج الذين لا معرفة لهم بلغات العرب فالوهابية لا يقولون أن كل مطلق دعاء يكون عبادة فادخال هذا في معنى العبادة ترويج وتلبيس وسفسطه وهذه البضاعة لا تروج علينا ولا تنفق لدينا

﴿ واما قوله ﴾ ولا يقال للطالب من غيره تعالى دعاء فهذا ممنوع فان من طلب من غير الله جلب منفعة او دفع مضرة يكون داعياً طالباً سائلا منه وقد ذكر الرازي تحت قوله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين) ما يقتضي ان المراد بالدعاء في هذه الآية طلب المنفعة والمضرة ونصه هكذا يعني لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين الى آخر كلامه وقال الشيخ صنع الله الحلبي وامام الاستغاثة بالقوة

والتأثير او في الامور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله ألا يطلب فيها غيره انتهى فالطلب سؤال والسؤال فى معنى الدعاء(١)

فصل

قال العراقى التوسل وادلة جوازه قبل الخوض في المطلب نبين لك أن المراد من الاستغاثة بالانبياء والصالحين والتوسل بهم هو أنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود وأن الله تعالى هو الفاعل كرامة لهم لا أنهم هم الفاعلون ، كما هو المعتقد الحق في سائر الأفعال فان السكين لايقطع بنفسه بل القاطع هو الله تعالى والسكين سبب عادي خلق الله تعالى القطع عنده

فالجواب : أن نقول وقبل الكلام على مايبطل دعواه لابد من مقدمة ينبني عليها الجواب ، فنقول قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، لفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة يراد به التسبب به لكونه داعيا وشافعاً مثلا أو لكون الداعي محبا له مطيعا لامره مقتديا به فيكون التسبب اما بمحبة السائل له واتباعه له واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا بشيء منه ولا بشيء من السائل بل بداته أو بمجرد الاقسام به على الله فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه وكذلك لفظ السؤال بالشيء قد يراد به المعنى الاول وهو التسبب به لكونه سبباً في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام واذا تبين لك هذا فاعلم أن معنى التوسل في لغة الصحابة رضي الله عنهم وعرفهم أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوسل والتوجه به في الحقيقة بدعائه وشفاعته ، وهذا لامحذور فيه ، بل هذا هو المشروع كما في حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار وهو

---

(١) التحقيق ماتقدم وهو التفرقة بين العادة والعبادة فالغريق إذا طلب الغوث والانقاذ من أناس بقربه لا تعد استغاثته عبادة لهم واذا طلب نجاته من غائب أو ميت لاعتقاده بقدرته على انقاذه بذاته أو بتأثيره في إرادة الله تعالى فهذه الاستغاثة عبادة حتما

حديث مشهور في الصحيحين فانهم توسلوا إلى الله بصالح الاعمال لان الاعمال الصالحة هي أعظم مايتوسل به العبد إلى الله تعالى ويتوجه به اليه ويسأله به لانه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) وهؤلاء دعوه بعبادته ، وفعل ما أمر به من العمل الصالح وسؤاله والتضرع اليه ، فمن جعل دعاء الاولياء والصالحين سببا لنيل المقصود كأن يطلب من الولي أو الصالح أن يدعو الله له لكونه مطيعاً لله محبا له ، فيشفع له عند الله بدعاء الله له فهذا حق ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون الى الله سبحانه برسوله فيدعو الله لهم ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وهو أنهم يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعوا لهم ويدعوا معه كالامام والمأمومين من غير ان يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ، كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق فاذا تحققت ذلك فاعلم أن التوسل في عرف أهل هذا الزمان واصطلاحهم هو دعاء الانبياء والاولياء والصالحين وصرف خالص حق الله تعالى لهم بجميع أنواع العبادات من الدعاء والخوف والرجاء والذبح والنذر والالتجاء اليهم والاستغاثة بهم والاستعانة والاستشفاع بهم وطلب الحوائج من الولائج في المهمات والملمات لكشف الكربات واغاثة اللهفات ، ومعافاة أولي العاهات والبليات ، إلى غير ذلك من الامور التي صرفها المشركون لغير فاطر الارض والسموات ، فمن صرف من هذه الانواع شيئا لغير الله كان مشركا وسيأتي الكلام على مسألة الاستغاثة

(وأما قوله) إنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود وإن الله تعالى هو الفاعل إلى آخره

فأقول : وهذا هو قول الجاهلية الكفار فانهم ماعبدوا الانبياء ، والاولياء والصالحين الا لكونهم أسبابا ووسائل لنيل المقصود والا فهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار وأنه المتفرد بالايجاد والاعدام ، وأن الله هو الخالق للاشياء ، وأن الله هو رب كل شيء ومليكه ، ولا يعتقدون أن آلهتهم التي يدعونها من

دون الله من الانبياء ، والاولياء ، والصالحين ، والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض ، أو استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ، فمن أثبت الوسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين عباد الاوثان . وقال شيخ الاسلام : الخامس أن يقال نحن لا ننازع في اثبات ما أثبته الله من الاسباب والحكم ، لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ، ودعاءه سبباً في الامور التي لا يقدر عليها إلا الله ، ومن الذي قال انك اذا استغثت بميت أو غائب من البشر كان أو غيره كان ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ، ومن الذي شرع ذلك وامر به ، ومن الذي فعل ذلك من الانبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان . فان هذا المقام يحتاج إلى مقدمتين : أحدهما أن هذه الاسباب مشروعة لا يحرم فعلها ، فانه ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه ، فان المسافر قد يكون سفره سبباً لأخذ ماله وكلاهما محرم ، والدخول في دين النصارى قد يكون سبباً لمال يعطونه وهو محرم ، وشهادة الزور قد تكون سبباً لنيل المال يؤخذ من المشهود له وهو حرام ، وكثير من الفواحش والظلم قد يكون سبباً لنيل مطلب وهو محرم ، والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب وهو محرم ، وكذلك الشرك كدعوة الكواكب والشياطين ، بل وعبادة البشر قد يكون سبباً لبعض المطالب وهو محرم ، فان الله تعالى حرم من الاسباب ما كان مفسدته راجحة على مصلحته كالخمر ، وإن كان يحصل به بعض الاغراض أحياناً ، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وأمراً فانهم مطالبون بالأدلة الشرعية انتهى

(وأما قوله) وإن الله تعالي هو الفاعل كرامة لهم لا أنهم هم الفاعلون

فالجواب أن نقول : أولا ليس دعاء الانبياء والاولياء والصالحين والاستغاثة بهم في نيل المقصود سبباً شرعياً ، فان هذه من الاسباب المحرمة كما تقدم في كلام الشيخ

وثانياً لو سلمنا أن الكرامات سبب فمن أين يؤخذ انها سبب يقتضي دعاء من قامت به أو فعلت له ، ومن أي وجه دلت الكرامة على هذا ، وأفضل الناس

الرسل والملائكة من أفضل خلق الله ، ولهم من المعجزات والكرامات والمقامات ماليس لغيرهم ، فقد جاء عيسى بن مريم بما هو من أفضل المعجزات والكرامات يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيراً باذن الله ويبرىء الاكمه والابرص ويحي الموتى باذن الله وينبئهم من الغيب ما يأكلون ومايدخرون وقد أنكر الله تعالى على من قصده ودعاه في حاجاته وملماته وأخبر أن فاعل ذلك كافر به ، ضال بعبادة غيره ، قال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا. أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) والارباب هم المعبودون المدعون . وقال تعالى فيمن عبدوا المسيح (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعًا والله هو السميع العليم) فاخبر تعالى عن المسيح أنه لايملك لمن دعاه نفعاولا ضراً ، وان قل كما يفيده التنكير ، وابطل عبادته وأنكرها أشد الانكار ومعجزاته أوضح من الشمس في وسط النهار

(وأما قوله) فان السكين لايقطع بنفسه ، بل القاطع هو الله تعالى والسكين سبب عادي خلق الله تعالى القطع عنده

فالجواب أن يقال : هذا القول من أقوال أهل البدع والاهواء وليس هو من كلام أهل السنة والجماعة . قال شيخ الاسلام : وهؤلاء هم الاقترانية الذين يقولون إن الله يخلق عند السبب لابالسبب ومن نحا نحوهم من المتصوفة القائلين باسقاط الاسباب الظاهرة ، وذلك لأن عندهم ليس في الوجود شيء يكون سبباً لشيء أصلا ، ولا شيء جعل لشيء ، ولا يكون شيء لشيء فالشبع عندهم لايكون بالاكل ولا العلم الحاصل في القلب بالدليل ، ولا مايحصل للمتوكل من الرزق والنصر له سبب أصلا لافي نفسه ولا في نفس الامر ولا الطاعات عندهم سبب للثواب ولا المعاصي سبب للعقاب ، فليس للنجاة وسيلة ، بل محض الارادة الواحدة يصدر عنها كل حادث ، ويصدر مع الآخر مقترنا به اقترانا عاديا لأن أحدهما متعلق بالآخر أو سبب له ، أو حكمة له ، ولكن لأجل ماجرت به العادة من اقتران أحدهما بالآخر يجعل أحدهما امارة وعلماً ، ودليلا على الآخر بمعنى اذا وجد أحد المقترنين عادة كان الآخر موجوداً معه ، وليس العلم الحاصل في القلب

حاصلا بهذا الدليل ، بل هذا أيضاً من جملة الاقترانات العادية

وقال أيضاً بعد كلام سبق : وكذلك أيضاً لزمت من لا يثبت في المخلوقات أسبابا وقوى وطبائع ، ويقولون إن الله يفعل عندها لا بها ، فيلزم أن لا يكون فرق بين القادر والعاجز ، وإن أثبت قدرة وقال انها مقترنة بالكسب ، قيل له تثبت فرقا معقولا بين ماتثبته من الكسب وتنفيه من الفعل ، ولا بين القادر والعاجز إذ كان مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة ، فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه وارادته وغير ذلك من صفاته . فان لم يكن للقدرة تأثير إلا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ، وكذلك قول من قال : القدرة مؤثرة في صفة الفعل لا في أصله كما يقوله القاضي أبو بكر ومن وافقه ، فانه أثبت تأثيراً بدون خلق الرب فلزم أن يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله تعالى ، وإن جعل ذلك معلقاً بخلق الرب فلا فرق بين الاصل والصفة ، وأما أئمة السنة وجمهورهم فيقولون مادل عليه الشرع والعقل ، قال تعالى (فسقناه إلى بلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها) وقال تعالى (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وقال تعالى (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً) ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة يخبر الله تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب انتهى المقصود منه .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : وقالت طائفة أخرى أكيس من هؤلاء ، بل الدعاء علامة مجردة نصبها الله تعالى سبحانه امارة على قضاء الحاجة فمتى وقف العبد للدعاء كان ذلك علامة له وامارة على أن حاجته قد قضيت ، وهكذا كما إذا رأيت غيما أسود بارقا في زمن الشتاء ، فان ذلك دليل وعلامة على أنه يمطر قالوا وهكذا حكم الطاعات مع الثواب والكفر والمعاصي مع العقاب هي أمارات محضة لوقوع الثواب لا لأنها أسباب له ، وهكذا عندهم الكسر مع الانكسار ، والحرق مع الاحراق والازهاق مع القتل ليس شيء من ذلك سببا البتة ، ولا ارتباط بينه وبين مايترتب عليه إلا بمجرد الاقتران العادي لا التأثير السببي ، وخالفوا بذلك الحس والعقل والشرع والفطرة وسائر طوائف العقلاء ، بل أضحكوا عليهم

العقلاء . والصواب أن هنا قسما ثالثاً غير ماذكره السائل وهو أن هـذا المقدور قدر بأسباب ومن أسبابه الدعاء فلم يقدر مجرداً عن سببه ، ولكن قدر بسببه فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ، ومتى مالم يأت بالسبب انتفى المقدور وهذا كما قدر الشبع والري بالاكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه إلى أن قال : وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والاخرة ، وحصول الشر في الدنيا والآخرة في كتابه على الاعمال ترتيب الجزاء على الشرط ، والمعلول على العلة ، والمسبب على السبب ، وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع إلى آخر ماقال رحمه الله تعالى . والمقصود بيان ضلال هذا الملحد في قوله : والسكين سبب عادي خلق الله القطع عنده فاجتمع في هذا الملحد أنواع من الشر والضلال فأضاف الى كونه مشركا في عبادة الله غيره مذهب الجهمية النافين لعلو الله على خلقه ، ونفي صفات كماله ، ونعوت جلاله ، ومذهب المعتزلة والرافضة مع مذهب الجهمية في جحد رؤية الله تعالى في الاخرة . ومذهب الاقترانية في اسقاط الاسباب القائلين أن الله يخلق عند السبب لابالسبب ، ومراد هـذا الملحد أن دعاء الانبياء والاولياء والصالحين سبب عادي لنيل المقصود ، وقد تقدم من الادلة مايبين أن تعاطي هذا السبب محرم ، وأن دعاء الاموات والغائبين من الاولياء والصالحين والاستغاثة بهم فيما لايقدر عليه إلا الله شرك وأنه ليس بسبب شرعي

فصل

وأما قوله قال السبكي والقسطلاني في المواهب اللدنية والسمهودي في تاريخ المدينة وابن حجر في الجوهر المنظم أن الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام وبغيره من الانبياء والصالحين انما هي بمعنى التوسل بجاههم والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يجعل له الغوث ممن هو أعلى منه فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واسطة بين المستغيث وبين المستغاث به الحقيق فالغوث منه تعالى انما يكون خلقاً وإيجادا والغوث من النبي تسببا وكسبا

﴿ فالجواب ﴾ أن يقال وهكذا كان المشركون السابقون الذين بعث الله الرسول اليهم فانهم كانوا يعلمون أن الله تعالى هو الخالق الموجد وأما الأصنام فيقولون أنها أسباب ووسائل عادية فمن أجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويعبدونهم وهذا هو دأب عبدة الصالحين والقبور في هذا الزمان يدعونهم ويستغيثون بهم وينحرون لهم وينذرون لهم والدعاء والاستغاثة والنحر والنذر كلها من أقسام العبادة واذا جعلتم لفظ الدعاء والاستغاثة والنحر والنذر التي هي من أقسام العبادة على معناها المجازي فكذلك فليحمل لفظ العبادة الواقع في كلام المشركين الأولين الذي حكاه الله تعالى عنهم حيث قال سبحانه وتعالى (مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) فما وجه الفرق قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على ابن البكري في مسألة الاستغاثة وانه حرف الكلم عن مواضعه وتمسك بمتشابهه وترك المحكم كما يفعله النصارى وكما فعل هذا الضال يعني ابن البكري أخذ لفظ الاستغاثة وهي تنقسم الى الاستغاثة بالحي والميت والاستغاثة بالحي تكون فيما يقدر عليه فجعل حكم ذلك كله واحداً ولم يكفه حتى جعل السؤال بالشخص من مسمى الاستغاثة ولم يكفه ذلك حتى جعل الطالب منه انما طلب من الله لامنه فالمستغيث به مستغيث بالله ثم جعل الاستغاثة بكل ميت من نبي وصالح جائزة فدخل عليه الخطأ من وجوه منها انه جعل المتوسل به بعد موته في دعاء الله مستغاثاً به وهذا لايعرف في لغة أحد من الامم لاحقيقة ولا مجازا مع دعواه الاجماع على ذلك فان المستغاث هو المسؤل المطلوب منه لا المسؤل به ، الثاني ظنه أن توسل الصحابة في حياته فان توسلا بذاته صلى الله عليه وسلم لا بدعائه وشفاعته فيكون التوسل به بعد موته كذلك وهذا غلط ، الثالث انه أدرج السؤال أيضا في الاستغاثة به وهذا صحيح جائز في حياته وهو قد سوى في ذلك بين محياه ومماته وهذا أصاب في لفظ الاستغاثة لكن أخطأ في التسوية بين المحيا والممات وهذا ماعلمته ينقل عن عن أحد من العلماء لكنه موجود في بعض كلام الناس مثل الشيخ يحيى الصرصري في شعره قطعة منه والشيخ محمد ابن النعمان له كتاب المستغيثين بالنبي صلى الله

عليه وسلم في اليقظة والمنام وهؤلاء ليسوا من العلماء العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام ومعرفة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعي ولا نقل عن عالم مرضي بل عادة جروا عليها وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولهم فضل وعلم وزهد اذا نزل به أمر خطا الى الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به وهذا يفعله كثير من الناس ولهذا لما نبه من نبه من فضلائهم تنبهوا وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الاسلام بل مشابهة لعباد الاصنام انتهى

وقال في الرسالة السنية فاذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام لأسباب منها الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول ياسيدي فلان انصرني أو أغثني أو ارزقني أو أنا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله سبحانه وتعالى انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوه وحده لاشريك له ولا يدعى معه إله والذين يدعون مع الله الهة أخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات وانما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله سبحانه رسله تنهى عن أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ، ولا دعاء استغاثة انتهى

وقال أيضاً من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعا نقله عنه صاحب الفروع ، وصاحب الانصاف ، وصاحب الاقناع وغيرهم والمقصود أن شيخ الاسلام رحمه الله جعل الاستغاثة بغير الله من الشرك الاكبر المخرج من الملة .

وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي رحمه الله في رده على السبكي في قوله إن

المبالغة في تعظيمه -أي الرسول صلى الله عليه وسلم- واجبة ان أريد به المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيما حتى الحج إلى قبره ، والسجود له ، والطواف به ، واعتقاد أنه يعلم الغيب ، وانه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وأنه يقضي حوائج السائلين ، ويفرج كربات المكروبين ، وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء ، فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين اه .

(واما قوله) فالغوث منه تعالى انما يكون خلقاً وايجاداً والغوث من النبي صلى الله عليه وسلم انما يكون تسبباً وكسباً

فأقول : هكذا كانت مشركوا الجاهلية حذو النعل بالنعل كانوا يدعون الصالحين ، والانبياء ، والمرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال تعالى (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) على أن القول بأن اسناد الغوث الى الله تعالى اسناد حقيقي باعتبار الخلق والايجاد وإلى الانبياء والصالحين اسناد مجازي باعتبار التسبب والكسب بديهي البطلان ، بيانه من وجوه (الاول)أنه لو كان مناط الاسناد الحقيقي اعتبار الخلق ، والايجاد كما توهمه صاحب الرسالة لزم أن يكون اسناد أفعال العباد كلها إلى الله تعالى حقيقياً ، فان اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الخالق لافعال العباد هو الله تعالى ، وهذا يقتضي أن يتصف الله تعالى حقيقة بالايمان ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، وصلة الرحم ، وغير ذلك من الاعمال الحسنة ، وكذلك يتصف حقيقة بالاعمال السيئة من الكفر ، والشرك ، والفسق ، والفجور ، والزنا ، والكذب والسرقة ، والعقوق ، وقتل النفس ، وأكل الربا وغيرها ! فانه تعالى هو الخالق لجميع الافعال حسنها وسيئها ، والتزام هذا فعل من لاعقل له ولا دين ، فانه يستلزم اتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث ، واجتماع الاوصاف المتضادة ، بل المتناقضة .

وقد قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه

في كتاب الاستغاثة في الرد على ابن البكري لما استدل بقوله تعالى (ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى) على مالفقه من أضاليله وما موه به من أباطيله وأساجيله قال في أثناء جوابه على ماشبه به ابن البكري وعما يبين ذلك « إن أفعال العباد لايجوز أن تنفي عنهم باتفاق المسلمين من قال ان الله خالقها ومن قال انه لم يخلقها لايجوز أن يقال هذاما أكل ولاشرب ولا قعد ولا ركب ولا طاف ولا ركع ولا سجد ولا صام ولا سعى ولكن الله هو الذي أكل وشرب، وقعد، وركب، وطاف، وركع، وسجد، وصام، وسعى. وسواء كانت أفعالا محمودة أو مذمومة، وسواء كانت سبباً لخرق العادة أم لا، فلا يقال إن موسى ماضرب بعصاه البحر ولا الحجر ولكن الله ضرب، ولا يقال إن نوحا ماركب في السفينة ولكن الله ركب، ولا يقال إن المسيح ماارتفع بل الله ارتفع ولا يقال إن محمداً صلى الله عليه وسلم ماركب البراق بل الله ركب وأمثال هذا. والفعل المختص بالمخلوق لايضاف إلى الله الا على بيان أن الله خلقه وجعل صاحبه فاعلا كقول الخليل عليه السلام (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) وكما قال (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وقال تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون إلي النار) ولا يقال إن الله يقيم الصلاة ويدعو إلي النار، ولا أنه قد أسلم، وقال تعالى (إن الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا، واذا مسه الخير منوعا) ولا يوصف الله بالهلع والجزع، وجماع الامر أن الله لايوصف بمخلوقاته، وهذه هي أدلة السلف وأهل السنة على أن كلام الله ليس مخلوقا قالوا: لأنه سبحانه لايوصف بما خلقه في غيره، فاذا خلق في غيره حركة، أوطعما، أو ريحاً، أو لوناً كالسواد والبياض لم يوصف بأنه هو المتحرك بها، ولا بأنه متروح أو أبيض، أو أسود. واذا خلق في غيره سمعا، أو بصراً، أو حياة، أوقدرة لم يوصف بذلك. واذا خلق في غيره كلاما لم يوصف بأنه هو المتكلم به، يعبرون عن ذلك بأن الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل ولم يعد على غيره واشتق لذلك المحل منه اسم ولم يشتق لغيره، فاذا خلق في محل حركة، أو علماً أو قدرة كان ذلك المحل هو المتحرك العالم القادر لا الخالق لتلك الصفة فيه انتهى

(والثاني) أنه لو كان مناط الاسناد المجازي اعتبار التسبب والكسب كما زعم هذا الزاعم لزمه أن لا يكون الانسان حقيقة مؤمناً ، ولا كافراً ولا براً ، ولا فاجراً ، ولا كاذبا فيبطل الجزاء والحساب ، وتلغو الشرائع والجنة والنار ، وهذا لايقول به أحد من المسلمين (والثالث) أن دعوى كون الانبياء والصالحين سبباً للغوث وكسباً له ، محتاج إلى اقامة الدليل ، ودونه لاتسمع ، وبالجملة فهذه شبهة داحضة ، ووسوسة زاهقة ، تنادي بأعلى نداء على صاحبها بالجهل والسفه.

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وقد علم بصريح المعقول أن الله تعالى اذا خلق صفة في محل كانت صفة لذلك المحل ، فاذا خلق حركة في محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها ، واذا خلق لوناً أو ريحاً في جسم كان هو المتلون المتروح بذلك ، واذا خلق علماً ، أو قدرة ، أو حياة في محل كان ذلك المحل هو العالم القادر الحي ، فكذلك اذا خلق ارادة وحباً وبغضاً في محل كان هو المريد المحب المبغض ، فاذا خلق فعل العبد كان العبد هو الفاعل ، فاذا خلق له كذبا وظلماً وكفراً ، كان هو الكاذب ، الظالم ، الكافر ، وإن خلق له صلاة ، وصوما وحجاً ، كان العبد هو المصلي ، الصائم ، الحاج ، والله تعالى لايوصف بشيء من مخلوقه ، بل صفاته قائمة بذاته وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم إلى آخر كلامه رحمه الله

فعلى زعم هذا الملحد أن الله تعالى هو الكاذب ، الظالم ، الكافر حقيقة لأن الله هو الخالق لذلك والموجد له حقيقة واسناده إلى العبد مجاز سبحانك هذا بهتان عظيم

وقال صنع الله الحلبي رحمه الله : والاستغاثة تجوز في الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية في قتال ، أو ادراك عدو ، أو سبع ونحوه كقولهم : يالزيد يالمسلمين بحسب الافعال الظاهرة . وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير ، أو في الامور المعنوية من الشدائد كالمرض ، وخوف الغرق ، والضيق ، والفقر ، وطلب الرزق ونحوه ، فمن خصائص الله لايطلب فيها غيره ـ إلى أن قال : وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاش لله أن تكون أولياء الله بهذه المثابة فهذا ظن أهل الاوثان ، كذا أخبر الرحمن (هم شفعاؤنا عند الله ما نعبدهم ـ إلا ليقربونا الى

الله زلفى - أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لاتغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون) فان ذكر ماليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الامداد منه اشراك مع الله اذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير إلا خيره اه

فصل

(قال العراقي) وقد جوز أجلة العلماء الاستغاثه والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ولايعارض جوازها بخبر أبي بكر رضي الله عنه ، قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنه لايستغاث بي انما يستغاث بالله لأن من رواته ابن لهيعة والكلام فيه مشهور ولو فرضنا أن الحديث صحيح فهو من قبيل قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله عليه الصلاة والسلام « ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم فيكون معنى الحديث السابق إني وأن يستغاث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة على من يحصل منه غوث ولو تسببا وكسبا أمر نطقت به اللغة وجوزه الشرع فتعين تأويل الحديث المذكور ويؤيد مابيناه في تأويله حديث البخارى في الشفاعة يوم القيامة « فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم »

والجواب : أن نقول قد تقدم في كلام شيخ الاسلام ابن تيمية مايبين كذبه على أجلة العلماء وأنه لم يجزه الا اناس ليسوا من العلماء العالمين بمدارك الاحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام ، ومعرفة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعي ولا نقل عن عالم مرضي بل عادة جروا عليها وقال أيضاً ، في أثناء كلام له « ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأمته أن يدعوا أحداً من الاموات لا الأنبياء ولا الصالحين ، ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا الى ميت ونحو ذلك ، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور ، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم

بذلك حتى يبين لهم ماجاء به الرسول ، ولهذا مابينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الاسلام الاتفطن لها ، وقال هذا أصل دين الاسلام» انتهى

(وأما قوله) ولايعارض جوازها بخبر أبي بكر رضي الله عنه قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخره

﴿ فالجواب ﴾ أن يقال الكلام على هذا من وجوه (أحدها) ان ابن لهيعة خرج له البخاري ومسلم فجاوز القنطرة ولا يقدح فيما رواه ابن لهيعة الا جاهل بالصناعة والاصطلاح ، وهو قاضي مصر وعالمها ومسندها ، روى عن عطاء بن أبي رباح والاعرج وعكرمة وخلف ، وعنه شعبة بن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث وعمرو ابن الحارث والليث بن سعد وابن وهب ، وخلق. ومن طعن في ابن لهيعة بقول بعض الناس لزمه الطعن في كثير من الاكابر المحدثين كسعيد المقبري وسعيد ابن أياس الجريري وسعيد بن عروبة واسماعيل بن أبان وأزهر بن سعد السمان البصري واحمد بن صالح المصري وأبي لميان ، وأمثالهم ممن خرج لهم البخاري وغيره من الائمة ، وعلى كل حال ، فهو خير من هؤلاء الذين أجازوا الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعلم بكتاب الله وسنة رسوله منهم ، وبأقوال أهل العلم (الثاني) أنهم معارضون بأجل منهم وأفضل وأعلم بحدود ما أنزل الله على رسوله كما سنذكره عنهم إن شاء الله تعالى

(الثالث) أن ابن لهيعة كان اماما محدثا من أفاضل العلماء ولم ينقمه أحد بالغلو في الانبياء ولا الصالحين ، ولا بشيء من العقائد المبتدعة المحدثة في الاسلام ولكنه كان يدلس عن الضعفاء ، ثم احترقت كتبه ، وليس هذا الحديث من الاحاديث التي دلس فيها ، فمن هنا قال فيه من قال ، قال عمرو بن علي : من كتب عنه قبل احتراق كتبه مثل ابن المبارك وابن المقري أصح ممن كتب عنه بعد احتراقها وقال ابن وهب كان ابن لهيعة صادقا ، وقال ابن وهب أيضاً ، حدثني الصادق البار - والله - عبد الله بن لهيعة ، وقال أبو داود سمعت أحمد يقول : ماكان محدث مصر إلا ابن لهيعة ، وقال أحمد بن صالح الحافظ : كان ابن لهيعة صحيح الكتاب طالباً للعلم (الوجه الرابع) أنه قد ثبت أن الاستغاثة من أقسام العبادة فصرفها

لغير الله شرك ، فان لم يكن حديث أبي بكر شاهداً لهذا لم يكن مخالفا له

(الوجه الخامس) أن النبي صلى الله عليه وسلم نفى الاستغاثة عن نفسه حماية للتوحيد وصيانة لجانبه وأدبا مع ربه لا لأن الاغاثة لاتنسب الى المغيث بالسبب العادي حقيقة وأنها تنسب مجازاً كما توهمه الغبي الاكبر ، ولم يرد تعليم أمته أن الاستغاثة إنما تنسب للمخلوق مجازاً فان ماجاء به الكتاب والسنة دال على اضافة الفعل لمكتسبه ومن قام به ولذلك رتب الثواب والعقاب والجزاء والحساب ولم يقل قول هذا العراقي الا القدرية المجبرة ، ومن نحانحوهم من الجهمية ورد عليهم أهل السنة بما يطول ذكره نقلا وعقلا ، وقالوا لو كان مجازاً لصح نفي أفعال المكلفين عنهم وكانوا بمنزلة الجمادات التى يحركها الغير ويفعل بها من غير قصد لها ولا اختيار ويكون التعذيب والعقاب يرجع إلى مجرد المشيئة والارادة من غير فعل للعبد يستحق به الثواب والعقاب

ويقال أيضاً الأفعال العادية القائمة بفاعلها تنسب اليه ، وتضاف اليه حقيقة من اضافة الفعل إلى فاعله ، فيقال اكل وشرب وقام وقعد وحكى ودعا واستغاث حقيقة لامجازاً باجماع العقلاء ، ولم يخالف في اضافة الافعال الى فاعلها حقيقة الامن هو من أجهل الناس وأضلهم عن سواء السبيل

(وأما قوله) ولو فرضنا أن الحديث صحيح فهو من قبيل قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى)

(فأقول) ليس هذا من هذا الباب وهذا من نوادر جهل هؤلاء الضلال فان لفظ الاستغاثة طلب الغوث ممن هو بيده لمن أصابته شدة ووقع في كرب ، والا الأنجح والاولى لمن أصابه ذلك أن يستغيث بمن يجيب المضطر اذا دعاه الموصوف بانه غياث المستغيثين ، مجيب المضطرين ، أرحم الراحمين ، فلفظ الاستغاثة يستعمل في مخ العبادة ، ومالا يقدر عليه الا الله عالم الغيب والشهادة فكره صلى الله عليه وسلم اطلاقه عليه فيما يستطيعه ، ويقدر عليه حماية لجناب التوحيد ، وسداً لذريعة الشرك وان كان يجوز اطلاقه فيما يقدر عليه المخلوق فحماية جناب التوحيد من مقاصد الرسول ومن قواعد هذه الشريعة المطهرة ، فاين هذا من قوله (وما رميت

اذ رميت ولكن الله رمى) فان الرمي المنفى عن الرسول إيصال التراب إلى أعينهم كلهم ، لان هذا لايقدر عليه إلى الله ، وأما نفس الرمي المثبت من رميه صلى الله عليه وسلم فقدقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب والحصا ورمى به قبلهم حقيقة لامجازاً . وهذا من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون لأحد بعده ، ولو كان هذا لأحد بعده لم يكن فيه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه لم يبق أحد منهم الا وقع في عينيه من ذلك التراب شيء وهم نحو أربعة آلاف رجل فهزمهم الله بسبب هذه الرمية حقيقة لا عندها ولا معها بل بها .

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام «ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم» على حقيقته فان الله هو الذي حملهم بان يسر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعدذلك حمولة فحملهم بأمر الله لأنه صلى الله عليه وسلم عبد مأمور منهي لا يفعل شيئا إلا بأمر الله له ، فنسبة الحمل إلى الله حقيقة قضاء وقدراً وإلى من حملهم باذن الله السببي الشرعي حقيقة لامجازاً ، وحمله اياهم أمر مقدور عليه غير ممتنع فكان من المعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متصرفا بأمر الله منفذا له فالله سبحانه امره بحملهم فنفذ أوامره فكان الله هو الذي حملهم وهذا معنى قوله «اني لا اعطى احدا شيئا ولا امنعه» ولهذا قال «وانما انا قاسم» فالله سبحانه هو المعطي على لسانه وهو يقسم ماقسمه بامره

(قوله) فيكون معنى الحديث السابق اني وأن يستغاث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالي

(أقول) هذا التأويل مخالف للفظ الحديث ولمعناه وقد تقدم الكلام عليه فلا معنى لصرفه عما يقتضيه الى مالا يدل عليه لغه ولاشرعا

(وقوله) وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة على من يحصل منه غوث ولو تسببا وكسبا ، أمر نطقت به اللغة وجوزه الشرع

(فأقول) هذا كذب على اللغة وعلى الشرع ، أما اللغة فان الافعال العادية القائمة بفاعلها تنسب اليه وتضاف إليه حقيقة من اضافة الفعل إلى فاعله فيقال

اكل وشرب وقام وقعد وحكى ودعا واستغاث حقيقة لامجازاً باجماع العقلاء ، واما شرعا فان الله قد رتب حصول الخيرات في الدنيا والآخرة ، وحصول الشرور في الدنيا والآخرة ، والعقاب والثواب في كتابه على الاعمال ترتيب الجزاء على الشرط، والمعلول على العلة والمسبب على السبب وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع كما تقدم بيانه فى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى .

(وأما قوله) ويؤيد ما بيناه في تأويل حديث البخاري في الشفاعة يوم القيامة « فبيناهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم »

فالجواب أن نقول هذا ليس مما نحن فيه فان الاستغاثة بالمخلوق على نوعين (أحدهما) أن يستغيث بالمخلوق الحي فيما يقدر على الغوث فيه مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر ويحول بينه وبين عدوه الكافر ويدفع عنه سبعاً صائلا أو لصاً أو نحو ذلك ، ومن ذلك طلب الدعاء لله من بعض عباده لبعض وهذا لا خلاف في جوازه، والاستغاثة الواردة في حديث المحشر من هذا القبيل فان الانبياء الذين يستغيث العباد بهم يوم القيامة يكونون أحياء وهذه الأستغاثة إنما تكون بأن ياتي أهل المحشر هؤلاء الانبياء يطلبون منهم أن يشفعوا لهم الى الله سبحانه ويدعوا لهم بفصل الحساب والاراحة من ذلك الموقف ولا ريب أن الانبياء قادرون على الدعاء فهذه الاستغاثة تكون بالمخلوق الحي فيما يقدر على الغوث فيه والثاني أن يستغاث بمخلوق ميت أو حي فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وهذا هو الذي يقول فيه أهل التحقيق انه غير جائز

(فان قلت)هؤلاء المستغيثون بالأموات أو الغائبين أيضاً يطلبون منهم أن يشفعوا لهم الى الله تعالى ويدعوا لهم بقضاء حاجاتهم وهم قادرون على ذلك فتكون استغاثتهم هذه من قبيل النوع الأول (قيل) هذا فيه خلل من وجوه (الأول) ان فيه ذهول عن قيد الحي والمراد بالحياة الدنيوية لا البرزخيه (والثاني) ان ظاهر ألفاظهم مثل قولهم يارسول الله اشف مريضي واكشف عني وهب لي ولداً ورزقا واسعاً ونحو ذلك دال على انهم لايطلبون منهم الشفاعة بل يطلبون شفاء المريض وكشف الكربة وإعطاء الولد والرزق وهم غير قادرين على تلك الأمور . (الثالث) أن

هؤلاء المستغيثين بالأموات والغائبين يدعونهم ويستغيثون بهم من أماكن مختلفة ومواضع بعيدة معتقدين أن الأموات والغائبين يعلمون استغاثتهم ويسمعون دعاءهم من كل مكان وفي كل زمان ولا ريب أن هذا إثبات لعلم الغيب لهم الذي هو من الصفات المختصة بالله تعالى فيكون شركا وبهذا وبما تقدم يندفع تأويل الحديث على ماتأوله عليه من المحال الباطل والله أعلم

فصل

قال العراقي : لنا على جواز التوسل والاستغاثة دلائل منها قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) قال ابن عباس إن الوسيلة كلما يتقرب به الى الله تعالى، والوهابية جعلت الوسيلة خاصة بالأفعال وهو تحكم بل ظاهر الآية تخصيصها بالذوات فانه تعالى قال في هذه الآية (اتقوا الله)والتقوى عبارة عن فعل المأمور به وترك المنهي عنه فاذا فسرنا الوسيلة بالأعمال كان الأمر بابتغاء الوسيلة اليه تأكيداً للأمر بالتقوى بخلاف ما اذا أريد بها الذوات فان الأمر حينئذ يكون تأسيساً وهو خير من التأكيد

والجواب أن نقول : قد استدل بهذه الآية طاغية العراق داود ابن جرجيس على نحو مما ذكره هذا إلا ان هذا أسقط من جواب داود نسبة الكلام الى البغوي وهذا لم يذكره عنه وأجابه على ذلك شيخنا الشيخ عبد اللطيف فقال: والجواب أن يقال :الله أكبر على هؤلاء الضلال الكاذبين على الله وعلى رسله المبدلين لدينه المحرفين للكلم عن مواضعه وهذا الكلام الذي ذكره العراقي جمع فيه من التحريف والالحاد والكذب والقول في كتاب الله برأيه ماسيمر بك بيانه مفصلا ،وفي الحديث «من قال في القرآن برأيه -وفي رواية بما لا يعلم- فليتبوأ مقعده من النار » وقد تكلم الحافظ ابن كثير على قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) بما يرد قول هذا العراقي ويبطله قال رحمه الله تعالى: أمر عباده المؤمنين بتقواه وهي اذا قرنت بالطاعة كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهي عنه وقد قال بعدها(وابتغوا اليه الوسيلة)قال سفيان الثوري

عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أى القربة وكذا قال مجاهد وعطاء وأبو وائل والحسن وقتادة وعبدالله ابن كثير والسدي وأبو زيد قال قتادة أي تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه وقرأ ابن زيد (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه وأنشد ابن جرير قول الشاعر

اذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل

والوسيلة هي مايتوصل به الى تحصيل المقصود انتهى . وقال البغوي أى اطلبوا اليه الوسيلة أى القربة ، فعليه من توسل الى فلان بكذا أي تقرب اليه وجمعها وسائل . وقال البيضاوي على قوله (وابتغوا اليه الوسيلة)أي مايتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وقال في الكلام على آية الاسراء (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة أيهم أقرب بدل من واو يبتغون أي يبتغي من هو أقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب وقال ابن كثير وقوله (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) روى البخاري من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبدالله في قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) قال ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا وذكر رواية عن ابن مسعود كانوا يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن وذكر عن ابن عباس قال عيسى وأمه وعزير وعنه والشمس والقمر قال مجاهد عيسى وعزير والملائكة واختار ابن جرير قول ابن مسعود لقوله يبتغون وهذا لايعرب به عن الماضي فلا يدخل فيه عيسى والعزير وقال الوسيلة هي القربة كما قال تعالى ولهذا قال(أيهم أقرب) انتهى

واختار شيخ الاسلام ان الآية تعم من ذكر وغيرهم ممن عبده المشركون من أولياء الله وعباده الصالحين فتبين بهذا رد ماذكره البغوي فان المفسرين ذكروا ابتغاء الوسيلة وهو طلب القربة فتقدم قول البيضاوي في قوله أيهم أقرب أنه بدل من الواو في يبتغون، وقال أبو حفص العكبري أيهم مبتدىء، وأقرب خبره

وهو استفهام والجملة في موضع نصب بيدعون وعلى كلا القولين لايصح ماذكره البغوي من توسل بعضهم ببعض وفي الجلالين أولئك الذين يدعونهم آلهة يبتغون يطلبون الى ربهم الوسيلة القربة بالطاعة أيهم بدل من واو يبتغون أي يبتغيها الذي هو أقرب اليه فكيف بغيره اذا عرف هذا تبين فساد قول البغوي في آية الاسراء. فان التوسل في العرف الشرعي فعل مايتوسل به الى الله من الايمان به والعمل الصالح الذي شرعه ويرضاه كما في حديث الثلاثة الذين آووا الى الغار فانطبقت عليهم الصخرة هذا هو التوسل المعروف كما عليه أهل الاسلام من المفسرين وغيرهم ومن قول قتادة أي تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه وتقدم قول ابن كثير بعد حكاية هذا وهذا مما لاخلاف فيه بين المفسرين فذكر الاجماع على أن المراد القربة بالعمل الصالح وما يرضاه تعالى ثم لو سلم صحة ماذكره البغوي فليس المراد أن بعضهم يدعو من هو أقرب منه ويسأله الشفاعة والتقرب بل التوسل يطلق عنده على سؤال الله بجاه المقربين وبحق الصالحين لا كما يظنه عباد القبور من أن التوسل هو دعاء الصالح نفسه وقصده بالمسألة والطلب من دون الله والتقرب اليه بالذبح والنذر وغيرهما من العبادات فان هذا عين الشرك الذي نزلت الآية بابطاله والرد على أهله فان الجاهلية من الأميين والكتابيين يدعون الملائكة وعيسى وامه والعزير ويتوجهون اليهم في حاجاتهم وملماتهم ويتقربون اليهم بصرف الأموال ذبحا ونذرا فرد الله عليهم هذا الفعل من صنيعهم وأخبرهم أن هؤلاء المدعوين لايملكون كشف الضر ولا تحويله من حال الى حال لأن من عبد الانبياء والصالحين يدعي انه يكشف الضر بواسطتهم وعلى أيديهم كما يقوله عباد القبور فأخبرهم تعالى أن هؤلاء المدعوين عبيده كما أن الداعين عبيده وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه والخائف الراجي لايصلح أن يكون مدعوا ومعبوداً فانظر هذه الآية الكريمة ومادلت عليه وماسيقت له وانظر حقيقة دعوى العراقي وما يفعله الغلاة في الأولياء والصالحين ومسألتهم وتعظيمهم بشيء من العبادات كالذبح والنذر لهم وعلى أبطال دعواه أيضا في التوسل الشركي بالصالحين ودعائهم ومسألتهم وبهذا تعرف انه مشاق لله ورسوله

يستدل بالآية الكريمة على نقيض مادلت عليه ويفهم منها عكس مادعت اليه وهكذا حال القلوب المنكوسة تتصور الأشياء على خلاف ماهي عليه وأهل العلم كافة استدلوا بهذه الآية على إبطال التوسل الشركي الذي هو دعاء الصالحين والعراقي استدل بها على جوازه واستحبابه فبعدا للقوم الظالمين

وأما قول العراقي فظاهر الآية عام في الافعال والذوات هذا قول داود

وقال صاحب هذه الرسالة والوهابية جعلت الوسيلة خاصة بالأفعال وهو تحكم بل ظاهر الآية تخصيصها بالذوات

قال شيخنا فهذا يكذبه ويبطله مامر من إجماع المفسرين على أن الوسيلة هي التقرب الى الله بطاعته وبما يرضيه مما شرعه وأذن فيه والتوسل الذي يريده العراقي بذات الصالحين هو دعاؤهم ومسألتهم وتعظيمهم بالعبادة وتقدم كلام ابن القيم في انه يستحيل ان تأتي شريعة من الشرائع بإباحة ذلك

وقوله ومن ادعى التخصيص بأحدهما فقد تحكم ففي هذا القول من سوء الادب مع الشارع والجراءة على الله وعلى رسوله مايعلمه أهل العلم بدينه الذين عقلوا عن مراده وعرفوا انه أخص القرب التي يحبها ويرضاها ونهى عن مجاوزتها الى البدع والضلالات فالمخصص للقرب والوسائل هو الله ورسوله قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) ثم اقتحم العراقي وأتى بقولة يضحك منها صبيان المكاتب فقال على ان ظاهر سياق الآيات تخصيصه بالذوات فأتى على ماقاله المفسرون قاطبة فهدمه واجتث أصله ورده من لايؤمن بالكتاب ولا يخاف سوء الحساب واستدلاله على تلك الدعوى الضالة بأن التقوى فعل المأمور وترك المنهي عنه واذا فسر ابتغاء الوسيلة بالاعمال يكون تأكيداً فيكون مكرراً واذا أريد التوسل بالذوات يكون ناشئا وهو خير من التأكيد هذا كلامه بحروفه وكفى بهذا خزيا وفضيحة وتسجيلا على جهالة وانه ماعرف شرعا ولا لغة ولا دينا وهذا مردود بوجوه

(الاول) ان ابن كثير قرر أن التقوى اذا قرنت بالطاعة أو الوسيلة كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهي كما في هذه الآية والوسيلة هي التقرب

الى الله بانواع الطاعات وأصناف العبادات ومراده أنها اذا أطلقت ولم تقترن بغيرها دخل فيها فعل المأمور وترك المحظور وهكذا اسم العبادة والطاعة تعم عند الاطلاق وتخص مع الاقتران والتقيد فالعراقي لم يعرف مسمى التقوى في هذا المحل وخبط خبط عشواء

(الوجه الثاني) أن الوسيلة مايقرب الى الله تعالى والتقوى تطلق على مايتقي به عذابه ويرجي به ثوابه فلو قيل بهذا الاطلاق هنا فالقرب الى الله وطلبه أخص مما قبله

(الوجه الثالث) ان التأكيد يكون خيراً من التأسيس اذ اقتضاه الحال وقصد رفع المجاز وإبطال توهمه أو قصد بيان خصوصية الفرد المعطوف والاهتمام به كما في قوله تعالى (الذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة)

(الوجه الرابع) أن التأسيس لايجري هنا ولا يصح قصده لأن شرطه [١]

فصل

قال العراقي . ومنها قوله تعالى (أولئك الذين يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب) قال ابن عباس هم عيسى وأمه وعزير والملائكة وتفسير الآية أن الكفار يعبدون الانبياء والملائكة على انهم أرباب فيقول الله لهم أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون الى الله بمن هو أقرب فكيف تجعلونهم أربابا وهم عبيده مفتقرون الى ربهم متوسلون اليه بمن هو أعلى مقاما منهم

والجواب أن يقال : وهكذا قال داود بن جرجيس وقد أجابه الشيخ فقال والجواب أولا لولا مايقصده المؤمن من رد هذه الاقوال الضالة الكاذبة التي تتضمن الكذب على الله وتحريف كتابه ، وتغيير دينه ، والقول عليه بغير علم لما جازت حكاية هذا الافك ونقله ، والله سبحانه ذكر أقوال اعدائه وأعداء رسله في معرض الرد لها ، وابطالها ، والتسجيل على ضلالة أهلها ، فاما مانقله عن البغوي فقد حرفه وكذب فيه ، وهذه عبارة البغوي نسوقها بحروفها ، قال في قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) يعني الذين يدعونهم

(١) بياض في الاصلين ثلاثة أسطر

المشركون آلهة ويعبدونهم . قال ابن عباس ومجاهد : هم عيسى وأمه وعزير والملائكة ، والشمس ، والقمر ، والنجوم يبتغون أي يطلبون الى ربهم الوسيلة أي القربة ، وقيل الوسيلة الدرجة العليا ، أى يتضرعون الى الله في طلب الدرجة العليا ، وقيل الوسيلة كلما يتقرب به إلى الله عز وجل ، وقوله (أيهم أقرب) معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به . وقال الزجاج (أيهم أقرب) يبتغي الوسيلة إلى الله ، ويتقرب اليه بالعمل الصالح هذه عبارة البغوي بحروفها .

وقد تصرف فيها هذا الضال فحذف منها قول ابن عباس والشمس والقمر والنجوم ، وحرف قوله يطلبون إلى ربهم الوسيلة أي القربة ، فقال العراقي كل ما يتقرب به الى الله ، وعبارة البغوي القربة وحذف قول البغوي ، وقيل الوسيلة الدرجة العليا أى يتضرعون الى الله في طلب الدرجة العليا وزاد في قوله ينظرون أيهم أقرب الى الله فقال العراقي وأعلى جاهاً وزاد ويتشفعون به الى ربهم هذا تحريفه لكلام البغوي .

قلت وأما صاحب الرسالة فانه ألطف في التحريف وأجرأ على الله بالكذب من داود فان داود نسب الكلام الى البغوي وحرفه وتصرف فيه وزاد وهذا جزم ان تفسير الآية أن الكفار يعبدون الانبياء والملائكة على انهم أربابهم كما ذكر داود وذكر هذا كما ذكر داود الى آخره والمقصود أنهم يغترفون من عين واحدة . قال الشيخ في جوابه والرجل يشتهي يأخذ مايهوى ويدع ماهو الأولى والأقوى فأول عبارة البغوي ترد قوله ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به لأن الشمس والقمر والنجوم لا يتأتى منهم ذلك والملائكة وعزير وعيسى لم يرد نقل ولا حجة ولا برهان على ان بعضهم يسأل الله ببعض ويتوسل به ويقصده في حاجاته وملماته فما قاله البغوي هنا غير مسلم وقد تقدم كلام المفسرين وانهم لم يرتضوا هـذا ولم يقله أحد منهم وتقـدم قول ابن كثير في تفسير قتادة انه لا خلاف بين المفسرين في ذلك وتقدم قول أبي حفص والبيضاوي والجلالين فعدل العراقي عن هذا كله وتمسك بالمتشابه كما قال ابن القيم : وأعرض النصارى عن الأصول المحكمة وتمسكوا بالمتشابه على ان عبارة البغوي ليس فيها شاهد

ودليل لعباد القبور بل هي تدل على خلافه فان التوسل الذي يشير اليه وينصرف الاسم عليه عند الاطلاق هو التوسل الشرعي ومنه دعاء المؤمنين بعضهم لبعض كالأسباب العادية وقد يراد بالتوسل في عرف بعض الناس سؤال الله تعالى بحق أوليائه وعلى كل فليس فيه دليل لدعاء الموتى والغائبين كما يفعله عبادالقبور من الضالين والمشركين ويحتمل انه أراد بقوله ان ينظرون أيهم أقرب فيتوسلون به معنى صحيحاً شرعياً وهو الاقتداء بهم وسلوك سبيلهم واقتفاء آثارهم قال تعالى (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقد يتعين هذا الاحتمال لوجوب إحسان الظن بالعلماء

وقول العراقي في معنى الآية إن الكفار يعبدون الانبياء والملائكة على انهم أربابهم يريد به أن المشركين يعتقدون ان آلهتهم تخلق وترزق وتدبر وهذا قد رده القرآن وأبطله في غير موضع كما تقدم تقريره والعراقي يلجأ الى هذا لئلا يدخل مافعله عباد القبور فيما نهى عنه القرآن من اتخاذ الالهة من دون الله وعبادتها معه وهذا لازم لعباد القبور لا محيص عنه والحكم يدور مع علته والقرآن كفر المشركين وأنكر عليهم دعاء غيرالله ومحبة سواه وتعظيم مايدعى معه بالذبح والنذر وسائر العبادات قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) وقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف عنكم ولا تحويلا) وقال تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذاً من الظالمين) وقال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) والايات في المعني كثيرة يبين تعالى انه كفرهم وأنكر عليهم وتوعدهم بالنار علي عبادة غيره ودعاء سواه والعبادة فعل العبد الذي هو الحب مع الله والخضوع والتعظيم والدعاء رغباً ورهباً واطلاق الارباب على الالهة كقوله تعالى (ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) وقوله (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) ونحو ذلك انما يراد به ماذكرنا لان المعبود يسمى ربا وهذا مما لا خلاف فيه بين المفسرين بل السيد يسمى ربا فتنبه لهذا فقد زل بهذه

الشبهة كثير من المنتسبين الى العلم والدين ثم ذكر الشيخ كلاما طويلا عن شيخ الاسلام قال في آخره ولهذا كان من اتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويصوم وينسك لها ويتقرب اليها ثم يقول ان هذا ليس بشرك وانما الشرك اذا اعتقدت انها المدبرة لي فاذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركا ومن المعلوم بالاضطرار من دين المسلمين ان هذا شرك انتهى فتأمله فان فيه حكاية قول سلف هذا العراقي وفيه أن ماقاله العراقي شرك يعلم بالاضطرار من دين الاسلام والله المستعان

وأما قول العراقي فيقول الله تعالى أولئك الذين تعبدونهم يتوسلون الي من هو أقرب يعني فهم محتاجون فقد كذب على الله ماعنى سبحانه وتعالى بهذا المعنى ولا أراده تبارك وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً ما أجر هذا المتكلم على الله وعلى كتابه وعلى دينه فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وتقدم قول المفسرين

وقول شيخ الاسلام ان هؤلاء المدعوين عبيده كما ان الداعين عبيده وانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه نعوذ بالله من اقتحام هذه المهالك والتوثب على تلك الدركات التي تهوي بصاحبها الى أسفل سافلين قال تعالي (قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقال تعالى (ان الذين يلحدون في آياتنا لايخفون علينا أفمن يلقي في النار خير أم يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ماشئتم انه بما تعملون بصير)

فصل

قال العراقي : ومنها قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة والسلام ، وفي ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم وقبول المتوسل به كما يفهم من قوله تعالى (لوجدوا الله توابا رحيما) وأنت تعلم أن استغفاره صلى الله عليه وسلم لأمته لايتقيد بحال حياته كما

دلت عليه الاحاديث الواردة مما سننقله لا يقال إن الآية وردت في قوم معينين فلا عموم لها لانا نقول إنها وإن وردت في قوم معينين في حياته صلى الله عليه وسلم تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف سواء كان في حال حياته أو بعد موته صلى الله عليه وسلم

والجواب أن نقول : قد سبق هؤلاء إلى الاستدلال بهذه الآية السبكى بنخو ماقال هذا وأجابه الحافظ أبو عبدالله محمد بن احمد ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى فقال : أما استدلاله بقوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية ، فالكلام فيها في مقامين : أحدهما عدم دلالتها على مطلوبه ، الثانية بيان دلالتها على نقيضه ، وانما يتبين الامران بفهم الآية وما أريد بها وسيقت له وما فهمه منها أعلم الامة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الامة ومن سلك سبيلهم ولم يفهم منها أحد من السلف والخلف إلا المجيء اليه في حياته ليستغفر لهم ، وقد ذم تعالى من تخلف عن هذا المجيء اذا ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين فقال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) وكذلك هذه الآية انما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب ابن الاشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم حيث لم يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر له فان المجيء اليه يستغفر له توبة وتنصل من الذنوب وهذه كانت عادة الصحابة معه صلى الله عليه وسلم أن أحدهم متى صدر منه مايقتضي التوبة جاء اليه فقال : يارسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، وهذا كان فرقا بينهم وبين المنافقين ، فلما استأثر الله عز وجل بنبيه صلى الله عليه وسلم ونقله من بين أظهرهم إلى دار كرامته لم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ويقول : يارسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت ، أفترى عطل الصحابة والتابعون وهم خير القرون على الاطلاق هذا الواجب الذى ذم الله سبحانه من تخلف عنه ، وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق ، ووفق له من لا يؤبه له من الناس ، ولا يعد في أهل العلم فكيف أغفل هذا أئمة الاسلام

وهداة الانام من أهل الحديث ، والفقه ، والتفسير ، ومن لهم لسان صدق في الامة ، فلم يدعو اليه ، ولم يحضوا عليه ، ولم يرشدوا اليه ، ولم يفعله أحد منهم البتة، بل المنقول الثابت عنهم ماقد عرف مما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهى عنه من الغلو والشرك الجفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية ، ولما كان هذا المنقول شجى في حلوق الغلاة ، وقذى في عيونهم ، وريبة في قلوبهم ، قابلوه بالتكذيب والطعن في الناقل ، ومن استحيا منهم من أهل العلم بالآثار قابله بالتحريف والتبديل ويأبى الله إلا أن يعلي منار الحق ، ويظهر أدلته ليهتدي المسترشد ، وتقوم الحجة على المعاند فيعلي الله بالحق من يشاء ، ويضع برده وبطره وغمص أهله من يشاء ، وياالله العجب اكان ظلم الأمة لأنفسها ونبيها بين أظهرها موجود ، وقد دعيت فيه إلى المجيء ليستغفر لها ، وذم من تخلف عن المجيء ، فلما توفي صلى الله عليه وسلم ارتفع ظلمها لأنفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم إلى المجيء ليستغفر له ، وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً ولو كان حقاً لسبقونا اليه علما وعملا ، وارشاداً ونصيحة . ولا يجوز احداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ، ولا عرفوه ، ولا بينوه للأمة ، فانه يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا ، وضلوا عنه ، واهتدى اليه هذا المعترض المستأخر ، فكيف اذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه ، وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده ، وانما تنبه عليه بعض التنبيه . ومما يدل على بطلانه قطعاً أنه لايشك مسلم أن من دعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض عن المجيء وأباه مع قدرته عليه كان مذموما غاية الذم مغموصاً بالنفاق . ولا كذلك من دعي إلى قبره ليستغفر له ، ومن سوى بين الامرين ، وبين المدعوين ، وبين الدعوتين فقد جاهر بالباطل وقال على الله وكلامه ورسوله وأمناء دينه غير الحق .

وأما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو أنه سبحانه صدَّرها بقوله (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول) وهذا يدل على أن مجيئهم اليه ليستغفر لهم إذ ظلموا

أنفسهم طاعة له . ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة ولم يقل مسلم قط إن على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره ويسأله أن يستغفر له ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون قد عصوا هذه الطاعة وعطلوها ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة ، وهذا بخلاف قوله(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)فانه نفى الايمان عمن لم يحكمه ، وتحكيمه هو تحكيم ماجاء به حياً وميتاً ،ففي حياته كان هو الحكم بينهم بالوحي ، وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه يوضح ذلك أنه قال « لاتجعلوا قبري عيداً » ولو كان يشرع لكل مذنب أن يأتي إلى قبره ليستغفر له لكان القبر أعظم أعياد المذنبين ، وهذا مضادة صريحة لدينه وما جاء به ، ولوكان مشروعا لأمر به أمته وحضهم عليه ، ورغبهم فيه ، ولكان الصحابة وتابعوهم باحسان أرغب شيء فيه وأسبق اليه ، ولم ينقل عن أحد منهم قط وهم القدوة بنوع من أنواع الاسانيد أنه جاء إلى قبره ليستغفر له ، ولا شكا اليه ، ولا سأله والذي صح عنه مجيء القبر للتسليم فقط هو ابن عمر وكان يفعل ذلك عندقدومه من السفر ، ولم يكن يزيد على التسليم شيئاً البتة ، ومع هذا فقد قال عبيدالله بن عمر العمري الذي هو أجل أصحاب نافع ، أو من أجلهم مانعلم أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك إلا ابن عمر ، ومعلوم انه لاهدي أكمل من هدي الصحابة ، ولا تعظيم لرسول الله فوق تعظيمهم ، ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم ، فمن خالفهم إما أن يكون أهدى منهم أو يكون مرتكباً لنوع من البدع كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لقوم رآهم اجتمعوا على ذكر يقولونه : لأنتم أهدى من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ! أو انتم على شعبة ضلالة ، فتبين انه لو كان استغفاره لمن جاءه مستغفراً بعد موته ممكناً أو مشروعا لكان كمال شفقته ورحمته بالأمة تقتضي ترغيبهم في ذلك وحضهم عليه انتهى

(وأما قوله) فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره وهذا حق ولكنه في حال حياته لا بعد وفاته

(وقوله) وفي ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم وقبول المتوسل به.

فأقول : نعم هذا حق فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون به في حال حياته كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فلو كان التوسل به بعد وفاته جائزاً لما عدل الفاروق إلى عمه العباس مع امكان التوسل به عند قبره لو كان جائزاً ، ومن المعلوم أن التوسل المشروع انما هو بدعائه كما تقدم بيانه وكما سيأتي إن شاء الله ، بل في ذلك أصرح دلالة على المنع من التوسل به التوسل الشرعي بعد وفاته بدليل انه لا أكمل من هدي الصحابة ، ولا تعظيم للرسول فوق تعظيمهم ، ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم ، ومع ذلك لم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ويقول يارسول الله : فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت

(وأما قوله) وأنت تعلم أن استغفاره صلى الله عليه وسلم لأمته لا يتقيد بحال حياته كما دلت عليه الاحاديث الواردة مما سننقله

فأقول : لو كان طلب الاستغفار منه صلى الله عليه وسلم جائزاً بعد وفاته عند قبره أو من مكان بعيد منه ، أو كان مشروعا لأمر به أمته وحضهم عليه ، ورغبهم فيه ، ولكان الصحابة رضي الله عنهم وتابعوهم باحسان أرغب شيء فيه وأسبق اليه ، ولم ينقل عن أحد منهم قط وهم القدوة بنوع من أنواع الاسانيد انه جاء الى قبره ليستغفر له ، ولا شكا اليه ، ولا سأله ، وقد تقدم بيان هذا

(وأما قوله) لا يقال إن الآية وردت في قوم معينين فلا عموم لها الخ

فأقول : نعم الامر كما أقر به الخصم في هذا المقام من أن الآية وردت في قوم معينين من أهل النفاق يدل عليه قوله تعالى (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) فهي تعم ما وردت فيه وما كان مثله فهي عامة في حق كل من ظلم نفسه من كل منافق قيل له تعال الى ما أنزل الله والى الرسول فصدَّ عن الرسول صدوداً وتحاكم الى الطاغوت ، ثم جاء الرسول في حياته فاستغفر الله واستغفر له الرسول في حياته ، وأما المؤمن الذي عصى وظلم نفسه فجاء قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فاستغفر الله فليس مثله لما تقدم بيانه

فصل

(قال العراقي) ومنها قوله تعالى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) فنسب الله تعالى الاستغاثة إلى غيره من المخلوق وكفى به دليلا على جوازها ، فان قيل إن المستغاث في هذه الآية حي وله قدرة ، وانما كلامنا في الميت أجيب بأن نسبة القدرة اليه إن كانت استقلالا فهي كفر ، وان كانت بقدرته تعالى على أن يكون هو السبب والوسيلة ليس إلا فلا فرق بين الحي والميت فان الميت له كرامة ، واذا لم تنسب الى الله حقيقة والى غيره مجازاً كانت الاستغاثة ممنوعة ، ومن هنا تعلم سر نفي النبي صلى الله عليه وسلم الاستغاثة عن نفسه عند ماقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال عليه السلام « لا يستغاث بي انما يستغاث بالله» مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حينئذ حياً وله قدرة ، فانما قصد صلى الله عليه وسلم نفي الاستغاثة الحقيقية فأراد تعليم أمته أنها لاتكون الا بالله

﴿ والجواب ﴾ أن يقال هذه شبهة داود وانما تصرف فيها هذا ولم يخرج عن مقصوده بشيء فقال شيخنا رحمه الله :وقوف أهل البصائر على هذا الكلام يكفي فى رده وابطاله وبيان مافيه من الجهل الغليظ وهذا الصنف من الناس انما أوتوا من بعدهم عما جاءت به الرسل وكونهم أجانب عنه ليسوا من أهل الوراثة النبوية فهم فى ظلمات بعضها فوق بعض وهذه الآية الكريمة فيها الخبر عن الاسرائيلي لانه استغاث موسى على القبطي الذي هو من عدوه ، والأفعال العادية القائمة بفاعلها تنسب إليه وتضاف إليه حقيقة من اضافة الفعل إلى فاعله ، فيقال أكل وشرب وقام وقعد وقال وحكى ودعا واستغاث حقيقة لا مجازاً باجماع العقلاء ولم يخالف في أضافة الأفعال إلى فاعلها حقيقة الا من هو أجهل الناس وأضلهم عن سواء السبيل ، وهذا لم نقل بمنعه حتى يستدل علينا بالنسبة التي في الاية ، مع أن

الاستدلال بها يترجم عن جهل المعترض وعدم فهمه عن الله وقد نسب الرب تبارك وتعالى إلى أعدائه مانسبوه اليه من اتخاذ الصاحبة والولد وجعل الشركاء معه والنسبة لايستدل بها من يعقل مايقول بل الدليل في حكايته على وجه التقرير وعدم الانكار قال تعالى (وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له مافي السموات والارض كل له قانتون) وقال تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وقال تعالى (واتخذوا من دونه آلهة لعلهم ينصرون) فهذا كله منسوب الى فاعله حقيقة أفيقال بجوازه، وأنه لو كان ممنوعا لما جازت النسبة، ويقال هذا مجاز أيصح نفيه عنهم؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا، والعراقي جاهلي الدين والمذهب واللسان بل الجاهلية لا تقول إن النسبة إلى الفاعل مجاز ولاتقول أنها تدل على عدم المنع مما نسبه إلى فاعله والغرض بيان مافي كلام هذا من الفساد المتناهي، والآية ليست مما نحن فيه فان الاغاثة المثبتة ليس الدليل على اثباتها النسبة وانما هو ماجاءت به الشريعة الكاملة من جواز معاطاة الأسباب العادية واستعانة الخلق بعضهم بعضاً في الجملة والدليل من الآية ترك انكاره وسياقه على وجه التقرير، ومسألة المخلوق محرمة في الاصل وانما البحث في الأسباب العادية للضرورة والحاجة، ولهذا بايع النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه على أن لايسألوا الناس، فكان أحدهم يسقط السوط من يده فلا يقول لأحد ناولينه

وقول العراقي: وأما ماقيل إن هذا حي، وله قدرة، فان كان نسبة القدرة اليه استقلالا فهو كفر، وان كان بقدرة الله وهو سبب ووسيلة فلا فرق بين الحي والميت (يقال) هذا تخليط وهذيان، فان المسلمين متفقون على قول ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن، يؤمنون بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) خلق في الحي اختياراً ومشيئة بها يثاب وبها يعاقب وبها يكلف، والميت ليس له قدرة الحي ولا يكلف بل ينقطع عمله بموته وتطوى صحيفته، ولايسأل ولايستفتي ولا يرجع اليه في شيء مما للعباد عليه قدرة، وسائر الحيوان يفرقون بين الحي والميت

والعراقي يقول : لافرق عنده بين الحي والميت ، قال تعالى (ومايستوي الاحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) واستغاثة الميت ليست سبباً كاستغاثة المخلوق فيما يقدر عليه ، ولم يجعل هذا سبباً الا عباد الاصنام الذين هم أضل خلق الله ، يجعلون الأموات سبباً ووسيلة ، والميت ليس في شرع الله وما جاءت به رسله أن يدعو لمن دعاه ، والكرامة ليس فعله بل هي فعل الله ، والمكرم لايدعى ولا يستغاث به ولايرجى لشيء من الشدائد ، بل هذا فعل المشركين كما تقدم ، والقول بأن الله يقدره ظن وخرص لايرجع اليه في دينه إلا ضال يتمسك بالاوهام الوثنية

(وقوله) والجميع راجع الى قدرة الله لاينقذه من المحذور ، فان المشركين يعترفون بربوبية الله لآلهتهم ويعلمون أنها لاتستقل بشيء دونه ، ولا تجوز نسبة الاغاثة إلى الموتى والغائبين ولو مجازاً لاختصاصه تعالى بالعلم والقدرة والغوث الباطني ، والنبي صلى الله عليه وسلم نفى الاستغاثة عن نفسه حماية للتوحيد وصيانة لجانبه وأدبا مع ربه ، لا لأن الاغاثة لاتنسب إلى المغيث بالتسبب العادي حقيقة وانها تنسب مجازاً كما توهمه الغبي الاكبر ولم يرد تعليم أمته ، أن الاستغاثه انما تنسب للمخلوق مجازاً فان ماجاء به من الكتاب والسنة دال على اضافة الفعل لمكتسبه ومن قام به ، ولذلك رتب الثواب والعقاب والجزاء والحساب ولم يقل قول العراقي الا القدرية المجبرة ومن نحانحوهم من الجهمية ورد عليهم أهل السنة بما يطول ذكره نقلا وعقلا ، وقالوا لو كان مجازاً لصح نفي أفعال المكلفين عنهم وكانوا بمنزلة الجمادات التى يحركها الغير ويفعل بها من غير قصد لها ولا اختيار ويكون التعذيب والثواب يرجع إلى مجرد المشيئة والارادة من غير فعل للعبد يستحق به الثواب والعقاب ، واما اضافة الاغاثه والانبات الى الغيث والربيع كما في الحديث وكما في قولهم أنبت الربيع البقل فلم يجعل الغيث فاعلا ، كما زعمه هذا الاعجمي الذي لايعقل شيئاً من اللغة غاية ماقالوا إنه مجاز عقلي كما يعلم من رسالة السكاكي والاضافة قد تقع ولو إلى أدنى ملابسة

(وقول العراقى) فجعل الغيث هو فاعل الاغاثة مع أنه عرض هذا مما يدل

على أنه لايفرق بين العرض والجوهر ومن بلغ جهله الى هذا الحد سقط الكلام معه والقصد اعلام الطالب أن أعداء شيخنا من أجهل الورى وأضلهم الى آخر كلامه رحمه الله

فصل

(قال العراقى) ومنها قوله تعالى(لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) قال بعض المفسرين إن العهد قول لاإله إلا الله محمد رسول الله ، وعليه فمعنى الآيه لايشفع الشافعون الا لمن قال لاإله الا الله وهم المؤمنون كقوله تعالى (لايشفعون إلا لمن ارتضى) وهو معنى بعيد أن يكون حينئذ تقدير الآية لايملكون الشفاعة لاحد الا من اتخذ الى اخره ، وفيه من التكاف مافيه والاحسن أن يكون تفسير قوله لايملكون بمعنى لاينالون ، فحينئذ يصح الاستثناء بدون تقدير شيء ، وقيل معناه لايملك الشفاعة الا من قال لاإله إلا الله ، أي لايشفع الا المؤمنون ومثله قوله تعالى (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق)والشهادة بالحق هي قول (لاإله إلا الله) وحيث كان المراد من التوسل بالانبياء والاولياء والصالحين والطلب منهم هو استشفاعهم ، وقد اخبر تعالى أنهم يملكون الشفاعة فأي مانع من طلب شيء مما ملكوه باذنه تعالى فيجوز أن تطلب منهم أن يعطوك مما أعطاهم الله تعالى ، وإنما الممنوع هو طلب الشفاعة من الاصنام التي لاتملك شيئاً منها

(والجواب) أن يقال ماأعظم جراءة هذا الملحد على كلام الله بوضعه على غير موضعه وعلى توهين ماقرره أئمة التفسير من السلف رضوان الله عليهم فنذكر كلام أئمة التفسير ليتبيين ضلال هذا الملحد وعدم ادراكه فنقول قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري يقول تعالى ذكره لايملك هؤلاء الكافرون بربهم يامحمد يوم يحشر الله المتقين اليه وفدا الشفاعة حسين يشفع أهل الايمان بعضهم لبعض عند الله فيشفع بعضهم الا من اتخذ منهم عند الرحمن في الدنيا عهداً بالايمان به وتصديق رسوله والاقرار به والعمل بما أمر به ، ثم ساق بسنده

الى ابن عباس قوله (الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) قال العهد شهادة أن لاإله إلا الله ويتبرأ الى الله من الحول والقوة ولا يرجون الا الله ، وبسنده عن ابن جريج قال: المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) قال عملا صالحاً ، وبسنده الى قتادة قال أي بطاعته ، وبسنده الى عوف ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن شفاعتي لمن مات من أمتي لايشرك بالله شيئاً » ومن في قوله (الامن) موضع نصب على الاستثناء ولا يكون خفضاً بضمير اللام ولكن قد يكون نصباً في الكلام في غير هذا الموضع وذلك كقول القائل أردت المرور اليوم الا العدو فاني لا آمر به فيستثنى العدو من المعنى وليس ذلك كذلك في قوله (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً لأن معنى الكلام لايملك هؤلاء الكفار إلا من آمن بالله فالمؤمنون ليسوا من أعداد الكافرين ومن نصبه على أن معناه الالمن اتخذ عند الله الرحمن عهداً فانه ينبغي ان يجعل قوله لايملكون الشفاعة للمتقين فيكون معنى الكلام حينئذ: (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا لايملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) فيكون معناه عند ذلك (الا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً) فاذا جعل لايملكون الشفاعة خبراً عن المجرمين فان من تكون حينئذ نصباً على انه استثناء منقطع فيكون معنى الكلام لايملكون الشفاعة لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يملكه (١) انتهى

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى (لايملكون الشفاعة) أي ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبرا عنهم (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) وقوله (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا وهو شهادة ان لا اله الا الله والقيام بحقها ، قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ، قال العهد شهادة أن لاإله إلا الله ويبرأ الى الله من الحول والقوة ولا يرجو الا الله

(١) كذا في الاصلين وفي نسخة ابن جرير المطبوعة في المطبعة الاميرية، هذا وقد كان في العبارة سقط نقلناه من نسخة التفسير المذكورة

عز وجل وقال ابن ابي حاتم حدثنا عثمان بن خالد الواسطي حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن المسعودي عن عون ابن عبد الله عن ابن أبي فاختة عن الاسود بن يزيد قال قرأ عبد الله يعني ابن مسعود هذه الاية (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) ثم قال اتخذوا عند الله عهدا فان الله يقول يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقم قالوا ياابا عبد الرحمن فعلمنا قال قولوا اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة فاني أعهد اليك في هذه الحياة الدنيا ، انك أن تكلني إلى عملي يقربني من الشر ويباعدني من الخير ، وأني لا أثق إلا برحمتك ، فاجعل لي عندك عهداً تؤديه الي يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد قال المسعودي فحدثني زكريا عن القاسم ابن عبد الرحمن أن ابن مسعود كان يلحق بهن : خائفاً مستجيراً مستغفراً راهباً راغباً اليك ، ثم رواه من وجه آخر عن المسعودي بنحوه انتهى

فاذا تبين لك كلام أئمة التفسير ، وأن الاستثناء في آية مريم لايفيد اثبات الملك ، والا كثر على أنه منقطع أو على القول بانه متصل فلا حجة فيه بل هو كقوله تعالى (يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) فالاستثناء دليل على حصولها ووقوعها ، لا على أنها تملك كسائر الاملاك المادية وكما يظنه أهل الجاهليـة ، وكما يقول هذا الملحد إن الله ملكهم الشفاعة فأي مانع من طلب شيء مما ملكوه باذنه تعالى ؟ إلى آخر كلامه . ومراده أنهم يملكونها كما يملك الملاك أموالهم فيتصرفون فيها بمـا يشاءون ، وهذا خلاف مادل عليه القرآن والسنة ، وأجمع عليه علماء الامة فانه قد دل القرآن والسنة واجماع الامة على أن الشفاعة بيده سبحانه ملكا له خاصة لا يتقدم أحد فيها الا باذنه ولا تنال الا من رضي قوله وعمله من أهل الايمان والتوحيد والاحاديث صريحة في أنه صلى الله عليه وسلم -وهو سيد الشفعاء- لايشفع ابتداء وأنه يحد له حداً ويعين له من أراد الله رحمته ، واكرام نبيه بالشفاعة فيه ، فهو عبد مأمور مدبَّر لامالك متصرف قال تعالى (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) وقوله (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) وقد تقدم الكلام فيها وأن بعض المفسرين قرر أن الاستثناء منقطع ليس فيه اثبات للملك فهو بمعنى الاستدراك من مضمون

الجملة ، ويدل على هذا نصوص الكتاب والسنة

قال شيخ الاسلام وقوله تعالى (قل لاأملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الاماشاء الله) فيه قولان قيل هو استثناء متصل ، وأنه يملك من ذلك ماملكه الله ، وقيل هو منقطع والمخلوق لايملك لنفسه نفعاً ولاضرا بحال ، فقوله(الاماشاء الله)استثناء منقطع أي لكن يكون من ذلك ماشاء الله ، كقول الخليل ، ولاأخاف ماتشركون به الاأن يشاء ربي شيئا ، أي لاأخاف أن تفعلوا شيئا لكن ان شاء ربي شيئا كان والا لم يكن والافهم لايفعلون شيئاً وكذلك قوله (لايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) ثم قال(إلا من شهد بالحق) فتنفعه الشهادة كقوله(لاتنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له)وقال تعالى(قل لله الشفاعة جميعاً) وبسط هذا له موضع آخر انتهى

اذا عرفت هذا فقول هذا الملحد فأي مانع من طلب شيءٍ مما ملكوه باذن الله تعالى ، فيجوز أن تطلب منهم أن يعطوك مما أعطاهم الله تعالى (فيقال) المانع من ذلك أنك قد أتيت بسبب يمنع حصولها ، والله سبحانه وتعالى لم يجعل الاستغاثة بغيره ودعاءه والالتجاء اليه سبباً لحصول اذن الله للشافع أن يشفع ، وانما السبب كمال التوحيد باخلاص الدعاء لله والاستغاثة به لا بغيره والطلب من الله تعالى أن يشفع فيه عبده لاطلبها من العبد ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى - ومن أنواعه - أي الشرك : طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا لمن استغاث به وسأله أن يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده فانه لايقدر أن يشفع له عند الله الا باذنه والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لاذنه وانما السبب كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها ، وهذه حال كل مشرك ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعادات أهل التوحيد ونسبة أهله الي التنقص بالاموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به وأنهم يوالونهم عليه وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم وما

نجا من شرك هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيد الله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه والهه ومعبوده ، فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستغاثته بالله والتجاءه الى الله واستعانته بالله وقصده لله متبعا لأمره متطلبا لمرضاته ،اذا سأل سأل الله واذا استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل لله فهو لله وبالله ومع الله انتهى

﴿ وأما قوله ﴾ وانما الممنوع هو طلب الشفاعة من الأصنام التي لاتملك شيئا منها .

﴿ فأقول ﴾ هذا لم يقله أحد من أهل العلم وانما هي شبهة عراقية وتعلقات خيالية ، لاتليق الا بعقول هؤلاء الوثنية الذين ليس لهم معرفة بالاحكام الشرعية فبعداً للقوم الظالمين

فصل

قال العراقي : ومنها مارواه ابن ماجة باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته الى الصلاة فقال : اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا اليك فاني لم أخرج اشراً ولا بطراً ولارياء ولاسمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك أن تنقذني من النار ، وأن تغفرلي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت» اقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون الف ملك فقد توسل النبي عليه الصلاة والسلام ، في قوله « اني أسألك بحق السائلين » عليك بكل عبد مؤمن وأمر أصحابه أن يدعوا بهذا الدعاء فيتوسلوا مثل توسله ولم يزل السلف من التابعين ومن تبعهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد

﴿ فالجواب ﴾ أن يقال هذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف قال شيخ الاسلام لكن بتقدر ثبوته هو من هذا الباب فان حق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم وحق المطيعين له أن يثيبهم فالسؤال له والطاعة له لحصول اجابته واثابته فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به ولو قدر أنه قسم لكان قسما بما هو

من صفاته فان إجابته وإثابته من أفعاله وأقواله فصار هذا كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الامام أحمد وغيره من الائمة الى آخر كلامه فتبين من كلام الشيخ أن السؤال بحق السائلين هو إجابتهم وسؤاله بحق الطائعين إثابتهم فيكون السائل بهاتين الصفتين سائلا بصفات الله فان الاجابة والاثابة من أفعاله وأقواله سبحانه وتعالى وسؤاله باسمائه وصفاته والتوسل بها ثابت بالكتاب والسنة قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وفي الحديث عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال « دعا الله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب » رواه الترمذي وأبو داود الى غير ذلك من الاحاديث وكذلك التوسل بالاعمال الصالحة كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة كما روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا الى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة فادعو الله بها لعله يفرجها » الحديث متفق عليه وهو في الصحيحين فليس في حديث أبي سعيد الخدري ما يدل على ما ادعاه هذا الملحد من التوسل بذوات الانبياء والاولياء والصالحين فضلا عن دعائهم والاستغاثة بهم والالتجاء اليهم وبهذا يتبين عدم معرفتهم بمعاني ما أنزل الله على رسوله ومعاني كلام رسوله وأن هذا المعترض وأشباهه أجانب من ذلك لا عهد لهم به ولا تمييز عندهم فالله المستعان

﴿ قال العراقي ﴾ ومنها قوله صلى الله عليه وسلم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي الى آخر الحديث رواه الطبراني في الكبير وصححه ابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه وفاطمة هذه أم علي كرم الله وجهه التي ربت النبي صلى الله عليه وسلم الى آخر كلامه

﴿ والجواب ﴾ أن يقال في سنده روح بن صلاح المصري ضعفه ابن عدي

وتصحيح الحاكم له لايجدي شيئاً فانه جمع في مستدركه من الاحاديث الضعيفة والمنكرة والموضوعة جملة كثيرة وقد روى فيه الجماعة من المجروحين في كتابه في الضعفاء وأما رواية الطبراني له فيقال لهذا الملحد كم في الطبراني حديث يخالف هذا ويدل على وجوب التوسل باسماء الله وصفاته وانابة الوجوه اليه فما أعمى عينك عنها ؟هل هناك شيء أعماها سوى الجهل والهوى ؟وقد تكلم في هذا الحديث غير واحد وقال شيخ الاسلام قد بالغت في البحث والاستقصاء فما وجدت أحداً قال بجوازه إلا ابن عبد السلام في حق نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أترى هذا الحديث خفي على علماء الامة لم يعلموا مادل عليه ثم لو سلمنا صحته أو حسنه ففيه ماسيأتي في حديث الأعمى أن المراد بدعاء نبيك الى آخره وأي وسيلة لذوات الانبياء لمن عصى أمرهم وخرج عما جاءوا به من التوحيد والشرع قال شيخ الاسلام فاذا قال الداعي أسألك بحق فلان- وفلان لم يدع له- وهو لم يسأله باتباعه لذلك الشخص أو محبته وطاعته بل بنفس ذاته وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب انتهى

فصل

﴿ قال العراقي ﴾ ومنها مارواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا ضريراً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني فقال «ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خيرلك» قال فادعه فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء« اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضي اللهم فشفعه فيّ» فعاد وقد أبصر وخرج هذا الحديث البخاري أيضا في تاريخه وابن ماجة والحاكم في المستدرك باسناد صحيح وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الضرير أن يناديه ويتوسل به الى الله في قضاء حاجته قد تقول الوهابية أن هذا انما كان في حياة

النبي صلى الله عليه وسلم فليس يدل على جواز التوسل به بعد موته فنجيب أن الدعاء هذا قد استعمله الصحابة والتابعون أيضا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم يدل عليه ما رواه الطبراني والبيهقي أن رجلا كان يختلف الى عثمان رضي الله عنه زمن خلافته في حاجة ولم يكن ينظر في حاجته فشكى الرجل ذلك لعثمان ابن حنيف فقال له إئت الميضاة فتوضأ ثم إئت المسجد فصل ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك الى ربك لتقضي حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضي الله عنه فجاءه البواب فأخذ بيده وأدخله على عثمان فاجلسه معه وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها فلما خرج الرجل من عنده لقي ابن حنيف فقال له جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته لي فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتاه ضرير فشكي اليه ذهاب بصره الحديث فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم على أن النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره فليست درجته دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالى بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون

والجواب أن يقال : هذا الحديث أعني حديث الاعمى غير محفوظ وفيه مقال مشهور ، وفي سنده أبو جعفر عيسى ابن ابي عيسى ابن ماهان الرازي التميمي قال الحافظ بن حجر في التقريب الاكثرون على ضعفه ، وقال احمد والنسائي ليس بالقوي ، وقال أبو حاتم صدوق ، وقال ابن المديني ثقة كان يخلط ، وقال مرة يكتب حديثه إلا أنه يخطيء وقال القلانسي سيء الحفظ ، وقال ابن حبان ينفرد بالمناكير عن المشاهير ، وقال أبو زرعة يهم كثيراً ، وقال الحافظ في التقريب أيضاً في ترجمة الرازي التميمي أبو جعفر الرازي التميمي مولاهم مشهور بكنيته واسمه عيسى ابن ابي عيسى عبد الله بن ماهان وأصله من مرو ، وكان يتجر إلى الري صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مغيرة من كبار السابعة مات في حدود الستين انتهى

وعلى تقدير صحته وثبوته فلا يدل على ما توهمه هذا الملحد ، وبيان هذا الحديث

يعلم انما توهمه هؤلاء الغلاة غير صحيح فقوله : اللهم اني اسألك أي أطلب منك وأتوجه اليك بنبيك محمد صرح باسمه مع ورود النهي عن ذلك تواضعاً منه لكون التعليم من قبله ، وفي ذلك قصر السؤال الذي هو أصل الدعاء على الله تعالى الملك المتعال ، ولكنه توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بدعائه ولذا قال في آخره : اللهم فشفعه فيّ إذ شفاعته لاتكون إلا بالدعاء لربه قطعاً ، ولو كان المراد التوسل بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب معنى اذ التوسل بقوله بنبيك كاف في افادة هذا المعنى فقوله : يامحمد اني توجهت بك إلى ربي ، قال الطيبي : الباء في بك للاستعانة . وقوله : اني توجهت بك بعد قوله أتوجه اليك فيه معنى قوله (من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه) فيكون خطابا لحاضر معاين في قلبه مرتبط بما توجه به عند ربه من سؤال نبيه بدعائه الذى هو عين شفاعته ، ولذلك أتى بالصيغة الماضوية بعد الصيغة المضارعية المفيد كل ذلك أن هذا الداعي قد توسل بشفاعة نبيه في دعائه فكأنه استحضره وقت ندائه انتهى

وقال شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم « والميت لايطلب منه شيء لادعاء ولا غيره ، وكذلك حديث الاعمى فانه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعته بنبيه فيه ، فهذا يدل على أن النبي شفع فيه وأمره أن يسأل قبول شفاعته ، وأن قوله اسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، أي بدعائه وبشفاعته كما قال عمر : كنا نتوسل اليك بنبينا ، فلفظ التوسل والتوجه في الحديثين بمعنى واحد ، ثم قال : يامحمد يارسول الله اني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها اللهم فشفعه في . فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه . وقوله : يامحمد يانبي الله ، هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب المشهود في القلب كما يقول المصلي : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، والانسان يفعل مثل هذا كثيراً يخاطب من يتصوره في نفسه ، وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب ، فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه

اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة ، يراد به التسبب لكونه داعياً وشافعاً مثلا ، أو لكون الداعي محباً له ، مطيعاً لأمره ، مقتديا به ،فيكون التسبب اما بمحبة السائل له ، واتباعه له ، واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ، ويراد به الاقسام به ، والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لامنه ولا من السائل ، بل بذاته أو بمجرد الاقسام به على الله ، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهواعنه ، وكذلك السؤال بالشيء قد يراد به المعنى الاول وهو التسبب لكونه سبباً في حصول المطلوب ، وقد يراد به الاقسام » إلى آخر ماقال رحمه الله اذا عرفت هذا فليس في حديث الاعمى مايدل على التوسل به ودعائه ، والالتجاء اليه بعدوفاته ، وانما فيه أنه توسل بدعائه كما كان الصحابة يتوسلون بذلك ويسألونه الاستغفار والدعاء

(وأما قوله) قد تقول الوهابية أن هذا انما كان في حياة النبي الخ فنقول نعم

(وقوله) فنجيب أن الدعاء هذا قد استعمله الصحابة والتابعون أيضاً بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم

فنقول : قد علمنا أنك أجبت كما أجاب من قبلك ، ولكن بجهام قد أهريق ماؤه فهو يرعد ويبرق ولا ماء فيه

(وأما قوله) يدل عليه مارواه الطبراني والبيهقي أن رجلا كان يختلف إلى عثمان وساق الحديث كما تقدم

(وجوابه) عما أجاب به أن هذا الحديث لايصح وفي سنده روح ابن صلاح وقد ضعفه ابن عدي ، بل قد قال بعضهم ان أمارات الوضع لائحة عليه فكيف يعارض به جميع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعمل أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وهل سمعت أحداً منهم جاء اليه بعد وفاته إلى قبره الشريف فطلب منه مالا يقدر عليه إلا الله وهم حريصون على مثل هذه المثوبات لاسيما والنفوس مولعة بقضاء حوائجها تتشبث بكل ماتقدر عليه ، فلو صح عند أحد منهم أدنى شيء من ذلك لرأيت أصحابه يتناوبون قبره الشريف في حوائجهم زمراً زمراً ، ومثل ذلك تتوفر الدواعي على نقله ، ولا وسع الله طريقاً لم يتسع للصحابة والتابعين وصلحاء علماء الدين ، نعم كان ابن عمر يأتي إلى القبر المكرم

ويقول : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك ياأبا بكر ، السلام عليك ياأبت ثم ينصرف ، وكذلك أنس وغيره ، فاذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة ، ثم اعلم ان هذا الحديث مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » وأما دعوى هؤلاء الغلاة أن الصحابة استعملوا هذا الدعاء بعد وفاته ، فان هـذا مما يعلم بالضرورة أنه من الكذب على الصحابة رضي الله عنهم ، ولو كان هـذا الاستعمال صحيحاً لتوفرت الهمم والدواعي على نقله ، ولما عدل الفاروق إلى التوسل بدعاء العباس ومعاوية بيزيد ابن الاسود الجرشي ، ولكان يمكنهم لو كان هذا الحديث صحيحاً معروفاً عندهم أن يتوسلوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يطلبون من العباس أن يدعو لهم ، ومما يوضح لك الامر وأن هذا الحديث غير صحيح أن رواته مختلفون في متنه وسنده مع أنه لم يذكر في شيء من الكتب المعتمدة ، وانما ذكره مثل البيهقي والطبراني والترمذي وأبي نعيم ، وهؤلاء يذكرون مثل هذه الاحاديث الضعيفة أو الموضوعة على وجه التنبيه ، وقد رأى علماء الاسلام الجهابذة النقاد ظلمات الوضع لائحة عليه فاعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه والله اعلم

(وأما قوله) فليست درجته دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالى أنهم أحياء عند ربهم يرزقون

فأقول : بل درجته فوق درجة الشهداء وأكمل حالا ، وما نال الشهداء تلك المنزلة إلا بالايمان به ، وتصديقه ، والجهاد معه وفي سبيله فله أجره وأجرهم وأجر من آمن به إلى يوم القيامة ولكنهم كما قال الله تعالى عند ربهم فهو أعلى منهم درجة ووسيلة وأقربهم اليه منزلة ، واذا كان لايدعى ، ولا يتوسل به بعد وفاته فهم من باب الاولى والاحرى

فصل

(قال العراقي) ومنها ما رواه البيهقي وابن أبي شيبة باسناد صحيح أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لأمتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأخبره انهم يسقون واستدلالنا هذا ليس بالرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم فان رؤياه وان كانت حقاً لا تثبت بها الاحكام لامكان اشتباه الكلام على الرائي وانما الاستدلال بفعل أحد أصحابه صلى الله عليه وسلم في اليقظة وهو بلال بن الحارث فانه أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وناداه وطلب منه أن يستسقي لامته

﴿ فالجواب ﴾ أن نقول قد كفانا مؤنة ايضاح عدم الاعتبار بالمنامات وأنه لا يثبت بها حكم شرعي لكن نقول هذا الحديث فيه مقال مشهور قال الحافظ في الفتح وروي ابن أبي شيبة باسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الداري وكان خازن عمر رضي الله عنه قال أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقيل له إئت عمر الحديث وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى في المنام المذكور هو بلال ابن الحارث المزني أحد الصحابة فعلم ان ما روي باسناد صحيح ليس فيه ان الجائي أحد الصحابة ومافيه أن الجائي أحد الصحابة ضعيف غاية الضعف قال الذهبي في الميزان سيف ابن عمر الضبعي الأسدي ويقال التميمي البرجمي ويقال السعدي الكوفي مصنف الفتوح والردة وغير ذلك هو كالواقدي يروي عن هشام بن عروة وعبد الله ابن عمر وجابر الجعفي وخلق كثير من المجهولين كان اخباريا عارفا روى عنه عبادة ابن المغلس وأبو معمر القطيعي والنضر بن حماد العتكي وجماعة قال عباس عن يحي ضعيف وروى مطين عن يحي: فليس خير منه قال أبو داود ليس بشيء وقال أبو حاتم متروك وقال ابن حبان اتهم بالزندقة وقال ابن عدي عامة حديثه منكر البيروني سمعت جعفر بن ابان سمعت ابن نمير يقول سيف الضبعي تميمي كان جميع يقول حدثني رجل من بني تميم ، كان سيف يضع الحديث وقد اتهم

بالزندقة انتهى ملخصاً قال الحافظ في التقريب سيف بن عمر التميمي صاحب الردة ويقال له الضبي ويقال غير ذلك الكوفي ضعيف في الحديث عمدة في الاخبار أفحش ابن حبان القول فيه انتهى وقال الذهبي في الكاشف قال ابن معين وغيره ضعيف وقال في الخلاصة سيف بن تميم الأسدي الكوفي صاحب الردة عن جابر الجعفي وأبي الزبير وعنه محمد بن عيسى الطباع وأبو معمر الهزلي ضعفوه انتهى فهذا ما قيل في حديث بلال بن الحارث الذي رواه البيهقي وابن أبي شيبة وان كان غير حديث بلال فغاية ما فيه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يأمره ان يأتي عمر فيأمره ان يخرج يستسقي بالناس وهذا ليس من هذا الباب الذي نحن بصدد الكلام فيه فان هذا قد يقع كثيراً لمن هو دون النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخ الاسلام « وأيضاً ما يروى أن رجلا جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الجدب عام الرمادة فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس فان هذا ليس من هذا الباب ومثل هذا يقع كثيراً لمن هو دون النبي صلى الله عليه وسلم وأعرف من هذا وقائع وكذلك سؤال بعضهم للنبي صلى الله عليه وسلم أو لغيره من أمته حاجة فتقضي له فان هذا قد وقع كثيراً وليس مما نحن فيه وعليك أن تعلم ان اجابة النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره لهؤلاء السائلين ليس هو مما يدل على استحباب السؤال فانه هو القائل صلى الله عليه وسلم «إن أحدهم ليسألني المسألة فأعطيه اياها فيخرج يتأبطها ناراً» فقالوا يارسول الله فلم تعطيهم قال «فيأبون الا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل» وأكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من ضيق الحال لو لم يجابوا لاضطرب إيمانهم كما أن السائلين في الحياة كانوا كذلك وفيهم من أجيب وأمر بالخروج من المدينة فهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر اما أنه يدل على حسن حال السائل فلا وفرق بين هذا وهذا انتهى فتبين من كلام العلماء ان الجائي الى قبر النبي ليس هو بلال بن الحارث كما زعمه المعترض لانه اعتمد على أن هذا فعل صحابي وحاشا لله من ذلك فانهم كانوا أعلم بالله وبدينه ورسوله وهم أبعد الناس عن سلوك مايتوهمه الغلاة فبطلت الشبهة العراقية ولله الحمد والمنة

فصل

(قال العراقي) ومنها ماذكر في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه من استسقاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا ، وفي المواهب اللدنية للعلامة القسطلانى أن عمر رضى الله عنه لما استسقى بالعباس رضى الله عنه قال يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس مايرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى

﴿ والجواب ﴾ أن نقول قد ثبت في صحيح البخاري عن أنس أن عمر استسقى بالعباس ابن عبد المطلب وقال ، اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وأنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون

قال شيخ الاسلام « فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وهو أنهم يتوسلون بدعائه وشفاعته فيدعو لهم ويدعون معه كالامام والمأمومين من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ، ولما مات صلى الله عليه وسلم توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به ، ولهذا قال الفقهاء ، يستحب الاستسقاء باهل الخير والدين ، والافضل أن يكونوا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد استسقى معاوية بين يد ابن الاسود الجرشي وقال ، اللهم أنا نستسقي بيزيد بن الاسود يايزيد ارفع يديك فرفع يديه ودعا ودعا الناس حتى أمطروا ، وذهب الناس ولم يذهب أحد من الصحابة الى قبر نبي ولا غيره يستسقي عنده ولا به انتهى

فهذا هو التوسل المشروع وهذا هو المنقول عن الصحابة لا كما يلفقه هؤلاء الغلاة من الاحاديث الموضوعة والمعلولة التي لاتثبت بها الاحكام الشرعية وأما ماذكره عن القسطلاني في المواهب اللدنية ، فلا شك أنه من الموضوعات لانه لم يذكره بسند يعتمد على مثله ، وفي المواهب اللدنية من الموضوعات والاحاديث المعلولة والأقوال المردودة ما لايحصى فلا يعتمد على مثل هذا النقل والله أعلم

فصل

ثم قال العراقي الملحد : لافرق في التوسل بين الأنبياء وغيرهم من الصلحاء بين كونهم أحياء أو أمواتا لانهم في كلا الحالتين لايخلقون شيئا وليس لهم تأثير في شيء وانما الخلق والايجاد والتأثير لله وحده لاشريك له في كل ذلك

﴿والجواب﴾ : أن نقول فيه كلام من وجوه (الاول) أنه يعتقد كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء أنهم يقدرون على مالا يقدر عليه الا الله جل جلاله ويفعلون مالا يفعله الا الله عز وجل حتى نطقت السنتهم بما انطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالا ويصرحون باسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعا زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء ،

(والثاني) أن مجرد عدم اعتقاد التأثير والخلق والايجاد والاعدام ، والنفع والضر إلالله لايبريء من الشرك ، فان المشركين الذين بعث الله الرسول اليهم أيضاً ، كانوا مقرين بان الله هو الخالق الرازق ، بل لابد فيه من اخلاص توحيده وأفراده ، واخلاص التوحيد لايتم الا بان يكون الدعاء كله لله ، والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ، ومنه لابغيره ولا من غيره وكذلك النذر والذبح والسجدة كلها تكون لله

(والثالث) أن مجرد كون الأحياء والأموات شركاء في أنهم لايخلقون شيئا وليس لهم تأثير في شيء ، لايقتضي أن يكون الاحياء والأموات متساويين في جميع الأحكام حتى يلزم من جواز التوسل بالأحياء جواز التوسل بالأموات وكيف وليس معنى التوسل بالاحياء الاالتوسل بدعائهم ، وهو ثابت بالاحاديث الصحيحة ، وأما التوسل بالاموات فلم يثبت بحديث صحيح ولا حسن انتهى من كلام بعض المحققين ، اذا عرفت ما تقدم فمن المعلوم أن الكفار الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلهم واستحل دماءهم وأموالهم كانوا مقرين أن الله هو الخالق الرازق المحي المميت النافع الضار الذي يدبر جميع الامور

ويعتقدون أن الله هو الفاعل لهذه الاشياء كلها ، وأنه لامشارك له في ايجاد شيء واعدامه ، وأنهم لايخلقون شيئاً وأنه ليس لهم تأثير في شيء، وانما الخلق والايجاد والتأثير لله وحده لاشريك له ، وانما كانوا يدعون الانبياء والملائكة والاولياء والصالحين ويلتجئون اليهم ، ويستغيثون بهم ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم إلى الله زلفى وليشفعوا لهم عنده ، لأنهم أقرب إلى الله وارفع درجة ومنزلة ، ولم يدخلهم ذلك في الاسلام وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون الدين كله لله ، والدعاء كله بالله، والذبح والنذر لله ، والاستغاثة والاستعانة والالتجاء اليه لالغيره ولامن غيره ، فالاقرار بتوحيد الربوبية وحده لايدخل في الاسلام بل لابد معه من توحيد الله بافعال العبد الصادرة منه من أنواع العبادة المتقدم ذكرها ، وهذا هو الذي قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كفار العرب

﴿ وأما قوله ﴾ وأما من يعتقد التأثير للأحياء دون الأموات فلهم أن يفرقوا بين التوسل بهم والتوسل بالاموات

﴿فاقول﴾ : لايجوز لاحد أن يعتقد أن الاحياء يقدرون على مالايقدر عليه إلا الله فان اعتقاد ذلك شرك واذا كان الأحياء لايقدرون على شيء من ذلك فالاموات بطريق الاولى وانما يجوز من الحي طلب الدعاء منه والاستغفار والتوسل بدعائه وشفاعته ، إذ هو قادر على ذلك ، وأما الميت فقد انقطع عمله ، وهو لايملك لنفسه ضراً ولا نفعا فضلا لمن استغاث به أو دعاه أو سأله أن يشفع له ، كما قال صلى الله عليه وسلم «اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» الحديث وهذا يدل على انقطاع الحس والحركة من الميت ، وان أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل ذلك على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلا عن غيره ، فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره ، وأما الاحياء القادرون على الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية ، في قتال أو ادراك عدو أو دفع سبع صائل وغيره فهذا لامانع منه ، وهذا ليس في قدرة الاموات(وما يستوي الأحياء ولا الأموات) ومن سوى بينهما فقد جمع بين مافرق الله بينه ، وكفى بذلك عتواً وعنادا

(واما قوله) أما نحن فنقول إن الله هو الخالق لكل شيء (والله خلقكم وما تعملون)

﴿فأقول﴾ كون الله تعالى هو الخالق لكل شيء وان الله خلق العبد وعمله كما قال تعالى (والله خلقكم وما تعملون) مما لا مرية فيه وهذا معروف من عقائد أهل السنة والجماعة وانما ينفي الفعل حقيقة عن فاعله ومن قام به القدرية المجبرة الذين يزعمون أن العبد مجبور وانه لا اختيار له ولا مشيئة كما هو مبسوط في موضعه فاذا زعمتم أن دعاء الأموات والاستغاثة بهم والالتجاء اليهم والتعلق عليهم انما هو باعتبار التسبب والكسب العادي وانما المستغاث به في الحقيقة هو الله فاسناد الغوث الى الله تعالى اسناد حقيقي باعتبار الخلق والايجاد والى الانبياء والصالحين اسناد مجازي ، فاذا كان ذلك كذلك لزم أن يكون اسناد أفعال العباد كلها الى الله تعالى حقيقيا فان اعتقاد أهل السنة والجماعة ان الخالق لافعال العباد هو الله تعالى وهذا يقتضي أن يتصف الله تعالى حقيقة بالايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وصلة الرحم وغير ذلك من الأعمال الحسنة ، وكذلك يتصف حقيقة بالأعمال السيئة ، من الكفر والفسوق والفجور والزنا والكذب والسرقة ، والعقوق وقتل النفس وأكل الربا وغيرها ، فانه تعالى هو الخالق لجميع الافعال حسنها وسيئها والتزام هذا فعل من لا عقل له ولا دين ، فانه يستلزم اتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث واجتماع الاوصاف المتضادة بل المتناقضة ، وأيضاً فانه لو كان مناط الاسناد المجازي اعتبار التسبب والكسب كما زعمتم ، لزم أن لا يكون الانسان حقيقة مؤمناً ولا كافرا ولا باراً ولا فاجرا ولا كاذباً ، فيبطل الجزاء والحساب ، وتلغو الشرائع والجنة والنار ، وهذا لا يقول به أحد من المسلمين ، واسناد أفعال العبد اليه حقيقة من اضافة الفعل إلى فاعله لا مجازا لا ينازع فيه من عرف شيئاً من اللغة فالعبد يفعل حقيقة ويأكل حقيقة ويشرب حقيقة ويهب حقيقة وينصر أخاه ظالما أو مظلوما حقيقة ، والله سبحانه خلق العبد وما يعمل

﴿ وأما قوله ﴾ فالوهابية التي تتظاهر بالذب عن التوحيد ، وتجوز التوسل بالاحياء قد دخل الشرك في توحيدها من حيث لا تدري لكونها اعتقدت تأثير الاحياء ، مع أنه لا تأثير في الحقيقة إلا الله تعالى

﴿ فأقول ﴾ هذا قول من لا يعقل ما يقول فان الوهابية ما أجازت من التوسل بالاحياء إلا ما فعله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، اللهم انا كنا إذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فتوسلوا بدعاء العباس ، كما كانوا يتوسلون بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فان كان هذا شركا دخل عليهم ، فقد دخل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان لم يكن شركا فالشرك هو العدول إلى من قد انقطع عمله ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا ، فكيف بمن دعاه واستغاث به

وأما التوسل بالاحياء فيما يقدرون عليه من الاسباب العادية فهذا مما لا خلاف في جوازه بين العلماء والله أعلم

﴿ وأما قوله ﴾ والتوسل والتشفع والاستغاثة بمآل واحد فانما المقصود منها التبرك بذكر أحباء الله الذين قد يرحم الله العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا فالموحّد الحقيقي هو الله تعالى ، وانما هؤلاء الاسباب عادية لا تأثير لهم في ذلك

﴿ فأقول ﴾ التوسل والتشفع الشرعي هو التوسل والتشفع بدعائهم في حال حياتهم وطلبهم من الله تعالى كما تقدم بيانه ، وأما بالمعنى الاصطلاحي المحدث وهو دعاؤهم والتبرك بهم والالتجاء اليهم وتعليق الآمال بفيض نوالهم فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فلا فرق بينه وبين الاستغاثة بهم ، بهذا الاعتبار وهذا هو الشرك سواء كان المدعو حيًا أو ميتا ، وسواء اعتقد التأثير أو لم يعتقد كما تقدم بيانه بأدلته فيما مضى

فصل

قال العراقي الملحد : وأما قول العامي من المسلمين ياعبد القادر أدركني ويابدوي المدد مثلا ، فيحمل على المجاز العقلي كما يحمل عليه قول القائل ، هذا الطعام أشبعني وهذا الماء أرواني ، وهذا الدواء شفاني ، فان الطعام لا يشبع ، والماء لا يروي ، والدواء لا يشفي ، حقيقة بل المشبع والمروي والشافي الحقيقي هو الله تعالى وحده وإنما تلك أسباب عادية ينسب لها الفعل لما يرى من حصوله بعدها في الظاهر

﴿فالجواب﴾ أن يقال: قد تقدم في كلام شيخ الاسلام قوله « فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول: ياسيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، أو أنا في حسبك ونحو هذه الاقوال أن هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل» إلى آخر كلامه وتقدم قوله: « وأيضاً فان من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعا » وقال صنع الله الحلبي: فمن اعتقد أن لغير الله من نبي، أو ولي، أو روح، أو غير ذلك في كشف كربة، وقضاء حاجة تأثيراً فقد وقع في وادي جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير، وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاشا لله أن تكون أولياء الله بهذه المثابة فهذا ظن أهل الاوثان كذا أخبر الرحمن (هم شفعاؤنا عند الله * مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى * أءتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لاتغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون) فان ذكر من ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الامداد منه اشراك مع الله اذ لاقادر على الدفع غيره ولا خير إلا خيره » انتهى وقال الامام ابن عقيل في فنونه « لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور وتخليقها، وطلب الحوائج من الموتى، ودس الرقاع في القبور فيها يامولاي افعل بي كذا وكذا » انتهى

(وقوله) فيحمل على المجاز العقلي

فيقال لهذا الملحد: الجواب من وجوه (الاول) أن هذه الالفاظ دالة دلالة مطابقة على اعتقاد التأثير من غير الله تعالى

(والثاني) لو سلم هذا الحمل لاستحال الارتداد وانسد باب الردة الذي يعقده الفقهاء في كل مصنف وكتاب من كتب أهل المذاهب الاربعة وغيرها، فان المسلم الموحد متى صدر منه قول أو فعل موجب للكفر يجب حمله على المجاز والاسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز

(والثالث) أنه يلزم على هذا أن لايكون المشركون الذين نطق كتاب الله بشركهم مشركين فانهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق ، الضار النافع وأن الخير والشر بيده ، لكن كانوا يعبدون الاصنام لتقربهم إلى الله زلفى ، فالاعتقاد المذكور قرينة على أن المراد بالعبادة ليس معناه الحقيقي ، بل المراد هو المعنى المجازي أي التكريم مثلا فما هو جوابكم فهو جوابنا

(والرابع) أن هؤلاء الذين أولتم عنهم في تلك الالفاظ الدالة على تأثير غير الله فما تفعلون في أعمالهم الشركية من دعاء غير الله ، والاستغاثة ، والنذر ، والذبح ، فان الشرك لايتوقف على اعتقاد تأثير غير الله ، بل اذا صدر من أحد عبادة من العبادات لغير الله صار مشركا سواء اعتقد ذلك الغير مؤثراً أم لا وقد تقدم الكلام على الاسباب العادية وما يقال فيها فيما مضى

(واما قوله) ومعظم الامة أجمعوا على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم، وبغيره من الصحابة والصالحين ، فقد صدر من كثير من الصحابة والعلماء من السلف والخلف

﴿فأقول﴾ أما اجماعهم على جواز التوسل بهم التوسل الشرعى بدعائهم وشفاعتهم في حال حياتهم فهذا حق ، وأما بعد وفاتهم فمعاذ الله وقد تقدم بيانه ، واما بالتوسل الشركي فهم مجمعون على كفر فاعله بعد قيام الحجة عليه لاينكره إلا مكابر

(وقوله) واجتماع أكثرهم على الحرام والاشراك لايجوز لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح وقيل المتواتر « لاتجمع أمتي على ضلالة » ولقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة

فأقول : المقصود بالامة في الحديث هم أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية المنصورون إلى قيام الساعة ، وهم المعنيون بقوله في الحديث الصحيح « وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » قيل يارسول الله من هم ؟ قال « من كان على مثل ماأنا عليه اليوم وأصحابي » فمن كان على مثل ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الامة الذين اجماعهم حجة وهم الفرقة الناجية ، قليلا كانوا أو كثيراً بخلاف عباد القبور المتخذين الانبياء

والاولياء ، والصالحين ولائج يدعونهم مع الله، ويشركونهم في عبادته ، ويستغيثون بهم في المهمات والملمات ، ويطلبون منهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، واغاثة اللهفات ، فهؤلاء ليسوا من أمة الاجابة الذين استجابوا لله والرسول ، بل هؤلاء مجتمعون على خلاف الكتاب والسنة مخالفون لما عليه الامة من أهل السنة والجماعة مجمعون على الضلالة

وقد قال الفضيل ابن عياض ما معناه: الزم طرق الهدى ، ولا يغرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ، ولا تغتر بكثرة الهالكين . وقال بعض السلف : اذا وافقت الشريعة ، ولاحظت الحقيقة ، فلا تبال وإن خالف رأيك جميع الخليقة .

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في اغاثة اللهفان « فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ، ولا من فقده اذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الاول (الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين وحسن أولئك رفيقا) منفرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق طلبه » إلى أن قال وما أحسن ما قال أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل في كتاب الحوادث والبدع حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه ، وإن كان المتمسك به قليلا ، والمخالف له كثيراً لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الاولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولا تنظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم قال عمر وابن ميمون الاودي صحبت معاذاً باليمن فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام ، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبدالله بن مسعود فسمعته يقول : عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ، ثم سمعته يوما من الايام وهو يقول : سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة ، وصلوا معهم فانها لكم نافلة ، فقلت : يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثونا ، قال : وما ذاك ؟ قلت : تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ، ثم تقول : صل الصلاة وحدك وهي الفريضة ، وصل مع الجماعة وهي النافلة . قال يا عمر وابن ميمون : قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية تدري ما الجماعة ، قلت : لا . قال : ان جمهور

الناس الذين فارقوا الجماعة ، الجماعة ماوافق الحق وإن كنت وحدك

وقال نعيم بن حماد : اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد ، وإن كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ . وعن الحسن قال : السنة والذي لاإله الا هو بين الغالي والجافي فاصبروا عليها رحمكم الله ، فان أهل السنة كانوا أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الاتراف في أترافهم ، ولا مع أهل البدع ، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم ، فكذلك انشاء الله فكونوا ، وكان محمد بن أسلم الطوسي الامام المتفق على امامته من اتبع الناس للسنة في زمانه حتى قال : مابلغني سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عملت بها ، ولقد حرصت أن أطوف بالبيت راكبًا فما مكنت من ذلك ، وسئل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الاعظم الذي جاء فيهم الحديث « اذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الاعظم » من السواد الاعظم . قال محمد بن أسلم الطوسي: هو السواد الاعظم انتهى . وكلام العلماء في الجماعة الذين هم السواد الاعظم كثير جداً ، وذكروا أنهم هم الذين كانوا على ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو ذهبنا نذكر أقوالهم لخرجنا عن المقصود بالاختصار . والمقصود أن الامة التي لاتجمع على ضلالة هم أهل السنة والجماعة وإن قلوا ، وأن الاكثرين هم الذين قال الله فيهم (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)

فصل

قال العراقي : ومن أدلة جواز الاستغاثة ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في قصة هاجر أم اسماعيل عليه السلام أنها لما أدركها وولدها العطش جعلت تسعى في طلب الماء فسمعت صوتاً ولا ترى شخصاً فقالت: أغث إن كان عندك غوث .فلو كانت الاستغاثة بغير الله شركا لما طلبت الغوث ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لاصحابه ولم ينكره

ولما نقله الصحابة من بعده وذكره المحدثون

﴿ والجواب ﴾ ان نقول الكلام فيمن يستغاث به عند الأمور التي لايقدر عليها الا الله أو سؤال ما لايعطيه إلا الله ولا يمنعه إلا الله وأما ماعدا ذلك مما يجري فيه التعاون والتعاضد بين الناس واستغاثة بعضهم ببعض في الامور العادية فهذا لا نمنع منه ونقول به وليس الكلام فيه ولفظ الاستغاثة لفظ مشترك بين مايجوز وبين ما لايجوز فاما ما يجوز فما قدمنا ذكره مما هو في مقدور العبد والذي لايجوز وفاعله يكون مشركا هو طلبها من الاموات والغائبين من الامور التي لايقدر عليها إلا الله كما نطقت بذلك الآيات والاحاديث النبوية وقصة هاجر قد أوردها البخاري في باب قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا من كتاب أحاديث الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمقصود من القصة أن هاجر عليها السلام لم تطلب إلا من حاضر محسوس وليس ما طالبته مما اختص طلبه بالله سبحانه فانها طلبت من المصوت ما يسد جوعتها ويروي غلتها كما يقول المنقطع في الطريق العادم الزاد والماء اذا مر عليه أحد وأحس به اغثني بما عندك من ماء وطعام واعطني مما تفضل الله به عليك من الانعام أفيقال لهذا إنه طلب ما لا يقدر عليه الا الله والتجأ في شدته الى من سواه فقاتل الله أهل الكفر والضلال كيف لعب الشيطان بعقولهم حتى أوردهم المهالك انتهى باختصار من قول بعض أهل التحقيق من أهل العلم

فصل

قال العراقي : ومنها ما رواه البخاري في حديث الشفاعة « أن الخلق بينما هم في هول القيامة استغاثوا بآدم ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى وكلهم يعتذرون ويقول عيسى اذهبوا الى محمد فيأتون اليه صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها الحديث فلو كانت الاستغاثة بالمخلوق ممنوعة لما ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم وأجاب المانعون أن هذا يكون يوم القيامة حيث يكون للنبي صلى الله عليه وسلم قدرة ورد عليهم أنهم في حياتهم الدنيوية لا قدرة لهم إلا بنوع التسبب فكذلك بعد الموت على أنهم أحياء في قبورهم يتسببون

﴿ والجواب ﴾ أن نقول قال بعض المحققين من أهل العلم في جوابه « إن استغاثة الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم وقبله بآدم ثم بنوح الى آخر حديث الشفاعة فهذه شفاعة بالدعاء والاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث مستحسنة عقلا وشرعا ومن ذلك الرفقة يستغيث بعضهم بعضاً أي في مهامهم التي يقدرون عليها وكذلك ما طلب الناس منه وهي الشفاعة التي هي الدعاء وكذلك يقول سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث فأجيء فاسجد وأنه يلهمه الله من الثناء والدعاء شيئاً لم يلهمه لغيره صلى الله عليه وسلم فعند ذلك يأذن الله بالشفاعة ويقول له كما ورد في الحديث يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وهذا ظاهر جداً وأما ما أورده على الجواب من أن للمستغاث بهم قدرة كسبية وتسبباً فتنسب الاغاثة اليهم بهذا المعنى سواء كانوا أحياء أم أمواتاً وسواء كانت الاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث أم لا مدفوع بان كون العبد له قدرة كسبية لا يخرج بها عن مشيئة رب البرية لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه الا الله ولا يستعان به ولا يتوكل عليه ولا يلجأ في ذلك اليه فلا يقال لاحد حي أو ميت قريب أو بعيد ارزقني أو أمتنى أو أحي ميتي أو اشف مريضي الى غير ذلك مما هو من الافعال الخاصة بالواحد الاحد الفرد الصمد بل يقال لمن له قدرة كسبية قد جرت العادة بحصولها ممن أهله الله لها أعني في حمل متاعي أو غير ذلك والقرآن ناطق بحصر الدعاء عن كل أحد لا من الاحياء ولا من الاموات سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم وسواء كان الدعاء بلفظ الاستغاثة أو بغيرها فان الامور الغير المقدورة للعباد لا تطلب الا من خالق القدر ومنشيء البشر كيف والدعاء عبادة وهي مختصة به سبحانه بقي ما أدلى به العراقي واضرابه علينا من حياة الانبياء ليتوصلوا به الى ترويج مدّعاهم من استحسان دعائهم وطلب إغاثتهم وأولوه بأن مرادهم من ذلك الاستشفاع طلب أن يدعوا لهم فنقول هذا حق ثابت فنعتقد حياتهم صلى الله تعالى عليهم وسلم حياة برزخية فوق حياة الشهداء وأن نبينا صلى الله عليه وسلم قد جعل عند قبره الشريف ملك يبلغه سلام المسلمين الذين عند ضريحه المكرم والنائين عنه وأن الانبياء جميعهم طريون لا تأكل الارض أجسامهم الشريفة ولكنا نمنع

أن يطلب منهم شيء فلا يسألوا شيئاً بعد وفاتهم سواء كان بلفظ الاستغاثة أو توجه أو استشفاع أو غير ذلك فجميع ذلك من وظائف الألوهية فلا يليق جعلها لمن يتصف بالعبودية من البرية فان ادعى أحد أن حياتهم صلى الله تعالى عليهم وسلم اذا ثبتت الرواية بها حقيقة كما هو الأصل في حمل الالفاظ على حقائقها ولم تثبت قرينة على التجوز بها فتبقى على حقيقتها أجبناه قائلين لاشك أنه لا يراد بهذه الحياة الحقيقية ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها من أعمال وتكاليف وعبادة ونطق وغير ذلك من وظائف الحياة وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها وبحصول الانتقال بالموت الحال به صلى الله عليه وسلم - وأرواحنا له الفداء - كما قال تعالى (انك ميت وانهم ميتون) وقال عز من قائل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل) الآية وحلول الموت به صلى الله عليه وسلم أمر لا يمكن انكاره - الى أن قال - نثبت الحياة الاخرى البرزخية وهي متفاوتة فحياة الشهداء فوق حياة المؤمنين وحياة الانبياء أعلى من حياة الشهداء فنقتصر على ما يثبت لها في النصوص القطعية من الاحوال المستحسنة المرضية » الى آخر كلامه وقد تقدم الكلام علي قوله فكذلك بعد الموت علي أنهم أحياء في قبورهم يتسببون وان الميت قد انقطع عمله فلا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فكيف بمن استغاث به وهذا ظاهر ولله الحمد والمنة

فصل

قال العراقي : ومنها ما رواه الطبراني عن زيد بن عتبة بن غزوان عن النبي صلي الله عليه وسلم قال « اذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني فان لله عباداً لا يراهم » لا يقال ان المقصود بعباد الله هم الملائكة أو مسلمو الجن أو رجال الغيب ، وهؤلاء كلهم أحياء فلا يستدل بالحديث على الاستغاثة بالاموات والكلام فيهم ، لانا نقول لا صراحة في الحديث بأن المقصود بعباد الله هم من ذكر لا غير ، ولو سلمنا فالحديث حجة

على الوهابية من جهة أخرى، وهي نداء الغائب الذي لم يجوزوه كنداء الميت ولا يفيد الوهابية طعنها ببعض رواة هذا الحديث فانه قد روي بطرق شتى يعضد بعضها بعضاً فقد رواه الحاكم في صحيحه وأبو عوانة والبزار بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ أنه قال « اذا انفلتت دابة أحدكم بارض فلاة فلينادي ياعباد الله احبسوا » وقد ذكر هذا الحديث شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه الكلم الطيب عن أبي عوانة في صحيحه وابن القيم في الكلم الطيب له والنووي في الاذكار والجزري في الحصن الحصين وغيرهم ممن لا يحصى من المحدثين وهذا لفظ رواية ابن مسعود مرفوعاً ورواية ابن مسعود موقوفاً عليه : فلينادِ أعينوني ياعباد الله

(والجواب) ان نقول كل أسانيد هذه الروايات لاتخلو من مقال وعلى تقدير صحتها فليس فيه الا نداء الاحياء والطلب منهم مايقدر هؤلاء الاحياء عليه وذلك مما لايجحده أحد ، وأين هذا من الاستغاثة باصحاب القبور الأولياء والصالحين وكون المراد بعباد الله رجال الغيب كما يزعم بعض المتصوفة فهو مردود بل هو من الخرافات ومثله زعم وجود الاوتاد والاقطاب والاربعين وما أشبه ذلك

(وأما قوله) ولو سلمنا فالحديث حجة على الوهابية من جهة أخرى وهي نداء الغائب الذي لم يجوزوه كنداء الميت

(فأقول) هذا مردود أيضاً بما سبق بان هؤلاء العباد ليسوا بغائبين وعدم رؤيتهم لايستلزم غيبتهم فانا لانرى الحفظة ومع ذلك فهم حاضرون ولا نرى الجن ومع ذلك فهم حاضرون وكذلك الشياطين والهواء ونحو ذلك فان علة الرؤية ليس هو الوجود فقط

قال العراقي : ونقل عن عبد الله بن أحمد حنبل قال سمعت أبي يقول حججت خمس حجج فضللت في إحداهن الطريق وكنت ماشياً فجعلت أقول يا عباد الله دلونا علي الطريق ، فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق فقل للوهابية التي تدعي نسبتها إلى الامام أحمد جاز له أن يطلب الدلالة علي الطريق من غير الله وهو غائب من غير أن يراه

والجواب أن نقول هكذا ذكره هذا العراقي ولم يعزه الى كتاب وقد رأيته

في الآداب الكبرى لابن مفلح عن ابن الامام أحمد(وجوابه) ماتقدم وهو أن هؤلاء العباد ليسوا بغائبين وعدم رؤيتهم لا يستلزم غيبتهم كما تقدم وهذا لايفيده شيئاً غير ماتقدم إيضاحه

ثم قال العراقي ومن شبه الوهابية في تكفير من استغاث ونادى غائباً من نبي أو ولي قد مات ان الذين ينادون نبياً أو ولياً مستغيثين به قد يكون نداؤهم في أماكن متعددة في زمان واحد ويكون عددهم كثيراً جداً مما يبلغ مئات ألوف وهم يعتقدون أن المستغاث به يحضر حين ندائه في ذلك الآن وهذا بصرف النظر عن كونه كفرا وشركا لما فيه من جعل ذلك المنادى، موصوفا بما هو من صفات الرب عز وجل ممتنع عقلا فمن البديهي أن الجسم الواحدلا يكون في زمان واحد موجوداً في أماكن متعددة

قال والجواب انه ليس من معتقد المسلمين حضور المنادى بشخصه حين ندائه في الاماكن المتعددة فان ذلك المعتقد كفر وذلك الحضور محال وانما المعتقد حضور البركة بخلق الله تعالى إياها في تلك الاماكن المتعددة لطفاً منه ورحمة بالمستغيث لكرامة المستغاث به وليس في ذلك محال فان رحمة الله تعالى واسعة ليس لها حد

﴿والجواب﴾ أن يقال (أولا)نعم ليس هذا من معتقد المسلمين وحاشا لله بل هو من معتقد من أشرك بالله غيره في عبادته ويقال (ثانياً)دعوى حضور البركة بخلق الله تعالى إياها في تلك الاماكن المتعددة دعوى مجردة عن الدليل وكيف يكون ذلك وقد قال تعالى (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم)وقال تعالى(فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين) وهذا كما هو بين في القرآن فهو بعيد في العقل فاذا كان المدعو في حال حياته واجتماع حواسه وحركاته لا يسمع من دعاه على البعد ولو مسيرة فرسخ فكيف يجوز في عقل من له أدنى مسكة من عقل انه اذا مات وفارقت روحه جسده وذهبت حواسه وحركته بالكلية وصار رهيناً في الثرى جسداً بلا روح انه والحالة هذه يسمع من البعيد ولو مسيرة

شهر أو أكثر ويجيب فكل عقل صحيح يحيل ذلك ويعلم أنه من أمحل المحال لكن هؤلاء المشركون فسدت عقولهم وفطرهم وزين لهم الشيطان مايعتقدون من الكذب والمحال والشرك والضلال حتى آل الامر بهم الى أن زعموا في معتقدهم حضور البركة بخلق الله تعالى اياها في تلك الاماكن المتعددة لطفاً منه ورحمة بالمستغيث به لكونه أشرك في عبادة الله غيره ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (فان قيل) ان هذا الذي أردناه من هؤلاء الاموات يحصل لنا من أرواحهم قيل وهذا منتف في العقل كما نفاه القرآن وذلك ان أرواح الانبياء والصالحين في أعلى عليين فيمتنع عقلا وشرعاً وفطرة وقدرا أن الارواح التي فوق السموات السبع وفي أعلى عليين انها تسمع دعاء أهل الارض وتنفعهم وتتصرف فيهم هذا محال قطعاً وضلال مبين فان الله قال (وهم عن دعائهم غافلون) فكل من دعي من الاموات والغائبين والانبياء والصالحين فمن دونهم غافل عن دعاء داعيه بنصوص القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فسبحان من أنزل كتابه روحا وهدى ونوراً وبرهاناً يهتدي به من هداه الله الى صراطه المستقيم

فصل

ثم قال العراقي : ثم ان الوهابية لما رمت المسلمين بهذا المعتقد الذين هم براء منه ساقت على بطلانه ما ذكره الفقهاء في شرائط النكاح وذلك انهم قالوا لو تزوج رجل امرأة بشهادة الله ورسوله لاينعقد النكاح وقالت لو كان النبي يعلم نداء المستغيث به اذا ناداه من بعيد لكان علام الغيوب ولصح انعقاد النكاح الذي قال الفقهاء ببطلانه . ثم لم يأت بجواب ينقض على الوهابية الا عدم حضور المستغاث عند ندائه وانه لايعتقد هو والمشركون الداعون غير الله علم الغيب لأحد ثم اعتذر عن عدم انعقاد النكاح انه صيانة لحقوق الزوجية وبما ذكر بعده مما لاينقض على الوهابية مدعاهم لكن تجارى به كفره وعناده الى أن قال وحينئذ لايمكن لأحد الخصمين ان يثبت دعواه بشهادة الله ورسوله إذ نحن

لو فرضنا ان الله — تعالى عما يقول الظالمون — جسم ينزل الى السماء الدنيا كما زعمت الوهابية نقول ماجرت عادته تعالى أن ينزل الى غرفة الحاكم فيؤدي شهادته أمامه حسما لنزاع المخاصمين فتعالى الله وتقدس عن كفر هذا العراقي والحاده وجرأته على الله وعلى شرعه كيف تجارى به كفره الى هذه المقالة والوهابية لايقولون ان الله تعالى جسم كما تقدم بيانه بل يثبتون لله تعالي ماأثبته لنفسه وأثبته له رسوله ولا يشبهون الله بخلقه فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ماوصف به نفسه أو وصفه به رسوله فقد كفر وليس ماوصف الله به نفسه ووصفه به رسوله كفراً

ثم قال العراقي الملحد قد علمت أن الوهابية كفرت من نادى غير الله تعالى كقوله يارسول الله ونحو ذلك ونحن اذا أمعنا النظر رأينا أن كفر هذا الذي يقول يارسول الله مثلا لايخلو إما أن يكون لأنه يعتقد أن من ناداه يحضر بنفسه حين ندائه ويسمع نداءه ويقضي بنفسه له حاجة وينجيه من الورطة التي ناداه من أجلها أو يكون لأنه يعتقد ان الذي يناديه يسمع نداءه باسماع الله اياه بمحض قدرته وان الله تعالى لاغيره يقضي حاجته ببركة ذلك المنادي وأن الله تعالى ينجيه من الورطة التي هو فيها بجاه ذلك النبي وعلى كلا التقديرين ففيه من السقط مافيه أما الأول فلان من اعتقد أن أحداً غير الله تعالى يقضي الحاجة وينجي من الورطة فقد كفر سواء نادى ذلك الاحد أو لم يناده فلا وجه لتخصيص كفره بحالة النداء وأنت تعلم أن لاأحد من المسلمين يعتقد هذا المعتقد وأما الثاني فلان من كان قلبه عريقا بالايمان معتقداً أن الذي يقضي الحوائج وينجي من المهالك انما هو الله تعالى لاغيره لايجوز أن يكون كافراً بمجرد نداء غائب معتقداً أن الله سبحانه يخلق فيه السماع

﴿والجواب﴾ أن نقول اذا نادى المشرك من يدعوه من دون الله في قضاء حاجة من حوائجه ولينجيه من الورطة التي ناداه من أجلها فقد أشركه مع الله في عبادته التي هو مختص بها سواء اعتقد حضوره حين نداه وسماعه له أو لم يعتقد أو اعتقد انه يقضي حاجته بنفسه أو لم يعتقد فمن فعل هذا فهو كافر مشرك لأن

الله تعالى قد نفي سماع من يدعونه ونفى استجابته لهم وأخبر أن من يدعونه غافلا عن دعائهم قال تعالى (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وقال تعالى (وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) والكفار الجهال يعلمون ان الله هو الخالق وأن الأمور كلها بيده وأنه النافع الضار وأنه هو الذي يجيب المضطر اذا دعاه ولكنهم ما أرادوا إلا الجاه والشفاعة ممن يدعونه فما يقوله هؤلاء هو كما يقوله من قبلهم من الكافرين سواء بسواء

وأما الجواب عن الثاني فلأن من كان قلبه عريقا بالايمان لا يدعو مع الله أحداً بل يخلص الدعاء لله وحده ولا يشرك معه أحداً سواه (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فان من دعا مع الله أحدا من خلقه وأشركه معه في عبادته لا ينفعه اعتقاده ان الله هو القادر على خلق الاشياء وهو يشرك معه غيره (فان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة)

فصل

قال الملحد ومن الجهل ما قالته الوهابية هنا من أن الشرع يحكم بالظاهر والظاهر من نداء أحد لغير الله انه يعتقد في ذلك الغير علماً محيطاً بالغيب وقدرة بالغة على قضاء الحوائج وتصرفا تاماً في الكون مما هو مختص بالباري عز وجل ويكون اعتقاده في كفره كفراً وشركا

قال : والجواب أن الظاهر من حال من نادى غير الله تعالى يدل على أنه نادى غير الله فقط لأنه اعتقد فى ذلك الغير قدرة ، وقضاء للحوائج وغير ذلك مما ذكرته الوهابية ، والاعتقاد أمر باطني قد يدل بعض الظاهر عليه لكن النداء ليس من قبيلها ، فقل للوهابية التي تجعل ظاهر النداء دالا على الشرك والكفر ما لكم لا تنظرون إلى ما للمسلم الذي تكفرونه من ظاهر الصلاة والصوم والزكاة وغير ذلك من أركان الدين ، فتعدونه دالا على إيمانه ، وحسن اعتقاده ، ومن

العجيب أن ذلك المسلم الذي ينادي يصرح بعدم اعتقاده القدرة وماشا كلها لمن ناداه وأنتم مع ذلك تجعلون ظاهر ندائه دالا على ذلك الاعتقاد الذي نفاه عن نفسه ، فليت شعري أي حكم لاستدلالكم بظاهر نداء الرجل على سوء اعتقاده في مقابلة تصريحه لكم بحسن مايعتقده

﴿والجواب﴾ أن نقول سبحان من طبع على قلوب أعدائه حتى رأوا حسنا ماليس بالحسن فان من نادى غير الله ودعاه والتجأ اليه واستغاث به لا يدعوه ولا يلجأ اليه ، ويستغيث به الا لما يعتقد أنه ينفعه ويسمع دعاءه ويغيثه ، لان الاستغاثة طلب الغوث ، وهو ازالة الشدة ، واذا طلب العبد هذا من غير الله فقد أشرك بالله في عبادته غيره ، لان الله هو المختص بهذه الاشياء سواء اعتقد التأثير منه أو لم يعتقد ولا ينفعه ذلك مع وجود الشرك ، والنداء المجرد من غير اعتقاد لا يتصور وقوعه إلا من مجذوب العقل الذي ينطق بما لا يعقل

﴿ وأما قوله ﴾ (مالكم لا تنظرون الى ما للمسلم الذي تكفرونه من ظاهر الصلاة والصوم والزكاة إلى آخره)

﴿ فنقول ﴾ اذا أشرك بالله في عبادته غيره لا تنفعه الصلاة والصوم والزكاة وغيرها من الاعمال الظاهرة ، ولا تدل على حسن باطنه وهو عري من التقوى واخلاص الدين لله وحده ، قال الله تعالى (وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثورا) يوضحه أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويصومون ويزكون ويجاهدون مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن ظاهر الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والجهاد دالا على حسن اعتقادهم ، بل كانوا في الدرك الأسفل من النار تحت عبدة الأوثان والصلبان

وأما جعلنا ظاهر ندائه دالا على ذلك الاعتقاد ، وان نفاه عن نفسه فلأنه لا يكون في العقل أن من دعا غير الله لا يعتقد أنه لا يرجو بدعائه طلب نفع أو دفع ضر أو قضاء حاجة ممن يدعوه ، فاذا اعتقد ذلك فيمن يدعوه فلا ينفعه ، أن ذلك انما يكون ببركة من يدعوه لجاهه عند الله وأن الله هو الفاعل لذلك

خلقاً وإيجاداً مع وجود السبب الداعي إلى الشرك المنافي للتوحيد لانه لافرق بين الدعاء والنداء ، فمن دعا أو نادى غير الله فقد أشرك ذلك المنادى المدعو مع الله في عبادته لان المشركين الاولين لم يريدوا إلا الشفاعة بجاه من يدعونه وببركته

﴿قال العراقي الملحد﴾ — الوهابية وتكفيرها من زار القبور —

لو سأل سائل عما تمذهبت به الوهابية ماهو وعن غايته ماهي فقلنا في جواب كلا السؤالين هو تكفير كافة المسلمين لكان جوابا على اختصاره تعريفا كافيا لمذهبها ، وأن من أنعم النظر فيما جاءت به رآها تتحرى في كل مسألة تكفير كافة المسلمين الذين رضي الله لهم الاسلام دينا فقد كفرتهم لتنزيههم الله تعالى عن الجسمية ، و كفرتهم لتقايدهم الائمة المجتهدين في الدين وكفرتهم لاستشفاعهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوسلهم به إلى الله تعالى و كفرتهم لزيارتهم القبور

﴿والجواب﴾ أن نقول : الله أكبر على هؤلاء الملاحدة الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ويفسدون في الارض والله لايحب المفسدين ، فلو سأل سائل عما تمذهبت به هؤلاء الغلاة النافون لعلو الله على عرشه المعطلون لاسمائه وصفاته الجاحدون لصفات كماله ، ونعوت جلاله المشركون بالله في عبادته غيره من مخلوقاته ، وعن غاية ماتريد بذلك قلنا هو الكفر الذي أجمع المسلمون على كفر من قام به ذلك ، ونطق القرآن والسنة بكفر من فعل ذلك واعتقده كما قدمناه بادلته من الكتاب والسنة واجماع العلماء

وأما الوهابية : فيعتقدون أن الدين الذي رضيه الله للمسلمين هو دين الاسلام ومنه أن الله تعالى على عرشه ، بائن من خلقه ، ويعتقدون أن الله تعالى له وجه ويدان ، وأن الله تعالى يرى في الآخرة كما يرى القمر ليلة البدر ، وكما ترى الشمس صحواً ليس من دونها سحاب ، وأن الله ينزل الى السماء الدنيا كل آخر ليلة فينادي هل من سائل فاعطيه ، هل من مستغفر فاغفر له ، هل من داع فاجيبه حتى ينفجر الفجر ، وأن الله يشار اليه بالأصبع أشارة حسية ، كما أشار اليه أعرف الخلق به في أعظم مجمع وجد على ظهر الارض ، وأن الله تعالى يوم القيامة يجعل السموات على أصبع ، والارضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والماء على أصبع ، والثرى

على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ، فيقول أن الملك كما صحت بذلك الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى غير مما جاء في الكتاب والسنة مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من غير تشبيه ولا تمثيل ، ومن غير تكييف ولا تعطيل وأما الجسمية فلا يقولون بها نفياً ولا إثباتاً ، لانه يراد بها معنى صحيح ومعنى باطل ولانه لم يرد بذلك قرآن ولا سنة ولا نطق بذلك الصحابة ولا التابعون ولا الائمة المهتدون ، وأما زعمه أنهم كفروا من أخذ بالاجماع وكفروا من قلد الائمة المجتهدين فمن الكذب الواضح والافك الفاضح ، وأما تكفيرهم من دعا الانبياء والاولياء والصالحين والتجأ اليهم واستغاث بهم في مهماته وملماته ، وسمى ذلك تشفعاً وتوسلا فلكون ذلك هو الشرك الصريح المخرج من الملة بدلائل الكتاب والسنة واجماع علماء الأمة من أئمة السلف ومن تبعهم باحسان بعد قيام الحجة على من فعل ذلك

فصل

﴿ قال الملحد ﴾ لايخفى على البصير أن زائر القبور يقصد بزيارتها ، إما الأستشفاع والتوسل إلى الله بأصحابها والتبرك بهم كما في زيارة قبور الأنبياء والاولياء ، وأما الاعتبار بالقوم الماضين تمكيناً للخضوع من قلبه ونيلا للأجر بقراءة الفاتحة والدعاء لهم بالمغفرة ، كما في زيارة قبور المسلمين أو يقصد تذكر من مات من ذويه الاقربين وأحبائه الراحلين وأعزته الذين غالتهم يد المنون فاسكنتهم القبور بعد القصور فذهبوا عنه ذهابا ليس وراءه إياب وغادروه كئيبا يندب الاسى ولسان حاله يقول :

ألا يا راحلا عنا مجداً على مهل فديتك من مجد
فلا تعجل وسر سير الهوينا لانك راحل من غير عود

وتدفعه احساساته الى زيارة قبورهم فيقف على دوارس أجداثهم حزينا يسكب على ترابها عبرات الاسف ولسان حاله ينشد :

ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا
كم من أخ لي صالح بوءته بيدي لحدا

وليس في كل هذا مايستلزم تكفير المسلم الذي شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ولا أظن أن الجاهل الغر من الناس فضلاعن العالم المتشرع تدفعه جهالته أن يقصد بزيارة القبر عبادته ، وأن يعتقد كونه يقضي حاجته فيخلق له مايريد

﴿ والجواب ﴾ أن يقال : لايخفى على البصير أن زائر القبور يقصد بزيارتها الاستشفاع والتوسل إلى الله بأصحابها والتبرك بهم ، كما في زيارة قبور الانبياء والاولياء ودعائهم هي الزيارة الشركية التي ذكرها العلماء كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في إغاثة اللهفان « وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ من عباد الاصنام قالوا الميت المعظم الذي لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله تعالى لا يزال تأتيه الالطاف من الله تعالى ويفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له ، قالوا : فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله وإقباله عليه بحيث لايبقى فيه التفات إلى غيره وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه، وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما ، وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها وقالوا إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية فاض عليها منها النور ، وبهذا السر عبدت الكواكب واتخذت لها الهياكل وصنفت لها الدعوات واتخذت الأصنام المجسدة لها ، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعياداً وتعليق الستور عليها ، وايقاد السرج عليها ، وبناء المساجد عليها ، وهو الذي قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إبطاله ومحوه بالكلية وسد الذرائع المفضية اليه فوقف المشركون في طريقه وناقضوه في قصده ، وكان صلى الله عليه وسلم في شق وهؤلاء في شق ، وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي ظنوا ان آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله تعالى قالوا : فان العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله وتوجه بهمته اليه وعكف بقلبه صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان فهو شديد التعلق به

مما يحصل لذلك السلطان من الانعام والافضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به ، فهذا سر عبادة الاصنام ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بابطاله وتكفير أصحابه ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم وأوجب لهم النار ، والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله وإبطال مذهبهم قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء ؟ قل : أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ، قل : لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والارض) فأخبر ان الشفاعة لمن له ملك السموات والارض وهو الله وحده ، فهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده ، فيأذن هو لمن يشاء ان يشفع فيه فصارت الشفاعة في الحقيقة انما هي له والذي يشفع عنده انما يشفع باذنه له وامره بعد شفاعته سبحانه وهي ارادته من نفسه ان يرحم عبده ، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم ، وهي التي أبطلها سبحانه في كتابه بقوله (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) وقوله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقال تعالى (وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون) وقال (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) فأخبر سبحانه انه ليس للعباد شفيع من دونه ، بل إذا أراد الله سبحانه رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه كما قال تعالى (ما من شفيع الا من بعد إذنه) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيعاً من دونه بل شفيع باذنه والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور ، فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك فانه لا شريك له والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له ويقول اشفع في فلان ، ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وأخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه ، وهم الذين ارتضى الله سبحانه قال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) فأخبر

انه لايحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضاه قول المشفوع له وإذنه للشافع فيه ، فأما المشرك فانه لايرتضيه ولايرضى قوله فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه ، فانه سبحانه علقها بأمرين : رضاه عن المشفوع له ، واذنه للشافع ، فما لم يوجد مجموع الامرين لم توجد الشفاعة ، وسر ذلك ان الامر كله لله وحده ، فليس لأحد معه من الامر شيء ، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون ، وهم عبيد محض لايسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيئاً إلا بعد اذنه لهم وأمرهم ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً فهم مملوكون مربوبون ، أفعالهم مقيدة بأمره واذنه فاذا أشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منه انه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو أجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه ، فان هذا ممتنع شبيه قياس الرب تعالى على الملوك والكبراء حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج ، وبهذا القياس الفاسد عبدت الاصنام واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي ، والفرق بينهما هو الفرق بين المخلوق والخالق والرب والعبد والمالك والمملوك والغني والفقير والذي لاحاجة به إلى أحد قط والمحتاج من كل وجه الى غيره ، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فان قيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام الملك والكبراء بهم ، ولولاهم ما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس ، فلحاجتهم اليهم يحتاجون الى قبول شفاعتهم وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع لأنهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتنقص طاعتهم لهم ويذهبون الى غيرهم فلا يجدون بداً من قبول شفاعتهم على الكره والرضا ، فأما الغني الذي غناه من لوازم ذاته وكل ماسواه فقير اليه بذاته وكل من في السموات والارض عبيد له مقهورون بقهره مصرفون بمشيئته لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وآلهيته مثقال ذرة . وذكر آيات في المعنى ثم قال – فتبين ان الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يعرفها الناس ويفعلها بعضهم مع بعض ، ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على أنها هي المعروفة المتعاهدة عند الناس ، ويقيدها تارة بأنه لاتنفع الا بعد اذنه – الى أن قال : فمتخذ الشفيع مشرك لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب

وحده الـهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوه ومخوفه الذي يتقرب اليه ويطلب رضاه ويتباعد من سخطه هو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع فيه» وذكر الآيات فى ذلك وذكر كلاما حسناً تركناه لطلب الاختصار

(وأما قوله) واما الاعتبار بالقوم الماضين الى آخره

﴿ فأقول ﴾ قد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى الزيارة الشرعية وليس لنا أن نتقدم بين يديه لانه قد جاء بما يكفي ويشفي وهو من أئمة المسلمين والعلماء المجتهدين. قال رحمه الله تعالى بعد ذكر المفاسد العظيمة باتخاذ القبور أعياداً «ومنها أن الذي شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور انما هو تذكر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له فيكون الزائر محسناً الى نفسه والى الميت فقلب المشركون هذا الامر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء به وسؤالهم حوائجهم واستنزال البركات منه ونصره لهم على الاعداء ونحو ذلك فصاروا مسيئين الى نفوسهم والى الميت ولو لم يكن إلا مجرد ما به تركه ما شرعه الله من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له فاسمع الآن زيارة أهل الايمان التي شرعها الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ثم وازن بينها وبين زيارة أهل الاشراك التي شرعها لهم الشيطان واختر لنفسك قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلتي منه يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد »رواه مسلم وفي صحيحه عنها أيضاً أن جبريل أتاه فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قالت قلت كيف أقول يا رسول الله قال قولي « السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون»

وفي صحيحه أيضاً عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا «السلام على أهل الديار – وفي لفظ السلام عليكم أهل الديار – من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون

نسأل الله لنا ولكم العافية» وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجرا» رواه أحمد والنسائي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى الرجال عن زيارة القبور سداً للذريعة فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه ونهاهم أن يقولوا هجرا فمن زارها على غير الوجه المشروع الذي يحبه الله ورسوله فان زيارته غير مأذون فيها ومن أعظم الهجر الشرك عندها قولا وفعلا وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «زوروا القبور فانها تذكركم الموت» ثم ذكر أحاديث نحوا مما تقدم ثم قال فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وعلمهم اياها هل تجد فيها مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه وما أحسن ما قال مالك ابن أنس رحمه الله لن يصلح آخر هذه الامة إلا ما أصلح أولها ولكن كلما ضعف تمسك الامم بعهود أنبيائهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان أحدهم اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر ثم دعا فقال سلمة ابن وردان رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسند ظهره الى جدار القبر ثم يدعو ونص على ذلك الأئمة الأربعة أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر فان الدعاء عبادة وفي الترمذي وغيرها مرفوعاً الدعاء هو العبادة ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام على أصحابها والاستغفار لهم والترحم عليهم وبالجملة فالميت قد انقطع عمله فهو محتاج الى من يدعوا له ويشفع له ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء له وجوبا أو استحبابا ما لم يشرع مثله في الدعا للحي قال عوف بن مالك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول «اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس وابدله داراً خيراً من داره وأهلا خيراً من أهله وزوجا خيراً من

زوجه وادخله الجنة وأعذه من عذاب القبر أو من عذاب النار » حتى تمنيت أن أكون أنا الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الميت رواه مسلم وذكر أحاديث نحو هذا ثم قال فهذا مقصود الصلاة على الميت وهو الدعاء له والاستغفار له والشفاعة فيه ومعلوم أنه في قبره أشد حاجة منه على نعشه فانه حينئذ معرض للسؤال وغيره وقد كان عليه السلام يقف على القبر بعد الدفن فيقول «سلوا له التثبيت فانه الآن يسأل فعلم انه أحوج الى الدعاء له بعد الدفن فاذا كنا على جنازته ندعو له لا ندعو به ونشفع له لا نستشفع به فبعد الدفن أولى وأحرى فبدل أهل البدع والشرك قولا غير الذي قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إحسانا إلى الميت واحسانا الى الزائر وتذكيراً بالآخرة سؤال الميت والاقسام به على الله وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذى هو مخ العبادة وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد وأوقات الأسحار ومن المحال أن يكون دعاء الموتى أو الدعاء بهم أو الدعاء عندهم مشروعا وعملا صالحا ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل القبور بضعا وعشرين سنة حتى توفاه الله تعالى وهذه سنة خلفائه الراشدين وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان هل يمكن بشراً على وجه الارض أن يأتي عنهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع انهم كانوا اذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا فضلا أن يصلوا عندها أو يسألوا الله باصحابها أو يسألوهم حوائجهم فليوقفونا على أثر واحد أو حرف واحد في ذلك بل يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك أكثر حتى لقد وجد في ذلك مصنفات ليس فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك بلى فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمناه من الأحاديث وأما آثار الصحابة فاكثر من أن يحاط بها ثم ذكر رحمه الله قصة

الرجل الذي وجد في بيت مال الهرمزان ثم قال في هذه القصة مافعله المهاجرون والانصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله فهم قد اتخذوا من القبور أوثانا من لا يداني هذا ولا يقاربه وأقاموا له سدنه وجعلوها معابد أعظم من المساجد فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحا لنصب المهاجرون والانصار هذا القبر علماً لذلك ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم وكذلك التابعون لهم باحسان راحوا على هذا السبيل وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا عنده ولا استسقى به ولا استنصر به ومعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ما هو دونه وحينئذ فلا يخلو إما أن يكون الدعاء عندها والدعاء بأربابها أفضل منه في غير تلك البقعة أو لا يكون فان كان أفضل فكيف خفي علما وعملا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم وتظهر به الخلوف علماً وعملا ولا يجوز أن يعلموه ويزهدوا فيه مع حرصهم على كل خير لاسيما الدعاء فان المضطر يتشبث بكل سبب وان كان فيه كراهة ما فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه هذا محال طبعاً وشرعاً فتعين القسم الثاني وهو انه لا فضل للدعا عندها ولا مشروع ولا مأذون فيه بقصد الخصوص بل تخصيصها بالدعاء عندها ذريعة الى ما تقدم من المفاسد ومثل هذا مما لا يشرعه الله ورسوله البتة بل استحباب الدعاء عندها شرع عبادة لم يشرعها الله ولم ينزل بها سلطانا » الى آخر الفصل فهذا كلامه رحمه الله في الدعاء عندها والدعاء بأربابها فكيف بدعائهم وطلب الحوائج منهم والاستغاثة بهم كما تقدم في أول كلامه

فصل

ونذكر نموذجا من معتقد عباد القبور والصالحين وحقيقة ماهم عليه من الدين ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالأمن إن كان الواقف ممن اختصه الله بالفضل والمن ولئلا يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعاً وتوسلا قال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان « فمن مفاسد اتخاذها أعياد الصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على تربتها وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً وقد نزلوا عن الاكوار والدواب اذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الارض وكشفوا الرؤوس وارتفعت أصواتهم بالضجيج وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ورأوا انهم قد أربوا في الربح على الحجيج فاستغاثوا بمن لايبدي ولا يعيد ونادوا ولكن من مكان بعيد حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ورأوا انهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى الى القبلتين فتراهم حول القبر ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الميت ورضوانا وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسرانا فلغير الله بل للشيطان مايراق هناك من العبرات ويرتفع من الاصوات ويطلب من الميت من الحاجات ويسأل من تفريج الكربات واغناء ذوي الفاقات ومعافاة أولي العاهات والبليات ثم انبثوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ثم أخذوا في التقبيل والاستلام أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود التي يعلم الله انها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق وقربوا لذلك الوثن القرابين وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين . فلو رأيتهم يهني بعضهم بعضا ويقول أجزل الله لنا ولكم أجراً

وافراً وحظا فاذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف الى البيت الحرام فيقول لا ولو بحجك كل عام هـذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم ولا استقصينا جميع بدعتهم وضلالهم اذ هي فوق مايخطر بالبال أو يدور في الخيال وهذا كان مبدأ عبادة الاصنام في قوم نوح كما تقدم وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة الى هـذا المحذور وإن صاحب الشرع أعلم بعاقبة مانهى عنه وما يؤول اليه وأحكم في نهيه عنه وتوعده عليه وأن الخير والهدى في اتباعه وطاعته والشر والضلال في معصيته ومخالفته »ثم ذكر رحمه الله كلاما طويلا

وقال شيخنا الشيخ عبد اللطيف قدس الله روحه . ومما بلغنا عن بعض علماء زبيد ان رجلين قصدا الطائف فقال أحدهما لصاحبه والمسئول ممن يترشح للعلم: أهل الطائف لايعرفون الله انما يعرفون ابن عباس فأجابه بأن معرفتهم لابن عباس كافية لأنه يعرف الله فأي ملة صان الله ملة الاسلام لاتمانع هذه الكفريات ولا تدافعها وذكر الزبيدي أيضا ان رجلا كان بمكة عند بعض المشاهد قال لمن عنده أريد الذهاب الى الطواف فقال بعض غلاتهم: مقامك هاهنا أكرم ومن وقف على كتاب مناقب الأربعة المعبودين بمصر وهم البدوي والرفاعي والدسوقي ورابعهم فيما أظن أبو العلاء فقد وقف على ساحل كفرهم وعرف صفة إفكهم قال وقد اجتمع جماعة من الموحدين من أهل الاسلام في بيت رجل من أهل مصر وبقربه رجل يدعي العلم فأرسل اليه صاحب البيت فسأله بجمع من الحاضرين فقال له كم يتصرف في الكون قال ياسيدي سبعة قال من هم؟ قال فلان وفلان وعدّ أربعة من المعبودين بمصر فقال صاحب الدار لمن بحضرته من الموحدين انما بعثت لهذا الرجل وسألته لأعرفكم قدر ما أنتم فيه من نعمة الاسلام أو كلاما نحو هذا . قال وقد ذكر هذا شيخ الاسلام في منهاجه عن غلاة الرافضة في علي فعاد الأمر الى الشرك في توحيد الربوبية والتدبير والتأثير ولم يبلغ شرك الجاهلية الأولى الى هذه الغاية بل ذكر الله جل ذكره أنهم يعترفون له بتوحيد الربوبيه ويقرون به ولذلك احتج عليهم في غير موضع من كتابه بما أقروا به من

الربوبية والتدبير على ما أنكروه من الآلهية ومن ذلك وهو من عجيب أمرهم ما ذكره حسين بن محمد النعمي فى بعض رسائله أن امرأة كف بصرها فنادت وليها أما الله فقد صنع ماترى ولم يبق إلا حسبك انتهى

قال الشيخ وحدثني سعد بن عبدالله بن سرور الهاشمي رحمه الله أن بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج فذهبوا الى الضريح المنسوب الى الحسين رضي الله عنه بالقاهرة فاستقبلوا القبر وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر حتى أنكر عليهم سدنة المشهد وبعض الحاضرين فقالوا هذا محبة في سيدنا الحسين . وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن أن مثل هذا وقع عندهم وحدثني الشيخ خليل الرشيدي بالجامع الأزهر أن بعض أعيان المدرسين هناك قال لايدق وتد في القاهرة إلا بأذن أحمد البدوي قال فقلت له هذا لايكون إلا لله أو كلاما نحو هذا فقال حبي في سيدي احمد البدوي اقتضى هذا

وحكى أن رجلا سأل الآخر كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني فقال لم أر اكثر منه إلا في جبال عرفات إلا انى لم أرهم سجدوا لله سجدة قط ولا صلوا مدة ثلاثة أيام فقال السائل قد تحملها الشيخ قال بعض الأفاضل وباب تحمل الشيخ مصراعاه مابين بصرى وعدن قد اتسع خرقه وتتابع فتقه ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد وساكن البلد انتهى

قلت وحدثني الشيخ اسحاق انه رأى أيام رحلته الى مصر للطلب هذا المجمع العظيم الذي يسمونه مولد أحمد البدوي فذكر انه أعظم مما رآه في جبال عرفات قال ورأيت فيه سوقا طويلا للبغايا اللواتي أوقفن أنفسهن للزنا في هذا المجمع صدقة لسيدهن أحمد البدوى وليس هذا بعجيب ولا غريب من فعلهم فانه يجري منهم في ذلك الجمع من الكفر بالله والاشراك به مالم يصل إلى ساحله كفر ابي جهل وأشياعه فالله المستعان

وأما قول العراقي : وأما الاعتبار بالقوم الماضين تمكينا للخضوع من قلبه ونيلا للأجر بقراءة الفاتحة

فأقول أما قراءة الفاتحة فمن البدع المحدثة ولو كان في قراءتها نيل للأجر في

ذلك المكان لأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه

﴿وأما قوله﴾ وليس في كل هذا مايستلزم تكفير المسلم الى آخره ﴿فيقال﴾ لهذا إن طلب الحوائج من الموتى والاستشفاع بهم والاستغاثة بهم ناقض لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولا تنفعه الشهادتان مع الاشراك بالله شيئا وقد تقدم بيان ذلك

فصل

(ثم ذكر العراقي) اختلاف العلماء في شد الرحال إلى المشاهد

وهذه المسألة قد فرغ منها فمن أراد الوقوف على الصحيح من كلام العلماء فهو مبسوط في رد شيخ الاسلام على ابن الاخنائي ورد الحافظ عبد الهادي على السبكي والحق في ذلك واضح فلا حاجة بنا إلى التطويل بذكره مع وضوحه في كلام العلماء المحققين

وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : وأما السفر إلى مجرد زيارة قبر الخليل أو غيره من مقابر الانبياء ، والصالحين ، ومشاهدهم ، وآثارهم فلم يستحبه أحد من أئمة المسلمين لا الاربعة ولا غيرهم ، بل لو نذر ذلك ناذر لم يجب عليه الوفاء بهذا النذر عند الائمة الاربعة وغيرهم بخلاف المساجد الثلاثة ، فانه اذا نذر الحج أو العمرة لزمه باتفاق المسلمين ، واذا نذر السفر إلى المسجدين الآخرين لزمه عند أكثرهم كمالك ، واحمد ، والشافعي في أظهر قوليه لقول النبي صلى الله عليه وسلم « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » رواه البخاري . وانما يجب الوفاء بنذر كل ما كان طاعة مثل من نذر صلاة ، أو صوما أواعتكافا أو صدقة لله أو حجاً ، ولهذا لايجب بالنذر السفر الى غير المساجد الثلاثة لانه ليس بطاعة لقول النبي صلى الله عليه وسلم « لاتشد الرحال إلا لثلاثة مساجد » فغير المساجد أولى بالمنع مع ان قوله لاتشد الرحال إلا لثلاثة مساجد يتناول السفر الى كل بقعة مقصودة بخلاف السفر للتجارة وطلب العلم ونحو ذلك فان السفر لطلب تلك الحاجة حيث كان ، وكذلك السفر لزيارة الأخ فى الله

فانه هو المقصود حيث كان ، وقد ذكر بعض المتأخرين من العلماء أنه لا بأس بالسفر الي المشاهد واحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي قبا كل سبت راكبًا وماشيا أخرجاه في الصحيحين ولا حجة لهم فيه لأن قبا ليس مشهداً بل مسجد وهو منهي عن السفر اليها باتفاق الأئمة لأن ذلك ليس بسفر مشروع بل لو سافر الى قبـاء من دويرة أهله لم تجز ولكن لو سافر الى المسجد النبوي ثم ذهب منه الى قباء فهذا يستحب كما يستحب زيارة قبور أهل البقيع وشهداء أحد » انتهى

﴿ثم قال العراقي﴾ ويدل على جواز شد الرحال لزيارة القبور ماقاله عمر رضي الله عنه بعد فتح الشام لكعب الأحبار يا كعب ألا تريد أن تأتي معنا الى المدينة فنزور سـيد المرسلين قال نعم يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك وكذا يدل عليـه مجيء بلال رضي الله عنه من الشام الى المدينة لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه

﴿ والجواب ﴾ أن نقول هؤلاء الغلاة يتعلقون بأذيال الموضوعات ويعتمدون الأقوال المكذوبات ويحسبون أنهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون

قال الحافظ بن عبد الهادي في جوابه للسبكي وهو مطالب أولا ببيان صحته وثانيًا ببيان دلالته على مطلوبه ولا سبيل له الى واحد من الأمرين . ومن المعلوم أن هذا من الأكاذيب والموضوعات على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتوح الشام فيه كذب كثير وهـذا لا يخفى على آحاد طلبة العلم ، ولكن شأن هذا المعترض الاحتجاج دائما بما يظنه موافقا لهواه ولو كان من المنخنقة والموقودة والمتردية ، وليس هذا شأن العلماء بل على المستدل بحديث أو أثر عليه أن يبين صحته ودلالته على مطلوبه . وهـذا المنقول عن عمر رضي الله عنه لو كان ثابتا عنه لم يكن فيه دليل على محل النزاع ، وقد عرف أن شيخ الاسلام لا ينكر الزيارة على الوجـه المشروع ولا يكرهها بل يحضها ويندب الي فعلها انتهى .

أقول وكذلك الوهابيـة لا ينكرون الزيارة على الوجه المشروع بل هي عندهم من أفضل الاعمال والله المستعان

﴿ثم ذكر العراقي﴾ أن من القائلين بالجواز الامام النووي والقسطلاني والامام الغزالي وهؤلاء مقابلون بافضل منهم واعلم واتبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه والتابعين لهم ، ومن العلماء المانعين من شد الرحال الأمام مالك رحمه الله ولم يخالفه أحد من الائمة الثلاثة ومنهم الامام أبو عبد الله بن بطة وأبو الوفاء بن عقيل وغيرهم من العلماء الراسخين

• ﴿ثم ذكر العراقي﴾ مسئلة سماع أهل القبور وذكر من التخليط مالا مزيد عليه وقد أجاب على ذلك كله محمود شكري بن عبد الله بن محمود الألوسي في تتمته وبه الكفاية فلا نطيل بذكره الا أنا نقول ، إن سماع أهل القليب قليب بدر لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم سماع حقيقي ، وكذلك سماع أهل القبور سلام المسلم عليهم وردهم عليه ، وأن أعادة الارواح لتلك الاشباح بعد مفارقتها إياها ، إنما هي إعادة عارضة لا إعادة مستقرة مستمرة بل لسماع الكلام ورد السلام والسؤال فقط ، وأما دعوى اجابة الدعوات واغاثة اللهفات وتفريج الكربات وقضاء الحاجات من الأموات فمن الممتنعات عقلا وشرعاً وفطرة وقدراً كما هو صريح نصوص الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، ولكن قد ذكر هذا الملحد في قصة المعراج رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لعيسى وموسى وابراهيم فقال: وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رأيت عيسى وموسى وابراهيم عليهم الصلاة والسلام » رواه الشيخان ومالك في الموطأ والمقصود أن هذا الملحد لما أتى إلى هذا المقام لم يذكر فيه أنه رآهم في السموات على قدر منازلهم فأخرس عن ذلك أخرس الله لسانه لانه قد ذكر فيما تقدم من الحاده أن عروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى هو بمعنى العروج إلى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه لانه ينكر أن يكون الله فوق السموات على عرشه فلذلك جحد عروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله بذاته الشريفة

﴿فنقول﴾ الوهابية لهذا الملحد المعطل كيف جاز لك أن تحتج علينا بسماع الشهداء والانبياء نداء من ينادي وهم عند الله وبأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى عيسى وموسى وابراهيم وهم أرفع منزلة عند الله من الشهداء ، وقد صحت الاحاديث

بانه رأى عيسى في السماء الثانية ، ورأى موسى في السماء السادسة ورأى ابراهيم في السماء السابعة وكل هذا عندك لا حقيقة له ، فان كانوا في السماء كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ، لما عرج به إلى الله بطل ماتذهب اليه من أن العروج هو إلى موضع يتقرب اليه بالطاعات لا إلى السماء وان لم يكن رآهم في السموات ففي أي مكان رآهم ولا بد من تعيين ذلك الموضع ، وقد كان من المعلوم أن أرواح الشهداء بعضها في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل تحت العرش وبعضها على بارق بباب الجنة ويخرج اليهم رزقهم من الجنة وبعضهم في قباب في رياض بفناء الجنة ، وفي بعض الأحاديث أن أرواح المؤمنين في عليين ومن المعلوم أن أرواح الانبياء في أعلى عليين وأنهم أرفع منزلة من الشهداء ، فيمتنع عقلا وشرعا وفطرة وقدراً ، أن الارواح التي فوق السموات السبع وفي أعلى عليين أنها تسمع دعاء أهل الارض وتنفعهم وتتصرف فيهم هذا محال قطعاً وضلال مبين ، فان الله قال (وهم عن دعائهم غافلون) فكل من دعي من الاموات والغائبين والأنبياء والصالحين ، فمن دونهم غافل عن دعاء داعيه بنصوص القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، بقي من هذه المسألة مسئلة ، وهي أن المسلم اذا سلم على أهل القبور رد الله على المسلم عليه روحه حتى يرد السلام ، قال ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام » وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، اذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام ، ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب القبور ، وفي سنن أبي داود من حديث أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن أحد يسلم عليَّ إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » وهذه الاحاديث تدل على أنهم ليسوا باحياء في قبورهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « مامن أحد يسلم علي

إلا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام «ففي هذا دليل على أن الارواح قد فارقت الاشباح ، وانما ترد الارواح لرد السلام ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد كلام سبق «على أن قوله ثم تعاد روحه في جسده لا يدل على حياة مستقرة وانما يدل على اعادة لها إلى البدن وتعلق به والروح لم تزل متعلقة ببدنها وان بلي وتمزق وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام أحدها تعلقها به في بطن الام جنينا ، الثاني تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الارض ، الثالث تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه ، الرابع تعلقها به في البرزخ ، فانها وإن فارقته وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها التفات اليه البتة ، وقد ذكرنا في أول الجواب من الاحاديث والآثار ما يدل على ردها اليه وقت سلام المسلم وهذا الرد اعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة ، الخامس تعلقها به يوم بعث الاجساد إلى آخر كلامه رحمه الله

(وأما قوله) ومن الادلة على أن الله تعالى يحي الموتى في قبورهم فيسمعون قوله تعالى — حكاية على سبيل التصديق — (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) فالمراد باحدى الاماتتين الاماتة قبل مزار القبور ؛ وبالاخرى الاماتة بعد مزار القبور فانهم لو لم يحيون في القبور ثانية ماصحت اماتتهم ثانية

وأما جواب الوهابية أن الاماتة الاولى هي حال العدم قبل الخلق ، والثانية الاماتة بعد الخلق ، فما يضحك الصبيان لأن الاماتة لا تكون إلا بعد الحياة ، ولا حياة قبل أن يخلق الله الحياة . وأما جوابها أن الاماتة الاولى هي اماتة الناس بعد حياتهم في عالم الذر فهو أوهن من جوابها الاول لأن الناس في عالم الذر لم يكونوا غير أرواح خلقها الله تعالى فسألهم (ألست بربكم) فأجابوا قائلين : بلى وأنت تعلم أن الموت عبارة عن مفارقة الروح للجسد ، وحيث لا جسد فلا موت نعم يجوز أن يفني الله الارواح بعد خلقها في عالم الذر ، ولكن ذلك ليس من الموت في شيء لما تقدم

﴿فالجواب﴾ أن يقال : ليس هذا جواب الوهابية فقط ، بل قد ذكره ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح فقال : وأما قول أهل النار (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا

اثنتين) فتفسير هذه الآية التي في البقرة وهي قوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم) فكانوا أمواتاً وهم نطف في أصلاب آبائهم ، وفي أرحام أمهاتهم ، ثم أحياهم بعد ذلك ، ثم أماتهم ، ثم يحييهم يوم النشور ، فصار جوابك هو الذي يضحك منه الصبيان لأنه مكابرة للقرآن لأن الله وحده قد أخبر أنهم كانوا أمواتاً وهم نطف في أصلاب آبائهم ، وفي أرحام أمهاتهم (ولا ينبئك مثل خبير - ومن أصدق من الله قيلا - ومن أحسن من الله حديثاً) ثم أحياهم سبحانه باخراجهم إلى دار الدنيا ، ثم أماتهم سبحانه ، ثم يحييهم يوم النشور . وبما ذكره ابن القيم رحمه الله قال أهل التفسير : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله على هذه الآية يقول الله تعالى مخبراً عن الكفار أنهم ينادون يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظون ، وذلك عند ما باشروا من عذاب الله تعالى مالا قبل لاحد به - إلى أن قال

(وأما قوله) (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال الثوري عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه هذه الآية كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم اليه ترجعون) وكذا قال ابن عباس والضحاك وقتادة وأبو مالك وهذا هو الصواب الذي لاشك فيه ولا مرية . وقال السدي : أميتوا في الدنيا ، ثم أحيوا في قبورهم فخوطبوا ، ثم أميتوا ، ثم أحيوا يوم القيامة . وقال ابن زيد : أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام ، ثم خلقهم في الارحام ، ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة ، وهذان القولان من السدي وابن زيد ضعيفان لأنه يلزمهما على ما قالا ثلاث احياءات واماتات ، والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما إلى آخر كلامه رحمه الله ، فان كان ما قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك الصبيان فليس على وجه الارض صحيح إلا ما صححه هذا الملحد بمعقوله الذي هو بكلام المجاذيب أشبه به من كلام المجانين ، وحيث نسب تفسير اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الوهابية فاهلا به أهلا فانا به قائلون ، وعلى ما أثبتوه معتمدون ، ولما سواه نافون

(وأما قول العراقي) وأما جوابها أن الاماتة الاولى هي اماتة الناس بعد حياتهم في عالم الذر فهو أوهن من جوابها الاول لأن الناس في عالم الذر لم يكونو غير أرواح الخ

فأقول : هذا الجواب ليس هو للوهابية ، بل هو كلام ابن زيد وقد ضعفه ابن كثير كما تقدم وهو مبني على خلاف العلماء في خلق الارواح هل هو مقدم على أبدانها أم متأخر ، والصحيح الذي تشهد له النصوص من الكتاب والسنة أن خلقها بعد خلق الابوين وذلك بعد ارسال الله ملك الارواح الى النطق في بطون الامهات ينفخ فيها الروح والذي ثبت انما هو اثبات القدر السابق وتقسيمهم إلى شقي وسعيد . وأما الاحاديث التي وردت في تقدم خلقها على أبدانها فلا يصح منها شيء ، والصحيح الثابت هو ماذكره ابن القيم من الوجوه التي ذكرها في الفصل الذي ذكر فيه الادلة على أن خلق الارواح متأخر عن خلق الابدان وبه الكفاية فمن أراد تحقيق المسألة فهي مبسوطة في كتاب الروح في هذا الفصل ، واذا تقرر هذا فليس للوهابية كلام على هذه المسألة منسوب اليها فيكون هذا الجواب جوابا له ، بل هو جواب باطل فاسد على أصل لا يصح بدليل شرعي ثابت ، فان كان تكلم في هذه المسألة أحد ممن تنسبونه إلى الوهابية فربما . وأما الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وأتباعه فليس لهم فيها كلام معروف غير ماذكره ابن القيم رحمه تعالى . والقول الذي نعتمده في هذه المسائل كلها هو ماذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية قال رحمه الله تعالى :

فصل

في الكلام في حياة الانبيا في قبورهم

ولاجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه ياكثرة الخلقان
قال الرسول بقبره حي كما قد كان فوق الارض والرجمان
من فوقه أطباق ذاك الترب والا بنات قد عرضت على الجدران
لو كان حياً في الضريح حياته قبل الممات بغير مافرقان

ماكان تحت الارض بل من فوقها والله هذي سنة الرحمان
أتراه تحت الارض حياً ثم لا يفتيهموا بشرائع الايمان
ويريح أمتـه من الآراء والـ خلف العظيم وسائر البهتان
أم كان حياً عاجزاً عن نطقه وعن الجواب لسائل لهفان
وعن الحراك فما الحياة اللاءقد أثبتموها أوضحوا ببيان
هـذا ولِمْ لاجاءه أصحابه يشكون بأس الفاجر الفتان
إذ كان ذلك دأبهم ونبيهم حي يشاهدهم شهود عيان
هل جاءكم أثر بأن صحابه سألوه فتياً وهو في الاكفان
فأجابهم بجواب حي ناطق فأتوا اذاً بالحق والبرهان
هلا أجابهمو جوابا شافياً ان كان حياً ناطقاً بلسان
هذا وما شدت ركائبه عن الحـ جرات للقاصي من البلدان
مع شدة الحرص العظيم له على ارشادهم بطرائق التبيان
أتراه يشهد رأيهم وخلافهم ويكون للتبيان ذا كتمان
إن قلتمو سبق البيان صدقتمو قد كان بالتكرار ذا تبيان
هذا وكم من أمر اشكل بعده أعيى على العلماء كل زمان
أو ما ترى الفاروق ودّ بأنه قد كان منـه العهد ذا تبيان
بالجدّ في ميراثه وكلالة وببعض أبواب الربا الفتان
قد قصر الفاروق عند فريقكم اذ لم يسله وهو في الاكفان
أتراهمو يأتون حول ضريحـه لسؤال أمهمو أعز حصان
ونبيهم حي يشاهدهم ويسـ معهم ولا يأتي لهم ببيان
أفكان يعجز أن يجيب بقوله إن كان حياً داخـل البنيان
ياقومنا استحيوا من العقلاء والمـ بعوث بالقرآن والرحمان
والله لاقدر الرسول عرفتمو كلا ولا للنفس والانسان
من كان هذا القدر مبلغ علمه فليستتر بالصمت والكتمان
ولقد أبان الله أن رسوله ميت كما قد جاء في القرآن

أفجاء أن الله باعثه لنا في القبر قبل قيامة الابدان
اثلاث موتات تكون لرسله ولغيرهم من خلقه موتان
إذ عند نفخ الصور لا يبقى امرء في الارض حياً قط بالبرهان
أفهل يموت الرسل أم يبقوا اذا مات الورى أم هل لكم قولان
فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجيـ ـئوا بالدليل فنحن ذو أذهان
أو لم يقل من قبلكم للرافع الا صوات حول القبر بالنكران
لا ترفعوا الاصوات حرمة عبده ميتاً كحرمته لدى الحيوان
قد كان يمكنهم يقولوا انه حي فغضوا الصوت بالاحسان
لكنهم بالله أعلم منكموا ورسوله وحقائق الايمان
ولقد أتوا يوما الى العباس يسـ ـتسقون من قحط وجدب زمان
هذا وبينهموا وبين نبيهم عرض الجدار وحجرة النسوان
فنبيهم حي ويستسقون غيـ ـر نبيهم حاشا أولي الايمان

فصل

فيما احتجوا به على حياة الرسل فى القبور

فان احتججتم بالشهيد بأنه حيّ كما قد جاء في القرآن
والرسل أكمل حالة منه بلا شك وهذا ظاهر التبيان
فلذاك كانوا بالحياة أحق من شهدائنا بالعقل والايمان
وبأن عقد نسائه لم ينفسخ فنساؤه في عصمة وصيان
ولأجل هذا لم يحل لغيره منهن واحدة مدى الأزمان
أفليس في هذا دليل انه حيّ لمن كانت له أذنان
أو لم يرى المختار موسى قائما في قبره لصلاة ذي القربان
أفميتٌ يأتي الصلاة وإن ذا عين المحال وواضح البطلان
أيرد ميت السلام على الذي يأتي بتسليم مع الأحسان

أو لم يقل إني أرد على الذي ... يأتي به هـذا من البهتان
هذا وقد جاء الحديث بأنهم ... أحياء في الأجداث ذا تبيان
وبأن أعمال العباد عليه تعـ ... ـرض دائما في جمعة يومان
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي ... قد خص بالفضل العظيم الشان

فصل

فى الجواب عما احتجوا به فى هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذاك حجـ ... ـتنا عليكم وهي ذات بيان
إن الشهيد حياته منصوصة ... لا بالقياس القائم الأركان
هذا مع النهي المؤكد أننا ... ندعوه ميتاً ذاك في القرآن
ونساؤه حل لنا من بعده ... والمال مقسوم على السهمان
هـذا وإن الارض تأكل لحمه ... وسباعها مع أمة الديدان
لكنه مع ذاك حي فارح ... مستبشر بكرامة الرحمن
فالرسل أولى بالحياة لديه مع ... موت الجسوم وهـذه الأبدان
وهي الطرية في التراب وأكلها ... فهـو الحرام عليه بالبرهان
ولبعض أتباع الرسول يكون ذا ... أيضاً وقد وجدوه رأي عيان
فانظر الى قلب الدليل عليهمو ... حرفا بحرف ظاهر التبيان
لكن رسول الله خص نساؤه ... بخصيصة عن سائر النسوان
خيرن بين رسوله وسواه فاخـ ... ـترن الرسول لصحة الايمان
شكر الاله لهن ذاك وربنا ... سبحانه للعبد ذو شكران
قصر الرسول على أولئك رحمة ... منه بهن وشكر ذي الأحسان
وكذاك أيضاً قصرهن عليه معـ ... ـلوم بلا شك ولا حسبان
زوجاته في هذه الدنيا وفي الأ ... خرى يقيناً واضح البرهان
فلذا حرمن على سواه بعده ... إذ ذاك صون عن فراش ثان

لكن أتين بعدة شرعية فيها الحدود وملزم الأوطان
هذا ورؤيته الكليم مصلياً في قبره أثر عظيم الشان
في القلب منه حسيكة هل قاله فالحق ماقد قال ذو البرهان
ولذاك أعرض في الصحيح محمد عنه على عمد بلا نسيان
والدار قطني الأمام أعلّه برواية معلومة التبيان
بأنس يقول رأى الكليم مصلياً في قبره فاعجب لذا الفرقان
لين السياق الى السياق تفاوتاً لاتطرحه فما هما سيّان
لكن تقلد مسلم وسواه ممـ ن صح هذا عنده ببيان
فرواته الأثبات أعلام الهدى حفاظ هذا الدين في الأزمان
لكنّ هذا ليس مختصاً به والله ذو فضل وذو إحسان
فروى ابن حبان الصدوق وغيره خبراً صحيحاً عنده ذا شان
فيه صلاة العصر في قبر الذي قد مات وهو محقق الايمان
فتمثل الشمس الذي قد كان ير عاها لأجل صلاة ذي القربان
عند الغروب يخاف فوت صلاته فيقول للملكين هل تدعان
حتى أصل العصر قبل فواتها قالا سنفعل ذاك بعد الآن
هذا مع الموت المحقق لا الذي حكيت لنا بثبوته القولان
هذا وثابت البناني قد دعا الـ رحمان دعوة صادق الايقان
أن لا يزال مصلياً في قبره إن كان أعطى ذاك من انسان
لكنّ رؤيته لموسى ليلة الـ معراج فوق جميع ذى الأكوان
يرويه أصحاب الصحاح جميعهم والقطع موجبه بلا نكران
ولذاك ظُن معارضاً لصلاته في قبره إذ ليس يجتمعان
وأجيب عنه بأنه أسري به ليراه ثم مشاهداً بعيان
فرآه ثم وفي الضريح وليس ذا بتناقض إذ أمكن الوقتان
هذا ورد نبينا لسلام من يأتي بتسليم مع الاحسان
ما ذاك مختصاً به أيضاً كما قد قاله المبعوث بالقرآن

من زار قبر أخ له فأتى بتسـ ... ـليم عليه وهو ذو إيمان
رد الآله عليه حقاً روحه ... حتى يرد عليه رد بيان
وحديث ذكر حياتهم بقبورهم ... لما يصح وظاهر النكران
فانظر الى الأسناد تعرف حاله ... إن كنت ذا علم بهذا الشان
هذا ونحن نقول هم أحياء لا ... كن عندنا كحياة ذي الأبدان
والترب تحتهمو وفوق رؤوسهم ... وعن الشمائل ثم عن أيمان
مثل الذي قد قلتموه معاذنا ... بالله من إفك ومن بهتان
بل عند ربهمو تعالى مثلما ... قد قال في الشهداء في القرآن
لكن حياتهمو اجل وحالهم ... أعلى وأكمل عند ذي الاحسان
هذا وأما عرض أعمال العبا ... د عليه فهو الحق ذو امكان
وأتى به أثر فان صح الحديـ ... ـث به فحق ليس ذا نكران
لكن هذا ليس مختصاً به ... أيضاً باثار روين حسان
فعلى أبي الانسان يعرض سعيه ... وعلى أقاربه مع الاخوان
إن كان سعياً صالحاً فرحوا به ... واستبشروا يالذة الفرحان
أو كان سعياً سيئاً حزنوا وقا ... لوا رب راجعه إلى الاحسان
ولذا استعاذ من الصحابة من روى ... هذا الحديث عقيبه بلسان
يارب أني عائذ من خزية ... أخزى بها عند القريب الدان
ذاك الشهيد المرتضى ابن رواحة ... المحبو بالغفران والرضوان
لكن هذا ذو اختصاص والذي ... للمصطفى مايعمل الثقلان
هذي نهايات لأقدام الورى ... في ذا المقام الضنك صعب الشأن
والحق فيه ليس تحمله عقو ... ل بني الزمان لغلاظة الأذهان
ولجهلهم بالروح مع أحكامها ... وصفاتها للالف بالأبدان
فارض الذي رضي الاله لهم به ... أتريد تنقض حكمة الديان
هل في عقولهمو بان الروح في ... أعلى الرفيق مقيمة بجنان
وترد أوقات السلام عليه من ... اتباعه في سائر الأزمان

وكذلك ان زرت القبور مسلماً ... ردت لهم أرواحهم للآن
فهموا يردون السلام عليك لا ... كن لست تسمعه بذي الآذنان
هذا وأجواف الطيور الخضر مسـ ... ـكنها لدى الجنات والرضوان
من ليس يحمل عقله هذا فلا ... تظلمه وعذره على التكران
للروح شأن غير ذي الاجسام لا ... تهمله شأن الروح أعجب شأن
وهو الذي حار الورى فيه فلم ... يعرفه غير الفرد في الازمان
وهذا وأمر فوق ذا لو قلته ... بادرت بالانكار والعدوان
فلذاك أمسكت العنان ولو أرى ... ذاك الرفيق جريت في الميذان
هذا وقولي إنها مخلوقة ... وحدوثها المعلوم بالبرهان
هذا وقولي انها ليست كما ... قد قال أهل الأفك والبهتان
لا داخل فينا ولا هي خارج ... عنا كما قد قالوه في الديان
والله لا الرحمن أثبتم ولا ... أرواحكم يامدعي العرفان
عطلتمو الأبدان من أرواحها ... والعرش عطلتم من الرحمان

فصل

(قال العراقي) الوهابية وتكفيرها الحالف بغير الله والناذر والذبح ، قاتل الله الوهابية إنها تتحرى في كل أمر أسباب تكفير المسلمين مما يثبت أن همها الأكبر هو تكفيرهم لا غير ، فتراها تكفر من يتوسل الى الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم ويستعين باستشفاعه الى الله تعالى على قضاء حوائجه ، وهي لاتخجل إذ تستعين بدولة الكفر على قضاء حاجاتها التي هي قهر المسلمين وحربهم وشق عصاهم والمروق عن طاعة أمير المؤمنين الذي أمر الله تعالى في كتابه المبين بلزوم طاعته كما بسطناه في مقدمات الرسالة ، وتتخذ أعداء الدين أولياء تستمد منهم في إحضار القوى التي تسعى بها الى الفساد وتلج بها في الغواية والعناد ، قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء) سحقاً للوهابية انها لاتدري ان أولئك الأولياء الذين تتخذهم ذريعة

لقهر المسلمين اذا ثبت قدمهم فانهم يقهرونها ويهتضمونها أيضاً مع من تعده خصما مخالفاً لمذهبها.

(فأقول إيه يابن اللخنا) لقد ـ والله ـ علمتم أنكم لأنتم أخدان إخوان القردة والخنازير ، وإخوان عبدة الصليب أصحاب السعير ، وأنا لم ننزع اليهم ولم نستعن بهم في شيء من الأمور التي تزعمونها ، وأنا لم نتخذهم أولياء وقد علمتم انه ليس في ديارنا لهم علما ، ولا جعلنا في أوطاننا قناصل ، ولم نلتزم في ملتنا قوانينهم و نقدمها على شرع الله ورسوله ، ونحن نبرأ الى الله منهم ومنكم ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ولكن قد غلبت عليكم القحة والتظاهر بالكذب والعدوان لكي تطفئوا نور الله بأفواهكم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

فانظر قاتلك ياعدو الله من قناصل أعداء الله ورسوله عنده ، ومن أعلامهم منصوبة في ديارهم، ومن اليهود والنصارى والرافضة في جملة عساكرهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، وتدري من سعى في الأرض بالفساد ولج في الغواية والعناد وعام في بحر الضلالة وتدرع برداء الشرك والجهالة

﴿ وأما قوله ﴾ من غير مرة إن ديدن الوهابية تكفير كافة المسلمين بكل أمر فهي تكفرهم لتوسلهم بجاه الانبياء والاولياء وندائهم ﴿ فأقول ﴾ أما تكفير عامة المسلمين فمن الكذب الواضح وقد بيناه غير مرة وأما التوسل بجاه الانبياء والاولياء فالوهابية لايكفرون بمجرد التوسل بجاههم وأما دعاؤهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم والالتجاء اليهم فهو كفر مخرج عن الملة وقد قدمنا أدلة ذلك وكلام أهل العلم في ذلك

﴿ وأماقوله ﴾ وتكفرهم بالحلف بغير الله ﴿ فأقول ﴾ وهذا أيضاً من الكذب على الوهابية والأوهام الوبية

﴿ وأما قوله ﴾ والنذر لذلك الغير والذبح له فسيأتي الكلام عليه قريباً

﴿وقوله﴾ولوسلمنا أن في بعض الاقوال التي تنسبها الوهابية الى المسلمين كفرا يصح أن يقال فيه إن قائل هذا القول يكفر لما صح أن تكفر جميع الامة أو تكفر

شخصاً معينا قال ذلك القول فقد يكون القائل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق أو لم تثبت عنده أو لم يتمكن من معرفتها وفهمها أو يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله تعالى فيها

﴿ فأقول ﴾ الوهابية لايكفرون الا من كفر الله ورسوله وقامت عليه الحجة التي يكفر تاركها ولا يلزم من تكفير من قام به الكفر وقامت عليه الحجة تكفير جميع المسلمين فان هذا من اللوازم الباطلة والاقوال الداحضة (وأما) تكفير الشخص المعين فلا مانع من تكفيره اذا صدر منه ما يوجب تكفيره فان عبادة الله وحده لا شريك له من الامور الضرورية المعلومة من دين الاسلام فمن بلغته دعوة الرسول وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة (وأما) الامور التي لا يكفر فاعلها حتى تقوم عليه الحجة إنما هو في المسائل النظرية والاجتهادية التي قد يخفى دليلها (وأما) عباد القبور فهم عند السلف وأهل العلم يسمون الغالية لان فعلهم غلو يشبه غلو النصارى في الانبياء والصالحين وعبادتهم ، فمسألة توحيد الله واخلاص العبادة له لم ينازع في وجوبها أحد من أهل الاسلام لا أهل الاهواء ولا غيرهم وهي معلومة من الدين بالضرورة كل من بلغته الرسالة وتصورها على ما هي عليه عرف أن هذا زبدتها وحاصلها، وسائر الاحكام تدور عليه، قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الرد على المتكلمين لما ذكر ان بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الاسلام كثيراً قال «وهذا وان كان في المقالات الخفية فقد يقال فيها إنه مخطيء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها لكن هذا يصدر منهم في أمور يعلمها الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بها و كفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم فان هذا أظهر شرائع الاسلام ومثل ايجابه للصلوات الخمس وتعظيم شأنها ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ثم تجد كثيرا من رؤوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين ،وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين كما فعل أبو عبد الله الرازي - قال وهذه ردة صريحة» انتهى فالشخص المعين اذا صدر منه مايوجب كفره من الامور التي هي من ضروريات الاسلام مثل عبادة غير الله

سبحانه وتعالى فان الله قد أقام الحجة بانزال كتبه وبعث رسله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهذا مما لا إشكال فيه

﴿وأما قوله﴾ فقد يقول القائل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق الى آخره ﴿فأقول﴾ أما ماعدا الامور الضرورية المعلومة من دين الاسلام فانا لا نكفر من قال قولا لم يبلغه النص في ذلك بتكفير من فعله لان الشرائع لا تلزم الا بعد البلوغ وكذلك من لم يثبت عنده النص أو قام لديه معارض من نص آخر أو وقعت له شبهة يعذره الله بها هذا مما لا اشكال فيه عند أهل العلم

﴿وأما قول﴾ هذا الجاهل المركب أو لم يتمكن من معرفتها وفهمها (فانما) هي من عدم معرفته بالفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة فان من بلغته دعوة الرسل فقد قامت عليه الحجة ان كان على وجه يمكن معه العلم ولا يشترط في قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الايمان والقبول والانقياد لما جاء به الرسول فان فهم الحجة نوع آخر غير قيامها قال الله تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وقال تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وقال تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وقال تعالى (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) الآية (وأما قوله) فالذي يؤمن بالله ورسوله فان الله قد يغفر له برحمته بعض الذنوب القولية والعملية (فاقول) هذا حق وذلك فيمن أتى ذنباً لا يخرجه من الملة أو كان ذلك القول أو الفعل مما ليس بضروري في الدين كما تقدم بيانه وأما من أشرك بالله في عبادته فقد قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فاما من أتى بالشرك الاكبر فالله قد حرم عليه الجنة ومأواه النار وان زعم أنه مؤمن بالله ورسوله وتلفظ بالشهادتين فان هذا لا ينفعه مع فعل الشرك المخرج من الملة كدعائه غير الله واستغاثته بمن سواه والالتجاء اليه وطلب الحوائج من الولائج فان هذا مناف لشهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وما نزل من الآيات في الوعيد على من اقترف ذنباً لا يخرجه من الاسلام

فهو تحت مشيئة الله ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه ولا يكفر بهذه الذنوب الا الخوارج

﴿ وأما قوله ﴾ قال ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين ما ملخصه ان أهل السنة متفقون على أن الشخص الواحد قد يكون فيه ولاية لله تعالى وعداوة من وجهين مختلفين وقد يكون فيه ايمان ونفاق وإيمان وكفر ويكون أحدهما اليه أقرب من الآخر فيكون من أهله قال الله تعالى (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) (فأقول هذا حق) فقد يكون الشخص فيه ولاية لله تعالى وعداوة وذلك كمثل الصحابي الذي كان يكثر من شرب الخمر فقال رجل: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله » وكذلك من كان فيه خصلة من النفاق كمن اذا خاصم فجر واذا إئتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر وكذلك الكفر مع الايمان كقوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ومن حلف بغير الله فقد كفر الى غير ذلك من الامور التي لا تخرج من الملة من الاقوال والاعمال وبالجملة فالقلب الذي لم يتمكن منه الايمان ولم يزهر فيه سراجه حيث لم يتجرد للحق المحض الذي بعث الله رسوله بل فيه مادتان مادة منه ومادة من خلافه فتارة يكون للكفر أقرب منه للايمان وتارة يكون للايمان أقرب منه للكفر والحكم للغالب واليه يرجع فهذا وأمثاله لا يدخل في مسألة من صرف لغير الله نوعاً من العبادة فانا قد بينا فيما تقدم الادلة على كفره من الكتاب والسنة وأقوال العلماء فالمغالطة بادخال هذه الامور في مسألة عبادة غير الله سفسطة وتمويه ومزج للحق بالباطل فسحقاً وبعداً للقوم الظالمين

﴿ وأما قول العراقي ﴾ أما الحلف بغير الله فلا يخرج مرتكبه عن الاسلام الى آخر كلامه (فأقول) قد كان من المعلوم ان مجرد الحلف بغير الله لا يخرج من الملة ومن زعم انا نكفر بهذه الاشياء كفراً مخرجا عن الملة فهو من أكذب خلق الله وأجرئهم على الفرية وقول الزور وقد ذكر ابن القيم رحمه الله ان من عظم مخلوقا بالحلف تعظيما كتعظيم الله فقد أشرك شركا أكبر وقال لما عدّ من هذه الالفاظ ونحوها في شرح المدارج وقد يكون ذلك شركا اكبر بحسب ماقام بقلب

فاعله وحديث ابن عمر صريح في اطلاق الكفر والشرك بالحلف بغير الله فمن منع الاطلاق فهو مشاق لله ولرسوله ولكن ساق البخاري في صحيحه قول ابن عباس كفر دون كفر وشرك دون شرك وظلم دون ظلم

﴿ وأما قوله ﴾ من حلف بغير الله فقد كفر فقد حمله أئمة الحديث من شافعية وحنفية وحنابلة ومالكية على أن المقصود به كفر النعمة (فأقول) هذا الحمل ضعيف جدا إذ ما من معصية وذنب يفعله المكلف المختار الا وفيه من كفر النعمة بحسبه والشكر هو استعمال النعمة في طاعة معطيها ومسديها مع محبته والرضا عنه والثناء بها عليه والشكر ضد الكفر فمن أخل بشيء من الشكر ففيه من كفر النعمة بحسب ذلك فتحصل ان كفر النعمة لايختص بما أطلق عليه الشارع الكفر من الافعال فلا بد للنص من معنى يخصه وحكمة في تخصيص بعض الافراد وهذا معلوم بالشرع والفطرة إذ تخصيص بعض أفراد الجنس من غير مخصص يقتضي ذلك تحكم محض وترجيح بلا مرجح

﴿ وأما قوله ﴾ حتى إن أصحاب الشافعي قالوا بأنه مكروه تنزيها لا تحريما فالحلف الذي قد اختلف فيه العلماء أنه مكروه أو حرام لايجوز ان يقال في مرتكبه إنه كافر خارج عن الملة (فأقول) اما كونه مكروها كراهة تنزيه لا كراهة تحريم فهذا مما لا دليل عليه من الكتاب والسنة بل هو عرف حادث والكراهة في عرف الكتاب والسنة وقدماء العلماء تطلق على التحريم قال الله تعالى بعد ذكر المحرمات (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وكما في الحديث « ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال » فلا عبرة بخلاف من خالف ما يقتضيه الكتاب والسنة بالاصطلاح الحادث واما دعوى أن ذلك يخرج عن الملة فقد بينا أنه من الكذب والبهتان

فصل

﴿ثم قال العراقي﴾ وأما النذر لغير الله فقد صرح الشيخ تقي الدين ابن تيمية وابن القيم وهما من أعظم من شدد فيه بعدم جوازه وكونه معصية لأنه كفر وشرك مخرج عن الاسلام فلا يجوز الوفاء به ولو تصدق بما نذر من ذلك على من يستحقه من الفقراء كان خيراً له عند الله فلو كان الناذر لغير الله كافراً لما أمراه بالصدقة لان الصدقة لاتقبل من الكافر بل أمراه بتجديد إسلامه

﴿والجواب أن نقول﴾ قد أجاب على هذه الشبهة شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله في رده شبهات داود ابن جرجيس فقال رحمه الله «ليس في كلام الشيخ وكلام ابن القيم ما يدل على أن النذر الواقع من عباد القبور لمن يدعونه ويقصدونه لحوائجهم واغاثتهم في الشدائد ليس بشرك بل كلام الشيخ وابن القيم صريح في أنه نذر معصية واشراك بالله تعالى فكيف يسوقه وقد عده ابن القيم من أنواع الشرك الا كبر وقرنه بالتوكل على غير الله والعمل لغيره والانابة والخضوع والذل لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره وقد تقدم ذلك فراجع كلامه في موضعه تعرف كذب هذا العراقي على الله وعلى رسوله وعلى أولي العلم من خلقه فرحم الله امرأ نظر لنفسه قبل أن تزل قدمه ويحال بينه وبين أهل العمل وكذلك الشيخ صرح بأنه معصية والمعصية تصدق بالشرك وغيره من الكبائر اذا أطلقت واستدلال المعترض بأنه لم يقل هذا هذا النذر كفر مخرج عن الملة فاطلاق المعصية كاف في المقصود وأيضاً فالكفر انما يطلق بعد قيام الحجة وقول العراقي فكيف يكفر من نذر لاحد الانبياء وقصده لوجه الله في هذه العبارة شيئان (الأول) استبعاده تكفير من نذر للانبياء وجعله ذلك دون النذر للشجرة والبقعة مع أن الفتنة بقبور المعظمين أشد محنة من الشجر والبقاع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فالشرك بالانبياء والصالحين أخوف وأعظم فتنة كما هو معروف (والثاني) إضافة النذر لأحد الانبياء وقوله بعده وقصده لوجه الله فاذا كان النذر نفسه

للانبياء والصالحين بطل قوله وقصده لوجه الله وانما يكون ذلك نذراً لله وحده وجعل الثواب لمن شاء من عباده ومسألة اهداء ثواب القرب الى الانبياء لايخفى ما فيها من القول بالمنع على من له أدنى ممارسة والقصد هنا بيان تناقض العراقي وان كلامه يدفع بعضه بعضا وقوله فان ذلك لا يضر بالاتفاق كذب ظاهر فان قول الشيخين إنه يصرف الى الفقراء دليل على أنه يضر اذا صدر منه لغير الله وانه مأمور بالتوبة وصرف ذلك الى الجهة المشروعة وقد صرف النبي صلى الله عليه وسلم مال اللات في الجهاد والمصارف الشرعية التي يستعان بها على عبادة الله وحده لا شريك له والاستدلال بصرفها فى ذلك المصرف الشرعي على أنها شرك وضلال أوجه من الاستدلال بذلك على أن النذر للاصنام ونحوها ليس بشرك

﴿ وأما قوله ﴾ فلو كان الناذر كافراً عندهما لم يأمراه بالصدقة ، فان الصدقة لاتقبل من الكافر

﴿فالجواب ﴾ من وجوه الأول أنه إذا أقلع عن الذنب وصرف المال في مصرفه الشرعي فهذا رجوع عما كان عليه وتوبة منه ، الثاني أنه لا يقال بالكفر مطلقا لكل ناذر لغير الله حتى تقوم الحجة الرسالية ، وأما مانقله عن ابن القيم فقد صرح فيه بانه نذر معصية وإشراك ، وشبهة هذا العراقى أنه لو كان شركا مخرجا عن الملة لما جاز صرفه للفقراء

﴿ فالعراقى ﴾ لم يفرق بين النذر والمنذور ، فكون النذر شركا لا يمنع الانتفاع بالمنذور في الجهة الشرعية كما تقدم من فعله صلى الله عليه وسلم بمال اللات (الوجه الثالث) أن الذي يصرفه في المصارف الشرعية ولاة الأمر ، وأهل العلم ، وليس المقصود أن يصرفه الناذر نفسه ، فان هذا لا يعتبر بل يرد إلى المشروع قسراً ويعامل بنقيض قصده وكلام الشيخ وأمثاله من أهل العلم ليس حجة مستقلة بل الحجة فيما يساق من الادلة وقد تقدم أن القصد هنا بيان جهله بكلام الشيخ والكشف عن تحريف هذا العراقي لما نقله عن الشيخين ، وإلا فالمرجع إلى أدلة الكتاب والسنة قال الله تعالى (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه) وقال تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) فوصف

خواص عباده بالوفاء بالنذر وأثنى عليهم بذلك ، وفي الآية الاخرى الوعد بالاثابة والجزاء فثبت أنه عبادة يحبها الرب ويرضاها ، أي الوفاء به وما كان كذلك فيجب اخلاصه لله ، لان صرف العبادة لغير الله شرك

وفي حديث علي « لعن الله من ذبح لغير الله » وهذا العراقي وأمثاله من القبوريين دفعوا في صدر النصوص وردوها بشبهات وهذيان لا يصدر عمن يعقل ما يقول ، وفي آخر العبارة التي نقلها العراقي عن شيخ الاسلام ابن تيمية « وهذا الحكم عام في قبر نفيسة ومن هو اكبر من نفيسة من الصحابة مثل قبر طلحة والزبير وغيرهما بالبصرة ، وفي سلمان وغيره بالعراق » (قلت) وفيها بيان تدليس العراقي وأنه أسقطها ليروج قوله : فكيف يكفر من نذر لأحد الانبياء والصالحين الى أن قال الشيخ « فيعتقدون أنها باب الحوائج الى الله وأنها تكشف الضر أو تفتح الرزق أو تحفظ مصر فان هذا كافر مشرك يجب قتله وكذلك من اعتقد ذلك فى غيرها كائنا من كان (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا — قل أدعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) والقرآن من أوله الى آخره بل وجميع الكتب والرسل انما بعثوا بان يعبد الله وحده لا شريك له ، وأن لا يجعل مع الله الها آخر والاله من يألهه القلب عبادة واستعانة واجلالا واكراما وخوفا ورجاء كما هو حال المشركين فى آلهتهم ، وان اعتقد المشرك أن ما يألهه مخلوق ومصنوع كما كان المشركون يقولون فى تلبيتهم : لبيك لا شريك لك لا شريك هو لك تملكه وما ملك ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين الخزاعى « ياحصين كم تعبد » قال أعبد سبعة آلهة ستة فى الارض وواحد فى السماء ، قال « فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك ؟ » قال الذي فى السماء ، قال ياحصين فاسلم حتي أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، فلما أسلم قال « قل اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي » والله أعلم انتهى

﴿قلت﴾ فانظر الى تصريح الشيخ ان من اعتقد فى مخلوق أنه باب الحوائج الى الله يعني واسطة فى الحوائج أو أنه يكشف الضر أو يفتح الرزق أو يحفظ

مصر أنه كافر مشرك يجب قتله وهذا بعينه هو معتقد عباد القبور الناذرين للموتى المستغيثين بهم وهو طريقة العراقي ومذهبه الذي نصره وقرره واستظهره وزعم أنه لا يضر الا اذا اعتقد الاستقلال لغير الله كما مر عنه في غير موضع وسيأتيك هذا القيد فيما يأتي من كلامه فى مواضع متعددة ، والشيخ قد رد عليه فى هذا وابطل هذا الشرط بقوله، وان اعتقد المشرك ان ما يألهه مخلوق مصنوع وساق ما يقوله المشركون فى تلبيتهم وساق حديث حصين وهذا لان الآيات القرآنية دالة على تكفير هذا النوع ، أعني من اتخذ الشفعاء والوسائط وقصدهم فى حاجاته وملماته كما كان يفعله المشركون مع آلهتهم فكل هذا أعمى الله بصيرة العراقي عنه (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

قال الشيخ صنع الله الحلبي نزيل مكة ، وأما كونهم جوّزوا الذبائح والنذور وأثبتوا لهم فيهما الأجور فيقال هذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان وفلان فهو لغير الله فيكون باطلا وفي التنزيل (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) والحديث « لا نذر إلا فيما يبتغى به وجه الله » متفق عليه . وورد أن من حلف بغير الله فقد أشرك ، رواه الحاكم وغيره ونحو النذر لغير الله الذبح وفي التنزيل (قل إن صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين) الآية أي ان صلاتي وذبحي لله كما به نظير قوله تعالى (فصل لربك وانحر) الآية وفي الحديث « لا نذر في معصية الله » رواه أبو داود وغيره والنذر لغير الله إشراك مع الله فلا أكبر من معصيته وفي التنزيل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) الآية . فالنذر لغير الله كالذبح لغيره

« وقال الفقهاء خمسة لغير الله شرك ، الركوع والسجود والذبح والنذر واليمين ومن ذكر غير اسم الله على ذبيحته فهي ميتة يحرم أكلها ولو أشرك مع اسمه أحداً كقوله باسم الله ومحمد صلى الله عليه وسلم بواو العطف فكذا تحرم ذبيحته وكذا لو ترك اسم الله عمداً على الذبيحة لا تؤكل عندنا فهي ميتة بصريح قوله جل ذكره (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) فترك المؤمن ذكر الله عمداً كذكر غيره . نعم لو قال هذا النذر لله يذبح في مكان كذا ويصرف على جماعة

فلان أو على رباط فلان فلا بأس به كما في الوقف على فلان وفلان فان قوله لله ملاك له وتصرف غلته على من عينه الواقف وكذا هنا . والحاصل أن النذر لغير الله فجور فمن أين لهم الأجور ، وكذا الذبائح ومن قال إن هذا النذر لفلان وهذه الذبيحة لفلان فهو من العصيان ، ومن نذر لله ذبحاً أو غيره وقال يذبح بمكان كذا ويأكله قوم جاز والله الهادي

«قلت واذا نذر لله وجعل مصرفه على السدنة والمجاورين عند القبور فهو نذر معصية لايجوز صرفه في القرب الشرعية كالحجاج والمعتكفين في المساجد وقد ذكر هذا غير واحد والمنع منه لما فيه من الأعانة على العكوف عند القبور الذي هو من أكبر الوسائل والذرائع الى عبادتها أو دعائها قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) وفي الحديث أن رجلاً نذر أن ينحر إبلا ببوانة قبل اسلامه ، فلما أسلم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نذره فقال « هل كان بها وثن من أوثان الجاهلية ؟ » قال : لا ، قال « هل كان بها عيد من أعياد الجاهلية ؟ » قال : لا ، قال « فاوف بنذرك » ففيه المنع من عبادة غير الله في أماكن الشرك وعبادة غيره لمشابهة الصورية ، وإن لم تقصد فكيف بالذرائع والوسائل القريبة المفضية إلى عين الشرك ، ونفس المحذور الاكبر فقف وتأمل إن كان لك بصيرة تدرك بها أسرار الشريعة » انتهى

(وأما قوله) وأما الذبح فقد ذكره ابن القيم في المحرمات لافي المكفرات إلا اذا ذبح لما عبد من دون الله وكذلك أهل العلم ذكروا أنه مما أهل به لغير الله ولم يكفروا صاحبه

﴿ فالجواب أن نقول ﴾ ماذكره فى كتاب الكبائر من الذبح لغير الله وجعله من المحرم فنعم هو محرم قال تعالى (قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئاً — إلى قوله — لعلكم تتقون) فجعل هذا كله محرما هذا عرف القرآن والسنة والشرع والعراقي لجهله وسوء قصده يحمل كلام أهل العلم على العرف النبطي الحادث واصطلاح العامة فقاتل الله الجهل والهوى ، فما أغلظهما حجابا بين العبد والهدى

قال شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم «وأيضاً فان قوله تعالى (وما أهل به لغير الله) ظاهره ماذبح لغير الله سواء لفظ فيه به أولم يلفظ ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ماذبح للحم ، وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما أن ماذبحناه متقربين به إلى الله أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله ، فان عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه فى فواتح الامور ، والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقربا اليه لحرم ، ولو قال فيه بسم الله كما يفعله طائفة من منافقي هذه الامة ، وإن كان هؤلاء مرتدين لاتباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان ، ومن هذا مايفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن» انتهى كلام الشيخ . فأخذ هؤلاء المعترضون السطر الاخير من كلامه أو بعض السطر ، وأخذ المشبه وترك المشبه به لأن في الاول التصريح بردة من ذبح لغير الله ، وأن الذبح للجن مانع آخر لأنه مما أهل به لغير الله ، وقوله في العبارة فان عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الامور ، والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله فتركوا هذا وسرقوا بعض العبارة واختلسوا منها كاختلاس الشيطان من صلاة العبد واختطافه بعضها ، وفي العبارة التصريح بكفر من استعان بغير الله فيما لايقدر عليه إلا الله خلافا للعراقي وشيعته من عباد القبور الصادين عن سبيل الله المحرفين للكلم عن مواضعه ، الوارثين لليهود في تحريف كلمات الله وتبديل دينه

وقال صاحب الروض من كتب الشافعية «اذا ذبح المسلم للنبي صلى الله عليه وسلم كفر» نقله شيخنا رحمه الله وذكره غير واحد من المفسرين في الكلام على (وما أهل لغير الله به) ونقل بعضهم عن فقهاء بخارى أنهم أفتوا بتحريم ماعقر بين يدي الملوك تعظيما لهم لانه مما أهل لغير الله به . قال العلامة الشوكاني «قال بعض أهل العلم إن اراقة دماء الانعام عبادة لأنها اما هدي أو أضحية أو نسك وكذلك مايذبح للبيع لانه مكسب حلال فانه عبادة ويتحصل من ذلك شكل وضعي هو اراقة دم الانعام عبادة وكل عبادة لاتكون إلا لله ، فاراقة دم الانعام لاتكون إلا لله ، ودليل الكبرى قوله تعالى (اعبدوا الله مالكم من إله غيره

وإياي فاعبدون اياك نعبد وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا اياه * وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) انتهى ، ويكفي المؤمن في هذا الباب قوله تعالى (قل إن صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي لله رب العالمين لاشريك لهوبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وقوله تعالى (انا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر) وقال تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم ، وبشر المحسنين) فان الاحسان أعلى مراتب الايمان ، ودخول العبادة فيه لأن السياق لها ظاهر لايخفى

«وفي المسند عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب » قالوا كيف ذلك يارسول الله ؟ قال « مر رجلان على قوم لهم صنم لايجوزه أحد حتى يقرب اليه شيئاً ، فقالوا لأحدهما : قرب ، قال ماعندي شيء أقربه ، قالوا : قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار ، فقالوا للآخر : قرب قال ماكنت أقرب لأحد دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة » فقف عن هذا وتأمل حكمة الشريعة وسرها في اخلاص العبادة والتعظيم الذي لاينبغي إلا لله ولو باحقر شيء كالذباب فكيف بكرائم الاموال والله المستعان » انتهى

ثم أن من العجب استدلال هذا الملحد بكلام ابن القيم رحمه الله تعالى في هذا الموضع وفي غيره مما تقدم

وهذا الملحد قد ذكر فيما تقدم من قوله : والوهابية قد خبطت كل الخبط في تنزيهه تعالى حيث أبت الا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه ، واستقراراً وعلواً فوقه ، وأثبتت له الوجه واليدين ، وبعضه سبحانه فجعلنه ماسكا بالسموات على أصبع ، والارض على أصبع ، والشجر على أصبع ، والملك على أصبع ، ثم أثبتت له الجهة فقالت : هو فوق السموات ثابت على العرش يشار اليه بالاصابع إلى فوق اشارة حسية ، وينزل إلى السماء الدنيا ويصعد . وقد علمت أن نفي هذا وجحده هو مذهب الجهمية وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان

والللالكائي الامام حكاه عنهم بل قد حكاه قبله الطبراني

فذكر رحمه الله كفرهم عن خمسمائة عالم . وقال شيخ الاسلام لما ذكر أهل الاهواء قيل لابن المبارك فالجهمية قال : ليست من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فطائفة هذا الملحد عند شيخ الاسلام وابن القيم هم من أكفر خلق الله وأبعدهم عن سواء السبيل .

قال ابن القيم رحمه الله في الجواب الشافي : الشرك شركان ، شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لاشريك له في ذاته ولافي صفاته ولافي أفعاله ، والشرك الاول نوعان : أحدهما شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال : وما رب العالمين ، وقال تعالى مخبراً عنه (ياهامان ابن لي صرحا لعلي اطلع إلى إله موسى واني لأظنه كاذبا) فالشرك والتعطيل متلازمان ، فكل مشرك معطل ، وكل معطل مشرك ، لكن الشرك لايستلزم أصل التعطيل ، بل قد يكون المشرك مقرابا لخالق سبحانه وصفاته ، ولكن عطل حق التوحيد ، وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام : تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه ، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد »

والمقصود أن هذا العراقي اجتمع فيه من الكفر تعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته فزعم أن الله تعالى ليس على السموات على عرشه ، ولا هو فوقه ، ولا يشار اليه إلى فوق ، بل زعم انما ورد من الاشارة اليه في السماء محمول على أنه تعالى خالق السماء وأن السماء مظهر قدرته ، وأنكر عروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء حين أسري به ، فقال وكذلك العروج اليه تعالى هو بمعنى العروج إلى موضع يتقرب اليه بالطاعات ، وأنكر رؤية الله تعالى في الآخرة ، وأنكر أحاديث النزول ، وذكر أن من قال أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل آخر ليلة ، فقد زعم أن الله جسم ، وأن الله منزه عن ذلك ، فعطل الله من أوصافه وأفعاله المقدسة وأضاف إلى هذا الكفر الشرك في معاملته سبحانه باجازته الاستغاثة بغير الله

والاستشفاع به ، والالتجاء اليه ، وأن النذر والذبح لغير الله ليس بشرك اذا اعتقد أن الله هو الخالق المتفرد بالايجاد ، وأنه هو المؤثر لاغيره ، ومع هذا كله يستدل بكلام شيخ الاسلام وابن القيم وهما يكفرانه وهو يعلم ذلك ولكنه أراد التلبيس على خفافيش الابصار أن شيخ الاسلام وابن القيم لايكفران من من نذر لغير الله ، أو ذبح لغير الله . والمقصود بيان ضلاله وخروجه عن الصراط المستقيم ، واتباعه غير سبيل المؤمنين ، وأنه ممن نكب عن الصراط المستقيم ، ودخل في جملة أصحاب الجحيم

فصل

﴿ ثم اعلم ﴾ أيها الواقف على هذا الكتاب ، والناظر في هذا الجواب انا قد حررنا فيما مضى شيئاً يسيراً على ماافتراه هذا العراقي على الوهابية من الكذب والزور ، والافك والفجور ، بزعمه أنهم نزعوا إلى الدولة الاجنبية يعني الاقليين النصارى ، وأنهم استعانوا بهم كما ذكره في مقدمة رسالته وفي آخرها ، قال

«فتراها تكفر من يتوسل إلى الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم ويستعين باستشفاعه إلى الله تعالى على قضاء حوائجه وهي لاتخجل إذ تستعين بدولة الكفر على قضاء حاجتها التي هي قهر المسلمين وحربهم ، وشق عصاهم ، والمروق عن طاعة أمير المؤمنين الذي أمر الله تعالى في كتابه المبين بلزوم طاعته كما بسطناه في مقدمات الرسالة ، وتتخذ أعداء الدين أولياء تستمد منهم في احضار القوى التي تسعى بها إلى الفساد ، وتلج بها في الغواية والعناد ، قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء) سحقاً للوهابية إنها لاتدري أن أولئك الاولياء الذين تتخذهم ذريعة لقهر المسلمين اذا ثبت قدمهم فانهم يقهرونها ويهتضمونها أيضاً مع من تعده خصما مخالفاً لمذهبها» هذا قول هذا الملحد بحروفه

وجميع ما ذكره من الكذب الفاضح والأفك الواضح على الوهابية بل هؤلاء الذين يزعم أنهم المسلمون قد ظهر مكنون ما لديهم ومحصول ما انطوت عليه ضمائرهم من الميل الى أعداء الله وأعداء رسوله ودينه وهذا الملحد المفتري من

جملتهم ومن أنصارهم وأعوانهم، فانه قد كذب على الوهابية ورماهم بما هو وحزبه أهله لا أهل الاسلام فقد أكذبه الله ونكسه على رأسه وعاد فجوره عليه وعلى من قام في نصرته بما أظهروه واجتمعوا عليه من الدستور، وما أعلنوه من الكفر والفجور، سنة ١٣٢٦ لست وعشرين بعد الثلثمائة والالف فصرحوا فيه انها عيسوية موسوية عثمانية عربية وأن كل هذه الطوائف المتباينة في أديانها تكون اخوانا وانها تجتمع على حرب من خرج عن حكم هذا الدستور، ونصبوا في كل الاماكن من ديارهم مدارس يعلمون الناس دين النصرانية وجعلوا قاضياً عاما من الاقنيس الكفار يحكم بين الناس لانه بزعمهم أعلم بالسياسات يكون ذلك القاضي بمصر[1] فتبين بهذا أنهم هم الذين نزعوا اليهم واتخذوا أعداء الدين أولياء واخوانا وانهم هم الذين سعوا بهذا الى الفساد، وولحوا به في الغواية والعناد

قال الله تعالى «ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وهم العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء» الآية

وأنهم هم الذين مرقوا عن طاعة أميرهم وسلطانهم حتى عزلوه وجعلوا الامر شورى بين من نزع الى أعداء الله ورسوله واتخذوهم أولياء وجعلوهم اخوانا واخدانا ؛ فما حكم به هذا الملحد في مقدمات رسالته من مروق الوهابية بزعمه عاد عليه وعلى اخوانه، فهلا نصح هذا العراقي نفسه ورجع اليها باللوم والعتاب، وترك أهل الاسلام المتمسكين بحكم السنة والكتاب الذين باينوا أعداء الله ورسوله من جميع الطوائف ولم يدخلوا تحت أوامرهم، ولا أخذوا بقوانينهم ولم ينبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم كما فعله أعداء الله ورسوله وقد كان من المعلوم والمتقرر المفهوم انما حكاه عن الوهابية من نزوعهم الي الدولة الاجنبية انه من الكذب

---

(١) هذه المسألة لا نعرفها وأما كون الاتحاديين الذين نشروا الدستور كاذكر المؤلف وشراً مما ذكره في المروق من الاسلام واتخاذ الدستور ذريعة لذلك فقد أصبح الآن معروفا لجميع الناس. وجميل صدقي الزهاوي لم يكتب كتابه الا دهانا لهم وتزلفا اليهم، والا فهو مصرح في شعره بالالحاد، ويهيم منه في كل واد.

الظاهر وأنه هو وأشياعه هم الذين نزعوا اليهم وحكموا قوانينهم فبعداً للقوم الظالمين

وهذا كتاب الله ينادي بكفر من اتخذهم أولياء قال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم» الآية

وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لايعقلون» الى غير ذلك من الآيات وهذا لايخفى على من له أدنى مسكة من عقل ودين وقد وضح الحق واستبان وما بعد الحق الا الضلال

والحمد لله الذي هدانا لدين الاسلام وجنبنا طريقة هؤلاء الجهلة الطغام الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على عبده ورسوله سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . وقد فرض علي جواب جميل رجل يقال له عبد الصمد ابن أحمد النساك وهذا جواب على تقريظه ومن الله أستمد الصواب

ألا قل لأهل الجهل من كل مازق ... وكل كفور من ذوي الغيّ مارق

كلام جميـل لا جميلا فينتقى ... ولا بسديد يرتضى في الحقائق

على أنه همط وخرط ملفق ... أكاذيب لاتعزى الى نقل صادق

أتى فيه بالكفر الصريح مجاهراً ... ومرتضياً ما قد أتى من شـقاشق

لعمري لقد أوهى به مهيع الهدى ... وأعلى به سـبل الردى بالمخارق

وهدّ به ركناً من الدين شامخاً ... وشاد من الكفران أخنع زاهق

كتاب حوى أفكاً وزوراً ومنكراً ... وكفراً وتعطيلا لرب الخلائق

فعطل أوصاف الـكمال لربنا ... وعن كونه من فوق سبع الطرائق

وأنكر معراج الرسول حقيقة ... بذات رسـول الله سحقاً لمارق

وأوله تأويل من ليس مؤمناً … بمن جاء بالوحيين أصدق صادق
وأنكر رؤيا المؤمنين لربهم … فتباً له تبا وسحقاً لماذق
وسمى كتاب الله والسنن التي … أتت عن رسول الله أزكى الخلائق
ظواهر لا تبدي يقينا لانها … على زعمه ظنية في الحقائق
فلا يستفيد المؤمنون بها الهدى … ولكن بمعقولات أهل الشقاشق
فان خالفت معقول من أسسوا لهم … قواعد كفر شامخات الشواهق
فحق على كل امرىء بل وواجب … تؤول عن مدلولها بالمخارق
وتصرف للمرجوح عن حكم راجح … لأجل مقالات الغواة الموارق
والا فبالتفويض حتما لديهمو … اذا لم تؤوّل في خلاف الحقائق
وتفويضهم إبطالها عن حقائق … تدل عليها بالمعاني الشقائق
فلا عالماً بالعلم فيما لديهمو … ولا راحما ذو رحمة بالخلائق
ولا قادراً ذو قدرة فصفاته … تؤوّل عن وصف لها بالحقائق
فليست معانيها باسماء ربنا … بمشتقة ذا قول كل مشاقق
وقدم حكم العقل حتما بزعمه … على النقل فيما قد رأى كل مارق
لان لديهم انما العقل أصله … وهذا افتراء من جهول مماذق
فتبا لمن يبدي ثناء ومدحة … لتأليفه أو ماحوى من شقاشق
فما كان فجراً صادقا في ظهوره … ولكنه فجران يبدو لرامق
ووالله ما أبدى صوابا ولم يكن … على المنهج الأسنى وليس برائق
وليس يروق الكفر الا لزائغ … عن الحق أو مستغرق بالعوائق
وجوز أن يدعى سوى الله بالرجا … وبالخوف والتعظيم فعل المشائق
وأن يستغيث المشركون بغيره … وان يلجئوا في كل خطب مضايق
فتبا لعباد القبور الذين هم … حماة ذوي الاهواء من كل مارق
فقد نبذو الوحيين خلف ظهورهم … وقد حكموا القانون بين الخلائق
وقد أحكموا عقد الأخوة بينهم … وبين النصارى واليهود الموارق
وقد أحكم الله العداوة بيننا … وبين ذوي الكفران أهلِ الشقاشق

وآرائهم لم تقض الا اخوة وصلحا وتوفيقا بمحض التطابق
وغابوا علينا باتباع نبينا وقد تبعوا أحكام كل منافق
وقد زعموا انا وهم أهل خلة لأهل الكتاب المارقين السوابق
ونحن براء من ذوي الكفر جملة فلسنا واياهم بحكم التوافق
ونحن على دين النبي محمد ونكفر بالطاغوت دين المشاقق
ونرمي عداء الدين من كل مارق وكل جهول ماذق بالجلاهق
ودونك من هذا الضياء شوارقا توضح منهاجا لاهدى الطرائق
وتنشر أعلام الهدى مستنيرة وتمحق أهل الكفر من كل مارق
وتصعقهم صعقا فيثل عرشهم وتهدم من أركانهم كل شاهق
وذاك بقال الله قال رسوله وما قاله الاصحاب أهل السوابق
وأتباعهم والتابعون ومن على طريقتهم من كل حبر موافق
وصل على المعصوم ربي واله وأصحابه أهل النهى والحقائق
وتابعهم والتابعين لنهجهم على السنن المحمود من كل لاحق

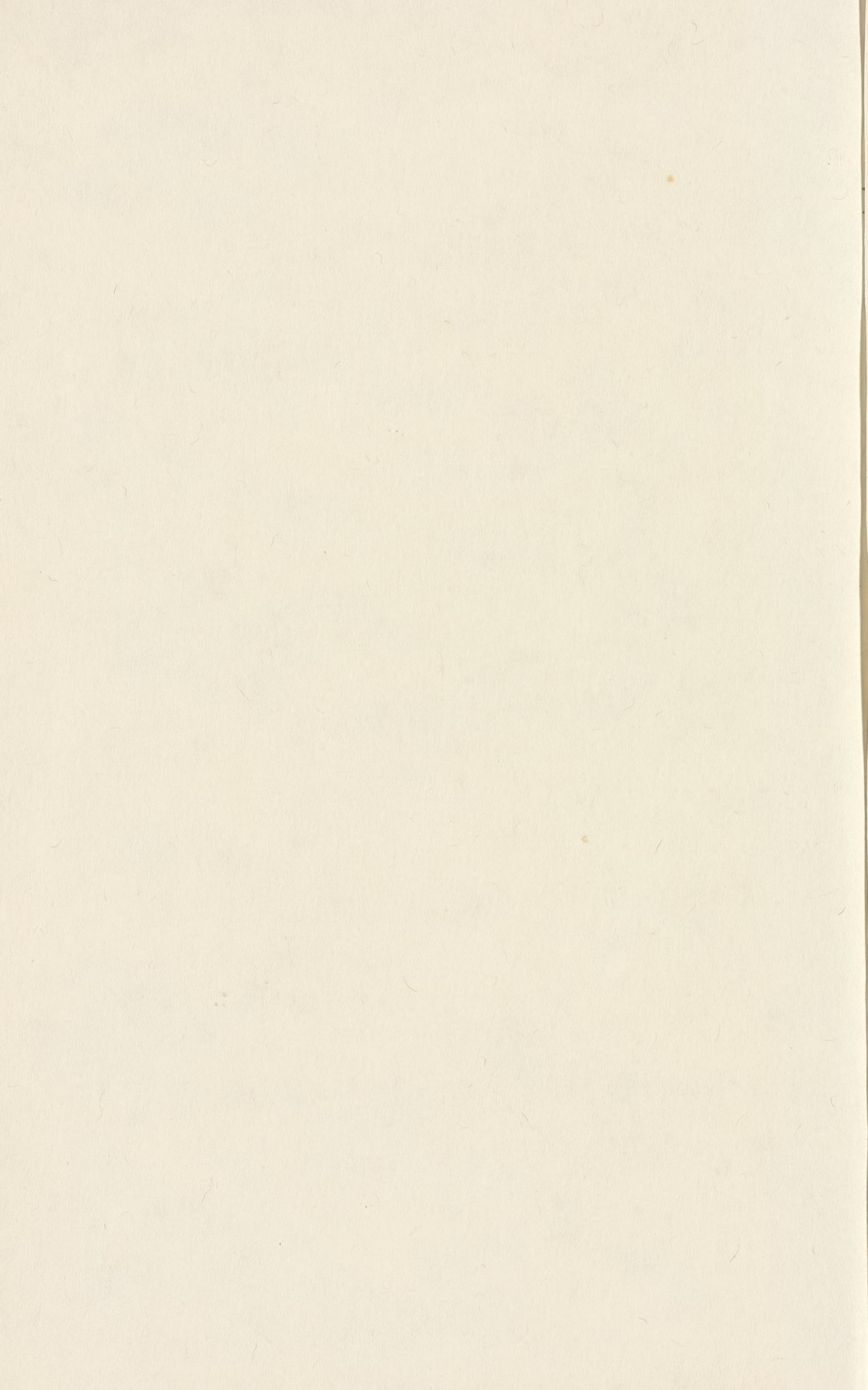
تم الكتاب والحمد لله

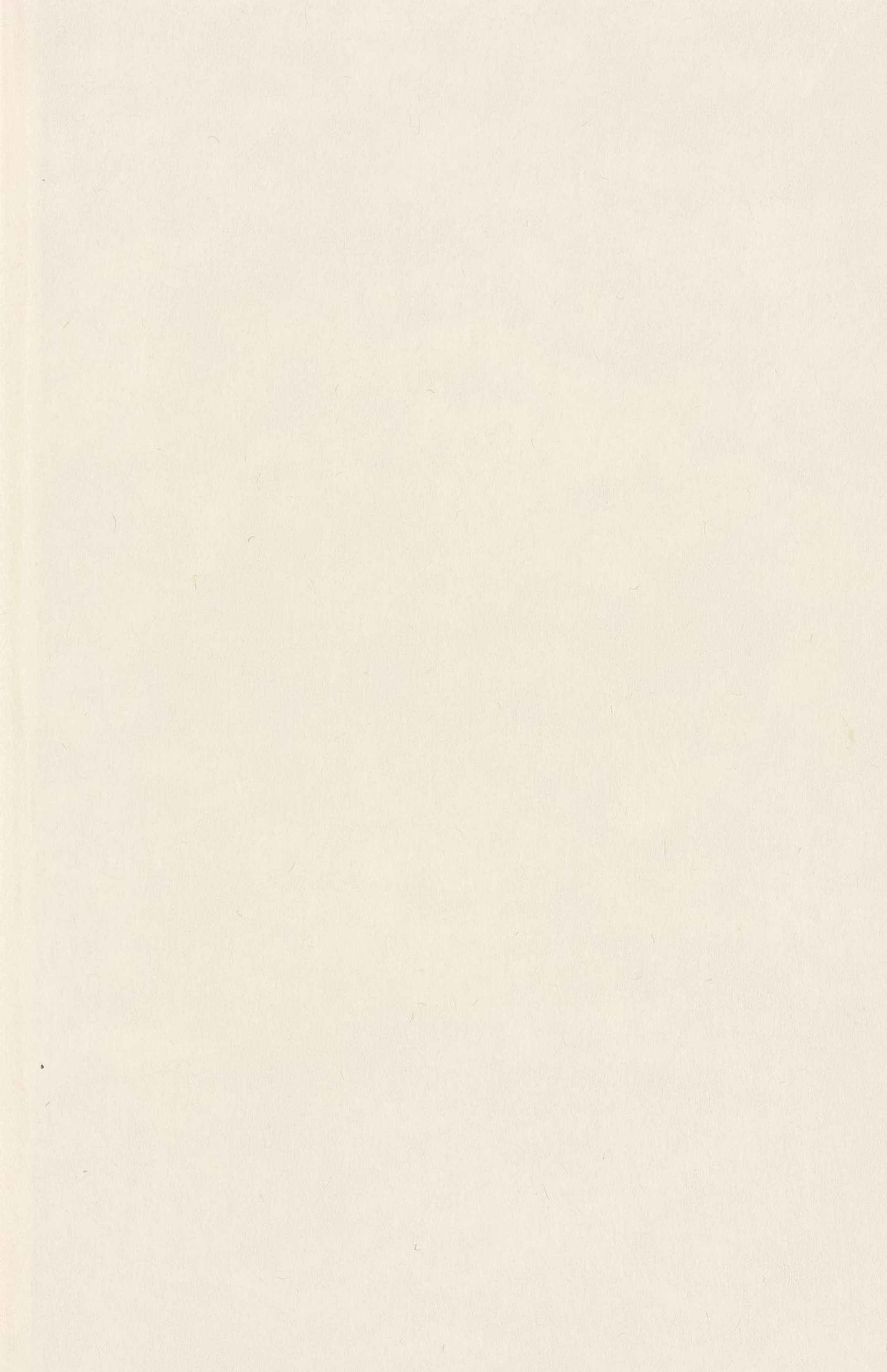
تقريظ الشيخ محمد بن حسين الانصاري

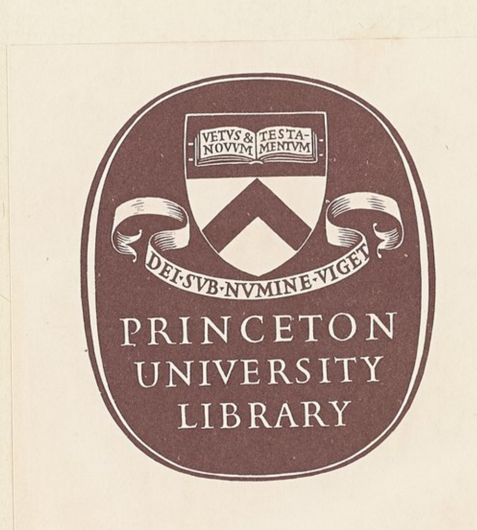
طائر السعد بالتهاني أتاني | بسرور مبشراً بالاماني
أن بدا طالع الزمان بحبر | ثابت الجأش ماله من ثاني
بعلوم بها لقد أفحم الخصـ | ـم وفيها قد قام بالبرهان
أعني حبر الأنام قدوة نجد | ذا سليمان عالي البنيان (١)
فسليمان جل قدراً وفضلا | وعلوماً تسمو مدى الملوان
سالم العرض والشمائل والاخـ | ـلاق مما يشين في كل آن
قامع الملحدين منه بوعظ | وبكتب تخال مثل السنان
بلسان كوابل الغيث في السـ | ـلم وسيف في حلبة الميدان
يفحم الخصم بالدليل والا | فبعضب يري كسيف يماني
يطلب الحق والرشاد إلى الحـ | ـق له ديدن على كل شاني
دام في العز والسعادة والمجـ | ـد بنصر وخصمه في الهوان
في أمان الاله يرعى ويحظى | بالذي يرتجى ونيل الاماني
مع عبد العزيز آل سعود | نجل عبد الرحمن فخر الزمان
جاهداً في الاله حق جهاد | بسنان وساعد وجنان
شاهر السيف والسنان على من | قد غدا ملحداً وذا عدوان
ناصر الدين تابع الحق أضحى | ثابت الجأش كامل الايمان
دام يرقى الى المعالي بسعد | وبنصر علا على رغم شاني
قامع الابتداع من كل قطر | مفحم القرن قائم البرهان
ماتغنت بلابل الايك تشدو | وتلتها حمائم الأغصان
أو حدا بالقريض نجل حسين | بو خليل في الهند سيف يماني

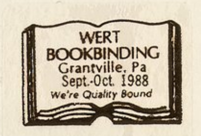
---

(١) لو قال : هو حبر الانام قدوة نجد ذا سليمان شامخ البنيان
لسلم من الضرورة في المصراعين






VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI·SUB·NUMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY


WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa
Sept.-Oct. 1988
We're Quality Bound

